

أَنْتِ الدُّوْنُفِينِ

بطاقة فهرسة  
فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية  
إدارة الشئون الفنية

صلاح، محمد.  
أنثى الدولفين: رواية / محمد صلاح - القاهرة: الوادي للثقافة والإعلام، ٢٠١٧.  
٣٨٨ ص، ٢٠ سم.  
تدمك ٢ ١ ٢٢٢ ٨٥٦٢٢ ٩٧٧ ٩٧٨  
١- القصص العربية  
أ- العنوان  
٨١٣

تاريخ الإصدار: ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

حقوق الطبع: محفوظة للناشر

الطبعة: الأولى

رقم الإيداع: ١٩١٦٤/٢٠١٧ م

الترقيم الدولي: ISBN: 978 - 977 - 85622 - 1 - 2

الكوود: ٢/٣٩٢

تحيذير: لا يجوز نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي شكل من الأشكال أو بأية وسيلة من الوسائل (المعروفة منها حتى الآن أو ما يستجد مستقبلا) سواء بالتصوير أو بالتسجيل على أشرطة أو أقراص أو حفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن كتابي من الناشر.



الوادي للثقافة والإعلام

ص.ب (١٣٠ محمد فريد) القاهرة ١١٥١٨

ت: ٢٣٩٢٩٨٧٨ - ٢٣٩٢٩٨٧٨ ف: ٠١١٤٤٤٤٢٩٩٠

E-mail: darannshregypt@gmail.com

محمد صلاح

# أنتى الدولفين

رواية



## وَقَفَّةٌ أَمَامَ الْمِرْآةِ..

" لقد بذل الجنس البشرى مجهودا جبارا لكي يعرف نفسه ، ولكن بالرغم من أننا نملك كنزا من الملاحظة التي كدسها العلماء والفلاسفة والشعراء وكبار العلماء الروحانيين في جميع الأزمان، فإننا استطعنا أن نفهم جوانب معينة فقط من أنفسنا! إننا لا نفهم الإنسان ككل، لكننا نَعْرِفُهُ على أنه مُكوِّنٌ من أجزاء مختلفة، وحتى هذه الأجزاء ابتدعتها وسائلنا! فكل واحد منا مُكوِّنٌ من مَوَكِبٍ من الأشباح تَسِيرُ في وَسَطِهَا حقيقة مَجْهُولة".

(الكسيس كاريل)

" بعض الكُتُب تدفعنا إلى الحُلم، وبعضها الآخر يُعيدنا إلى الواقع، ولكن لا مجال للتهرب مما هو أهم بالنسبة للكاتب: الأمانة فيما يكتبه".

(باولو كويليو)



سَنَةٌ فَاتَتْ..

سنة فانت لم تستطع فيها أن تُفصح له أنها تعلم بخيانتته  
أو أن تصفح عن نذالته، ربما من هول صدمتها فيه بعد أن كان  
في عينها مثاليا، أو من شدة حيرتها في تفسير ما حدث ومدى  
مسئولية كل منهما عنه ومدى مشاركته فيه، تُرى أهو انحراف منه  
وخيانة أم تقصير منها وغفلة، أم كلاهما معا! فصور جواريه  
الفاضحة التي اطلعت عليها على بريده الإلكتروني وعلى ذاكرة  
سكايب وواتساب في هاتفه وجهازه بالمصادفة البحتة- فليس من  
عادتها أن تتلصص عليه- تطاردها ليل نهار، على زجاج  
نظارتها، في مرآة سيارتها، في كتبها وأوراقها، على السبورة التي  
تشرح عليها محاضراتها لطالباتها، على جدران شقتها كلما تحركت  
وعلى سقف غرفة نومها كلما استلقت! صور جواريه اللائي لايفتأ  
يتبجح أمامها بالحديث عن براءة وتحضر وشياكة تواصلهن معه  
عبر تويتر والفيس بوك للتحدث في الدين والسياسة والثورة والثقافة  
زاعما أنهن سيدات ستايل محترمات ملتزمات منهن الطبيعية  
المشهورة أو سيدة الأعمال الثرية أو المهندسة أو الإعلامية.. أو..  
أو.. فما أكثر جوارى الدكتور شهريار! وهو لا يدري أن صورهن  
عاريات كموديلات البورنو تُدنس هاتفه وجهازه وبريده الإلكتروني  
وبيته وشرفه والحُب الذي كان! تكاد تُجن من ضغط علامات  
الاستفهام على رأسها.. ما الذى يدفع سيدة محترمة، روجة كانت  
أو أما أو جدة، مُطلقة أو أرملة أو حتى آنسة..

أن تدخل فى علاقة مع رجل متزوج وأب لأولاد وتسهر الليلية تبثه الغرام وتتعمى وتتسافل بين يديه، ولو افتراضيا على الإنترنت! كيف تبرر هذا لنفسها؟ وكيف يطاوعها ضميرها؟ وكيف تنظر فى وجه نفسها فى المرأة؟ وكيف تنظر فى عينى من تلقاهم من أبناء أو أقارب أو جيران أو أصدقاء أو زملاء؟ وكيف تُصبح فتكتب آيات وأحاديث وأدعية وحكم ومواعظ على الإنترنت؟ وكيف تنظر إلى الله؟ كيف؟! سنة رمادية فاتت، لم تجد مَهريا من صُورهن الفاضحة المهينة التى أصبحت تَحجُب رؤيته عن عينيه فلم تعد ترى منه صورة ولا وجهها، ولم تجد مفرا من صوت ابتذاله ومراهقته ولهاثة بين أيديهن ينبعث من غرفته فى هدأة الليل وسكون ساعة السحر، يخترق قلبها قبل أذنيها، فلم تعد تستطع أن تسمع له صوتا أو تسمع منه كلمة! كيف جعلها تُكذب نفسها وتتهمها، وتجلد ذاتها وتعتبر أن لها دور فيما آل إليه حاله، وأن لها يد فيما حاق بحبهما من انتكاسة، بإصرارها على تجاهل احتياجه للكلمات الرومانسية الجميلة قبل الإغراءات الجسدية المُثيرة، واستخفافها بحساسيته الشديدة وعاطفيته وشغفه بالعشق وولعه بالتدليل وزهوه بالإطراء والتشجيع! وأنها أخطأت عندما تصورت أن غمسه فى جمال جسمها الفتان كفيلا بأن يُغير من طبعه ويفتته من قدميه إلى رأسه، ونسيت أنه طفل كبير عنيد، وأخطأت عندما أساءت فهم صمته وظننه رضوخ ورضا..

ولم تكن تتوقع أنه تمرد طفولى مكتوم ينتظر الفرصة المواتية لينفجر! كيف مرت هذه السنة الرمادية ولم تواجهه؟! أهو خجل منها عوضاً عن خجله المفقود، أم قرف واشمئزاز من مواجهة وضعه الذى أضحى غاية فى الشذوذ، أم مبالغة فى تجاهل من لم يعد يعبأ بقلبها المكدود، أم حرص على البيت والأولاد، أم إهمال لضالٍ ربما عاد وندم وتاب وأناب، أم أنه صبر على هذا المزار كله واحتساب؟! لا تدرى ما سر صبرها عليه وإخلاصها له وتشبثها به؟! أهو اضطرار أم احتياج أم احتماء أم رفض للفشل أم عطف على من فشل، أم حُب؟ حُب! بعد كل ما فعل! وماذا فعل؟! خانها؟ لا لا لم يخونها، وإن كان ما فعله خيانة لكنه خائن مظلوم، خائن أحق، خائن طيب، فهى أكثر من يعرفه، طفل رهيف كلما حزبه أمر أو اشتدت عليه أزمة نفسية واستحكمت عاد طفلاً يتعلق بأى كف تمتد له بالحنان، طفل يبحث عن التدليل والتشجيع والكلمات الحلوة والصور البراقة الملونة واللعب الجميلة المغرية، وهو ما لا تُجيد تقديمه له! فهى وإن كانت أجمل الجميلات فى عينيه إلا أن شخصيتها الأكاديمية العملية الجادة التى لا تعرف كلمات المجاملة والإسراف فى المدح والثناء والرومانسية والاهتمام المُفُرط والتدليل الدائم الذى هو غذاؤه ودواؤه، والذى يسبق عنده جمال الصورة والجسد، ما يجعله يبحث عنه ويفرح به فرحة الطفل بالحلوى واللعب!

كم حذرتها أمها من الارتباط به قائلة: يا بنتى ده دكتور تجميل  
يعنى مش هيفرغ من الستات وخصوصا انه بيحب الكلام الحلو  
والحليطة، وانتي دوغرى ومالكيش فى الكلام المزوق وهيخطفوه  
منك.. وبالطبع لم تسمع كلام أمها، فقليل من البنات من تكن  
مستعدة لسماع النصائح فى مثل هذه المواقف! لكنها لا تدرى  
لماذا تجد نفسها لم تزل متعاطفة معه و متمسكة به؟ لأنه بيئها  
وأولادها وعالمها؟ لأنها تُحبه؟ معقول لا تزال تحبه؟! حتى بعد أن  
اهتز حبها وتضعضع وظنت أن لم يعد له فى قلبها موضع!  
معقول لم يعد لها فطام من حبه مهما فعل! معقول لم يعد أمامها  
مفر من أن تدوس على جرحها وتحايل كبرياءها وتواصل مشوار  
الصبر والمحاولة حتى تسترد طيرها الشارد ولا تتركه حتى تُعيده  
إلى عُشه! ليس أمامها إذاً إلا أن تنهض مرة أخرى نشيطة مفعمة  
بالأمل لتبدأ من جديد، ليس أمامها إلا الإصرار على الاستمرار  
ومواصلة المحاولات لاستعادته، ليقينها أن من يخونها ليس هو  
وإنما الطفل الحزين القابع بداخله! بالتأكيد ليس نزار الذى أحبته  
وعاشت معه أجمل أيامها هو من يخونها فى عيد زواجهما الفانت  
ويهجرها فى عيد زواجهما الليلة، بالتأكيد هى أزمة عاصفة يمر  
بها اقتلعت نزار الجميل الحبيب من جذوره وطوحت به بعيدا  
عنها، ووضعت مكانه نزار المراهق اللعوب الجبان الكذوب! كلا  
لن تستسلم هذه المرة وستظل به حتى تُعيده إلى قلبها..

حيث الحب والأمان، وسنُعد للاحتفال بعيد زواجهما من جديد كما كانا يحتفلان به كل عام فى مدينة أو فى بلد مختلف، وستجعلها مفاجأة جميلة له. لم تَدع شاردة ولا واردة فى برنامج التمهيد والتجهيز والاستعداد لقضاء ليلة جميلة مُشَبَّعة هانئة بمناسبة عيد زواجها الخامس عشر إلا وأبَدت اهتماما بها، علَّها تُضيئ الشموع حول فراشِها، تبت الدفء بأوصالها، تنتثر العطر بأجوائها، وتبل شفاه رغبتها التى شققها طول الهجر والبرود والتجاهل. تركت البيت للخادمتين لتعتنيا بتنظيفه وتجميله وذهبت إلى الكوآفير لتعود بوجهها الأشقر وقد ازداد بريقا على بريقه، تُرغِّل حُمُرته عين الشمس وتثير غيرتها، تحمل أكياسا وشُنطا أنيقة امتلأت بملابس مثيرة جديدة وعطور وورود حالمة وشوكولاته من تلك التى يحبها، تقضى وقتا طويلا بِحَوْض استحمامها المعطر، ترشف بتلذذ وهدوء ليمونا مثلجا وهى تَسبَح فى بركة ذكريات لياليها الهانئة، لياليها التى كانت، لتبتسم وتضحك ثم تصحو على واقعها المر فتدمع عيناها ويتحسر قلبها على ما آلت إليه الأمور، تنهمر علامات الاستفهام على رأسها المسترخي على حافة الحوض: أين أيامي الجميلة، من الذى اختطفها؟! أين تشابك أناملنا وتَسَابُقنا كطفلين حُفاة على رمال الشواطئ؟! أين عناق عيوننا ولوعة شفاهنا أيام الخُطوبة على المقاهي والمطاعم..

أَيْنَ ضِيْقِنَا وَضَجْرُنَا مِنْ وَجُودِ الْأَهْلِ وَالْأَقْرَابِ، نَسْتَعِجَلُ  
 أَنْصَرِفَهُمْ أَوْ أَنْشَغَالَهُمْ، مُتَلَهِّفِينَ لِاقْتِنَاصِ لِمَسَةِ أَوْ قُبْلَةِ أَوْ ضِمَّةٍ؟!  
 تَمْسِكُ أَنْامِلَهَا اللَّوْلُؤِيَّةَ الرَّقِيقَةَ وَتَكَلِّمُهَا: هَلْ تَذَكَّرِينَ أَوَّلَ لِمَسَةٍ، يَوْمَ  
 تَعْرِقْتِي وَارْتَبَكْتِي قَبْلَ أَنْ تَغْوِصِي لِتَتَعَمَّى بِدِفْءِ حُضْنِ كَفِّهِ  
 السَّخِيَّةِ الْقَوِيَّةِ؟ نَتَحَسُّ شَفْتَيْهَا الطَّرِيئَتَيْنِ الْمُمْتَلِئَتَيْنِ: أَتُرَاكِ تَحْتَفِظِينَ  
 بِمِذَاقِ أَوَّلِ قُبْلَةٍ، أَلَمْ يُكُنْ مِذَاقُهَا أَشْهَى مِنَ الْعَسَلِ الْمُصْفَى؟  
 أَتَذَكَّرِينَ كَمْ مِنَ الْوَقْتِ دُبْنَا فِيهَا دَوْقًا وَرَشْفًا وَلَمْ يَنْزِعْنَا مِنْ اسْتِغْرَاقِنَا  
 إِلَّا مُدَاهِمَةَ أَخِي الْأَصْغَرِ لِعُشِينَا! تَضُمُّ ذِرَاعِيهَا الْبَيْضَاوِيَيْنِ  
 لِتَحْتَضِنَ نَفْسَهَا بِشِدَّةٍ: آه يَا صَدْرِي أَتَذَكَّرُ أَوَّلَ حُضْنٍ؟ تَضَعُ يَدَهَا  
 بِحَنَانٍ عَلَى قَلْبِهَا: وَأَنْتِ يَا قَلْبِي أَمَا زِلْتِ تَرْتَجِفُ مِنْ وَطْأَةِ الشَّمِّ  
 وَالضَّمِّ؟ وَتَظَلُّ تَسْتَرْجِعُ ذَكَرِيَّاتِ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ حَتَّى يُعِيدُهَا هَمْسُ  
 الْخَادِمَةِ بِخَجَلٍ:

- كُلُّهُ تَمَامٌ يَا سَتِي تَوْمَرِي بِحَاجَةٍ تَانِي..

شَكَرَا يَا انْتِصَارَ عِنْدَكَ ظَرْفٍ فِي دَرَجِ الْكُونَسُولِ، حَسَابِكَ أَنْتِي  
 وَجَمَالَاتِ، رُوحِي أَنْتِي بِالسَّلَامَةِ.. بَعْدَ أَنْ أَطْمَئِنْتِ لِنَوْمِ الْأَوْلَادِ  
 أَخَذْتِ تَنْتِهَادِي بِرَشَاقَةٍ مِنْ عُرْفَةٍ إِلَى عُرْفَةٍ فِي رُوبِ حَرِيرِي قَصِيرِ  
 وَقَدْ لَفْتُ رَأْسَهَا فِي بَشْكِيرٍ كَبِيرٍ، تَبْدُو كَفَرَاشَةَ تُشِيعُ ضِيَاءًا وَتَنْثُرُ  
 أَلْوَانًا.. عَلَى شِدْوِ أَمِّ كَلْتُومِ فِي "لَيْلَةِ حُبِّ":

ياللي عمرك ما خلفت معاد فى عمرك

الليلاى غبت ليه.. ليه حيرنى أمرك

أخرك إيه عنى.. مستحيل الدنيا عنى تأخرك

تَحْتَضِنُ الهاتف بين كَتَفِهَا وَأُذُنِهَا لِتَتَّابِعَ وصول العشاءِ الذى  
طَلَبْتُ، تَتَفَرَّدُ بمرآتها لِتُمَشِّطَ شعرها فيبدو وكأنه شَال من حرير  
كستنائى داكن يصل إلى عَتَبَةِ رَدْفَيْنِ دَقِيقَيْنِ رَجْرَاجَيْنِ، يلمع فى  
ضوء ثريات العُرْفَةِ، الحُمْرَةُ فيه تُغَالِبُ السَّوَادَ..

هديت الدنيا هنا هنا واتلهفت لك

كلها معايا هنا هنا اتلفتت لك

تَرَسُمُ بدقة ألوانا هادئة على جَفَنِيهَا ووجنتيها، وترسم بقلم الرُوحِ  
جَمْرًا مُنْقَدًّا على شفتيها، وعلى جِيدِهَا العبقري تَرَشُّ عطرا جديدا  
اخترته لِليَلْتِيهَا، تستقبل الطعام وتُجَهِّزُ المائدة بعناية، تُنْسِقُ الورد  
وَتُوقِدُ الشموع..

الربيع.. الورد.. النبع اللى جارى

النسيم الحلو.. الليل اللى سالى

كلهم ويايا أهم مستنيين

## كلهم يا حياتي لك متشوقين

تَرْتَمِي فجأة على أقرب كرسي إلى جوارها، تُسَائِلُ نفسها: ما هذا؟! كيف مَرَّ كل هذا الوقت ولم يتصل بي؟! ألم يَعُدْ مُتَبَقِّياً لى من الأحلام والأمنيات إلا أن أنتظر منه اتصالاً ولو مرة واحدة خلال اليوم؟! كيف تَرَكْتُ نفسي حتى شَطِبْتُ بنود قائمة حُبِّي وسعادتي بِنَدَاً وراء بِنْدٍ؟! كيف سَكَّتْ يوم شَطَبَ بند الفُسْحِ ودعوات العشاء، ثم بند المصايف والرحلات وبرامج الأجازات، لِيَلِيهِ شَطَبُ بند احْتِضَانِي وتَقْبِيلِي وشَمِّي وضَمِّي الذى لم يكن يَنْقَطِعُ لَيْلَ نَهَارٍ! ثم أين جُلُوسُنَا مَعاً فى ظلال حَدِيثِهِ الدافئِ وغَزَلِهِ المُثِيرِ، أين اهتمامه بي وبِنْتِي مشاعر الحُبِّ والهَيَامِ والعشق والوَلَهِ والغرام؟! كيف أوصَلَنِي إلى اليوم الذى أتمنى فيه أن يتصل بي، فقط أن يتصل بي، ولو لِيَسْأَلَ عن تلميع أحذيته أو كَيِّ قُمصَانِهِ؟ حتى بند عيد ميلادي وعيد زواجنا تم شَطَبُهُ فى صَمْتٍ! أوه .. بمناسبة عيد زواجنا يا ثرى هل سيتذكر أن الليلة هى عيد زواجنا؟! تُزِيحُ أَسْتَارَ النُّعَاسِ الشفافة عن عينيها المُعْزَوِرَقَتَيْنِ بالدموع لِتَطْلُبَهُ على هاتفه المحمول فلا يرد.. تتصل بالعيادة:

ألو.. ازيك يا فاطمة.. أكلم الدكتور ممكن..  
يا ريت لما يخلص يكلمني من فضلك.

يجذبها رنين الهاتف من أطراف ثوبها القصير لِيَسْحَبَهَا من قَبْرِ  
ذكرياتها العميق المُظلم الذى تنزل إليه كلما خَنَفَهَا الصمت  
وأوجعها الهَجْر، تحاول أن تبدو فى حالة رومانسية رائقة:

ألو نزار حبيبي.. أتأخرت

كان الله فى عونك يا حبيبي

نسيت أجيب فاكهة يا ريت تجيب معاك

صحيح هو النهاردة كام؟

مش ناسي حاجة مهمة؟! قصدي كانت مهمة..

لأعقة دموعها: باي يا حبيبي.

تتنفض فَرْعَةً على صَرِير الباب، تفتح عينيها بصعوبة، تُلمِّمُ  
شعرها وملابسها، تخنقها رائحة طعام مَلَّ الانتظار حتى بَهَتَ  
وبرْدُ، وورود أنامها الصمت والسَّام، وشموع مُنْتَصِبَةٌ بِثُمَالَةٍ ضَوْءٍ  
تتحامل على نفسها كمكْلُومٍ يتلقى العزاء.. يهمس من خلفها  
مُتصَنِعًا:

- انتى نمتى يا حبيبتى؟ أنا آسف حالات أخرتتى فى العيادة  
.. كل سنة وأنتى ....

تُعَادِر إلى عُرفَتها، تُغَلِق عليها بَابها غير عابئة بِحُجَجِه المَكْرُورَة،  
تُعَمِّم مُحَدِّثَة نَفْسها: متى تَأْتِي إلى فِرَاشِك؟ حتى متى سَتَظَل  
تَهْمَلَنِي وتَهْرَب مِنِّي إلى العِيادَة والأَصْدِقَاء والقِراءَة والإِنْتَرْنِت؟!  
سَيِّمُت رَدِك النَرَجَسِي الغَبِي وحَفْظَتَه، سَتَقول لِي: لأنَّنِي ببِساطَة  
إِنسان ولست آلَة لِصَرَف النَقود وَقَتَّمَا تَحْتَاجِين إِلَيها تَضَع بَين  
يَدَيكِ ما تَطْلِبِين، وحتى لو كُنْت بالنسبَة لِكِ آلَة كَالَة صَرَف  
النَقود فَهذِه الآلَة أَيْضًا يَمْكُنُها أَلَّا تُلْبِي طَلْبِك أحياناً رَما لِتَعَطَّلِها  
أو لَعَدَم وِجود سَيُولَة بها.. بلا بلا بلا.. أُوْف.. كم أَنْتَ مُقْرَف!  
تُحَايِلُ النوم رَغم حَبْط دَقائِه المُتسارِعَة على لَوحة المَفاتيح، الَّذِي  
يَنهال عَليها آتِيا مِن عُرفَة مَكْتَبِه التي آوَى إِلَيها غير عابِي، وَكانَه  
مطارِق تَفَلِقُ رَأْسها الصَغير المُرْهَق، تَنكُوم في فِرَاشِها كَكْرَة مِن  
لَهَب أَشعَلتِها خِيبَة الأَمَل وَأَجَجَها الغِيط، بَعد أن طال أَمَدُ تَقَلُّبِها  
على شَوِكِ الرَغبَة في سَرير خال مُوحِش بارِد! تَننهد وَتَنفُخُ تارَة  
وتَسْتَغْفِر وَتُحولِقُ تارَة أُخْرى، حتى أَنهَكَتْ وَأَسَدَل نُعاسُ اليأس  
أَجفانِها المَبْلَلَة بِالدُمُوع لِتَنامَ حِرمانا وَقَهرا، ثم ما تَلَبَّثُ أن تَنتَبِه  
على نَقْرِ لَوحة المَفاتيح يَرنُ بِأذُنِها كأَجْراس ضَخْمَة، لِتَنهَض  
مُتَنابِّلَة نَتَنابِّبُ، تَنظُر إلى الساعَة لِتَجدها قد تَخَطَّتِ الرابِعَة  
صباحاً، مَعقول! بِحُطى مُتَنابِّلَة تَنجِه نَحوه لِتَقِفَ بَبابِ عُرفَة مَكْتَبِه  
مُبعَثَرَة، كل ما فِيها مُبعَثَر.. عواظِها، مَشارِعِها، خواطِرها، شِعْرها  
الكثيف السائِح..

حتى حَمالةٌ قميص نومها المُتناهي الصِغَرِ التي تنزل عن كَتِفِهَا  
تاركة صدرها العاجي يَشْرَبُ نائراً وجسمها الساخن يَمُوجُ فائراً..  
تَفْرِكُ عينيها ضَجْرَةَ بَادِيَةِ الاستياءِ والدهشة:

انت لسه صاحي!؟

بين الارتباك والتظاهر بعدم الاكتراث وتَصْنَعُ الانهماك في عَمَلٍ  
يَشْغَلُهُ:

- يعني.. شوية وأنام.. هي الساعة كام!؟

ياااه.. الفجر قَرَبَ.. معلىش.. هَكَمَلْ بَدَلْ ما يضيع مِنِي  
الفجر..

تتسحب تحت ستار قذائف كذبه الطُفُولِي وخيانتة الصِبيانية لِتَجْرَعَ  
كَأْساً أُخْرَى من كُؤُوسِ خيبة الأمل المُرَّة وتعود لِتَتَلَوِي فِي فِرَاشِهَا  
من لَدَغَاتِ نَحْلِ الرَغْبَةِ السَّارِحِ فِي جِسْدِهَا.

إِنَّا س..

إيناس أو الدكتورة إيناس فاروق التى وَجَدْتُ نفسى  
وجها لوجه مع حكايتها من خلال هذه السطور التى قرأتها صُدفة  
فى أجندة زوجتى الدكتورة نهلة الشامي، والتى ربما تكون قد كَتَبَتْهَا  
تأثراً بمكالمة هاتفية مما تَتَّاجِيانِ فيها كصديقتين وزميلتين، حيث  
تُدْرُسُ نهلة اللغة العربية فى كُليَةِ البنات وتُدْرُسُ إيناس الفلسفة  
بنفس الكلية وتَبُوحُ كل منهما للأخرى بمكنوناتها. وفى غمرة تأثرى  
بحالة إيناس واستغراقى فى التفكير فى الأزمة التى تَمُرُ بها  
علاقتها العاطفية مع زوجها صديق عُمرى الدكتور نزار شاكر  
طبيب التخسيس والتجميل المَعروف، واندهاشى من براعة زوجتى  
وموهبتها الكامنة التى أظْهَرَتْهَا فى وصفها المبدع لمأساة  
صديقتها.. إذا بها تفاجأئى:

- إيه ده! انت بِنْدَعِيسِ فى إيه؟ وأنا اللي فأكراك نِمْتُ!

أطبع على خَدِّها قُبْلَةً ذات رَنين.. أبادرها:

تعرفى يا نهلة إن تفكيرى لا يهدأ فى مشكلة إيناس ونزار، نفسى  
أفهم سِرَ التحول الدراماتيكي فى علاقتهم العاطفية والزوجية، بعد  
أن كانت نموذجاً يُحتذى وهامى الآن تُوشِكُ أن تتحول إلى مأساة!  
لكن تعالى هنا قوليلى: من أين لكِ هذه الصياغة الأدبية البديعة  
لليلَةِ إيناس الحزينة تلك؟!!

ضحكة تَقْرُصْنى بخدى:

- كُتِرَ الحزن منكم يا مَعْشَرَ الرجال كما يعلمنا البكاء فهو  
أيضا يعلمنا الفصاحة والأدب.. ههههه.. لكن انت كمان  
قولى: ليه كل ما اسألك عن الدكتور نزار، نشأته، بداياته،  
تكوينه، تربيته، نفسيته.. تهرب منى!؟

لا هروب ولا حاجة، ولماذا أهرب؟! تعالى شرفينا فى تكعيبة  
الحاج توفيق الثرياقى وانتى تسمى من الدكتور نزار ومن بقية  
الشلة ما يخطر وما لا يخطر على بالك من موضوعات ومشاكل  
وأسرار شخصية وعائلية ودينية وسياسية وعلمية.. وجنسية كمان  
وحياتك، علشان كده بدل التكعيبة ربما يسموها المندرة لكن أنا  
مسميها المَجْعرة.. هههههه..

- حيلك حيلك، تكعيبة ولا مندرة ولا مجعرة مش مهم، المهم  
حضرتك بتعترف انك بتدلى بدلوك فى معمعة الأخبار  
والأسرار، هه؟!؟

بالله عليكى إحنا عندنا أسرار برضه، دا احنا أكثر من سبعتاشر  
سنة زملاء حلوبين وعاقلين ومحترمين و... .. لنتهاى على بما  
تطاله يديها من وسائد وبرتقالات، تترم شفتيها وتطحن أسنانها:

- زملاء.. أنا زميلتك برضه يا مجرم.. هه..  
حتى أغرق فى الضحك وأكمل الغرق فى أحضان حُبها حتى  
مطلع الفجر..

ما ان فرغنا من صلاتنا حتى تَوَسَّطْتُ فِرَاشَهَا جالسة القرفصاء  
متحفزة، سَحَبْتُ سيجارة من علبة سجائرى، بَحَلَقْتُ فِىِّ فسارعت  
بإشعالها لها لَتَنَفَّثَ دخانها فى وجهى:

- مش هسيبك تقوم إلا لما تقول لى حكاية الدكتور نزار ده،  
هو ليه كده؟ يخرب بيت الجحود يا أخى، إيناس دى ست  
الكل وأجمل من القمر..

طيب نغير ريقنا وناخد قهوتنا .. وكمان الأولاد شوية ويصحوا..  
تقفز على بطنى كمن يمتطى فرساً..

- هِىَ كَلِمَةٌ، إِحْكِي واخلص وبلاش حِجَج، انت عارف ان  
النهاردة السبت ومفیش سکول والولاد هيصحوا براحتهم وأنا  
كمان معنديش كُلية النهاردة..

أيوا بس أنا عندى شُغل..

- معلىش علشان خاطرى.. إدينى حتى ولو فكرة مبدئية..

تخبط بيديها على فخذها وتهز جسمها وتزّن بصوتها مُتباكية  
مُتدللة، كما يفعل الأطفال إذا ألحوا فى طلب شيء:

- يلا قُول..

حاضر.. هقول أهه..

نِزَارٌ..

نزار شاب قاهري تعلم تعليما جيدا وأصبح طبيبا شهيرا  
فى التجميل والتخسيس، ورغم ما يُبديه من تدين إلا أنه مشغول  
بالبحث عن نوع خاص من الحب منذ أن حملته قدماه على  
الأرض! لا تدري أهى خلقته أم جيناته أم أنها نشأته وما أحاطها  
من ظروف وملابسات، فقد تربي فى حجر النساء وتفتحت عينه  
على جمالهن وانتبه سمعه على حكيهن وأسرارهن، وتقل رضيعا  
بين أنداء الأم والجارات، ومُدلا بين أحضان وقبلات العَمات  
والخالات، وأيدى الأخوات والزميلات، حتى بدا وكأن وجدانه تكون  
من همسات حب وولة وآهات غرام وعشق وتأوهات إرواء حميمية  
تخرق الجدران ذاهلة عن طفل يحسبونه نائما وهو أشدهم إنصاتا  
وأكثرهم سهرا، وكيف تنام عيناه وقد تفتحتا على صور لننئات  
واستدارات نُهودٍ وقُدودٍ ومُؤخرات عبقرية تتخفى وتتكشف وتتمايل  
أمام ناظره غير عابئة بمن كبر وأصبح غلاماً!

بغِظ تسحب سيجارة أخرى وبينما أشعلها لها تُغمغم ساخرة:

- حضرتك عايز تقول انه بيعانى من عقدة أوديب!؟

لا أعتقد طبعاً ولكن اصبرى حتى أنتهى..

إذاً فنحن أمام سحائب من أصوات وصور مُثيرة تجمعت وتكثفت  
فى ذاكرة الطفولة لدى نزار، لتُهَبَ عليها رياح البلوغ فتهمر  
أمطار من رغبة لذيدة، وفيضان من شهوة عارمة، تجرف فى  
طريقها زهيرات الطفولة البريئة الريفية، لتنبثق مكانها حقول..

من أشواك اشتهاً تَسرح فيها جيوش من نَمَل يَقرُص، وأسراب من نحل يلدَغ، لتُعيدَ إنتاج مخزون الذاكرة الخامد، فيسمع الفتى الأصوات من جديد ويُشبع منها لذة السمع في سحر الأنوثة والإغراء وأنين الذروة وسكون الإرتواء، ويُعيدُ مُشاهدة صور الأجساد لِيشبع لذة النظر إلى مفاتن الجمال وفوران العنقوان، ويعتصر من ذلك كله عسل اللذة بين يديه، إيذانا بامتطاء جواد الفُحولة الجامح الذي تَغذى على كلاً الجمال ورتع في مضمار الإثارة!

معاناة نزار يا سيدتى تكمن في أنه دخل إلى الحياة من باب المرأة وبدأ مشوارها بالحبو في بلاط مُلكها وتهجى أشعار فنتتها وجمالها حتى بلَغ السعى في رياض جناتها ليتقافز بين أشجارها ويسبح ويتحمم في أنهارها، فسَلَّمتهُ أنامل الطفل البريئ الغافل إلى كفى المراهق الفضولي الفائر، وأسدِل الستار على قلب لم يكن يرى في الجمال حوله إلا حنان الروح ليعودَ فينفتح من جديد على عيين عِينين تتسعان بلهفة وشراهة لترصد فتنة الجسد!

كَبُرَ وتعلَّم وتخرَج في كلية الطب ولم يزل مع المرأة يحتفظ بدفء حجرها وحنان حُضنها وحقق قلبها ونور عينيها ووهج خديها ورقة همسها ورنين ضحكاتها وإيقاع خطوها على نثني خصرها، لقد أصبح ولا فِطام له عن حُبها!

كَمْ وَقَفَ وهو لم يُكْمَلْ بعدَ سَنَنَتُهُ السَّادِسَةَ بَاكِيا من لَكَزَاتِ  
 وصفعاتِ أُمِّهِ، مرعوبا من صُراخِها وتهديدها ووعيدها بأن تَحْرِقَهُ  
 بالنار لو كرر فِعْلَتُهُ! مُسْتَعْرِباً من ضحكات وغمزات ولمزاتِ  
 صُويحِبَاتِها المحتشِداتِ بملابسِ النومِ على صوتِ صِياحِها بعد  
 أن انتَزَعَتْهُ من بين بناتِ العِمارةِ اللائى لا يحلو له اللعبُ إلا  
 معهن وقد انهال على شِفاهِهِنَّ تَقْبِيلاً وعلى أجسادهن عَبَثاً  
 وتَفْتِيشاً! مُنْدِهَشاً: ما كُلُّ هذه الثورةِ وهو لم يفعل أكثر مما يراه  
 بعينيه من بيتِ إلى بيتِ، ومن خُرُوجِهِ كمحرمٍ مع المَخْطُوباتِ،  
 ومن الأفراحِ وأغانِها المُثيرةِ الجريئةِ، ومما يقال همسا وعلانيةً فى  
 تَهانِى الزفافِ ويومِ الصبَاحِيةِ، ومن لَعِبِهِ ببيوتِ الجاراتِ والقَرِيباتِ  
 المُتَخَفِّفاتِ من فُضُولِ الثيابِ، ومن طُقُوسِ الليليِّ الحُلُوةِ فى  
 الأعيادِ والمُناسباتِ!.. تَتَهالُ الجاراتُ على أُمِّهِ توسلا:

- حرام عليكى يا دلال، ربك والحق، البنات هما اللى يبجوه  
 وبيلزقوا فيه من حنانه وسَمارُهُ ووسامته..

لُتْسارِعِ أُمِّهِ باحتِضانِهِ مُرَدِّدَةً:

- أعمل فيك إيه بس يا شقى، عيني عليك باردة، إياك  
 تعملها تانى يا ديك البرابر، إلعِبْ مع الصبيان بس وإذا  
 لعبت مع البنات فلا بُوس ولا تفتيش.. عيب.. هه!

أَضْحَى نِزَارَ كَالْوَتْرِ الْمَشْدُودِ بَيْنَ بَيْتِ اللَّهِ الْمُجَاوِرِ لِبَيْتِهِمْ حَيْثُ يَشُدُّهُ أَبُوهُ إِلَى الصَّلَاةِ وَحِفْظِ الْقُرْآنِ وَبَيْنَ بَيْتِهِمُ الْمُزْدَحِمِ بِالْإِنَاثِ.. حَيْثُ تَحَاصَرَهُ الْفِتْنَةُ، بَيْنَ جَسَدٍ يُقَيِّدُهُ الْعَيْبُ وَالْحَرَامُ وَرُوحٍ تَسْبِغُ فِي خَيَالَاتِ الْحُبِّ وَالْهِيَامِ! هَدُوؤُهُ وَخَجَلُهُ، وَسَامَتُهُ وَتَأْنِقُهُ، نَظَرَاتُ عَيْنِيهِ النَّافِذَتَيْنِ، وَلِبَاقَتُهُ وَسِحْرُ كَلِمَاتِهِ الْمُنتَقَاةِ، شَكَلَتْ بَاقَةَ مِنْ خِصَالِ جَعَلْتَهُ بِيَدِ مَشْوَارِ الْبَحْثِ عَنِ الْحُبِّ وَهُوَ لَمْ يُكْمَلْ بَعْدَ عَامِهِ الْخَامِسِ عَشَرَ!

- أما عجائبِ والله، ما كلنا في مراهقتنا بدأنا مشوار البحث عن الحب وفضلنا نجرب ونخبط ونتعلم لحد ما حصل النصيب ووقعت الفاس في الراس ودبسونى فى مهندس وأديب زى حضرتك.. مثلا يعنى.. ههههههه..

أُزْغِزْغِهَا فَتَتَلَوَى وَتَتَفَلَّتْ غَاطِسَةٌ فِي بَحْرِ شَعْرِهَا الْغَجْرَى، مُعَابِثًا: دِبْسُوكَ بَرِضِهِ يَا جَمِيلَ، وَكُنْتَ بِتَجْرِبٍ وَتَخْبِطٍ وَتَتَعَلَّمُ بَرِضَهُ يَا شَقِيَّ يَا سَاهِيَّ يَا مَكَارَ.. كَلِمَا أَمْسَكْتَهَا تَتَزَلَّطُ مِنِّي كَحَبَّةِ الْمَانِجُو.. مِنْ وَسْطِ قَهْقَهَاتِهَا تَتَنَزَعُ الْكَلِمَاتُ بَيْنَمَا تَلْمِمْ شَعْرَهَا وَتَصْطَنَعُ الْجِدِيَّةَ:

- بالله عليك أرايت حبا وحنانا وجمالا كالذى يُميز شخصية إيناس؟!!

يا دكتورة افهميني، أنتِ مُثقفة وفاهمة سيكولوجي وعندك فكرة عن النفس وتعقيداتها، الحكاية إن الدكتور نزار توقف في نظرتة للمرأة وحبها لها واستمتاعه بها، عند حد التلذذ بها في الخيال والتأمل في جمالها والطرب بهمسها ولمس أناملها واحتضانها وتقبييلها وشم أعطافها فقط، وذلك بحكم أن تعامله مع الإناث لم يتجاوز نطاق المحارم، ما جعله يخجل بشدة بل يتحاشا تماما ويهرب، ما استطاع، من فكرة أن يتجاوز هذا الحد المعنوي ليرعى حول حمى الجسد المادى فيهنك أستار العفة، لاسيما أنه نشأ في أسرة صوفية رقيقة حاملة يغلب عليها الطابع أو اللمسة الأنثوية الناعمة..

أما إيناس فنشأت وسط أسرة أمازونية تغلب عليها العملاقة الذكورية الخشنة المعنية بالوجود الحسى والاهتمامات الحسية والإشباع الحسى، أجسام ضخمة وأصوات عالية وسلوك فوضوى جريئ، وشراة في الطعام والشراب والتدخين والسهر!

ومع أنها اختارت نزار وأحبته لرجلته البادية وجاذبيته التي تحمل في طياتها فحولة هادئة لا تُخطئها العين، إلا أنها لم تفتن أو ربما لم يخطر ببالها أن تضيق الهوة بين شخصيتهم قبل أن تجتاحه بعنفوانها الجسدى وجموحها الأنثوى الشاب، فى وقت كان هو فيه بحاجة إلى شئ من مراعاة طبيعته الحساسة الحاملة، كان بحاجة إلى شئ من التمهيد والتدرج والاستدراج لينتقل من دائرة التأمل الوجداني الرومانسى الهادئ فى جمال المرأة والدندنة..

حول التلذذ بالخيال والمُعابثة، إلى دائرة الاقتحام الصريح العام  
الفجّ البذيئ لِحُصُونِ الجسد، وهو ما لم تهتم به إيناس فى رأيي.  
- وهو ما لم تهتم به إيناس ولم تصبر عليه فى رأيك؟! انت  
هتجننى يا أخينا انت، هو متجوز زُوجة تمتعه وتستمتع  
بيه، ولاّ أم تهننه وتحكى له حواديت!؟

طبعا تهننه، زى ما حضرتك بتعملى معايا كده.. هو حضرتك  
متعرفيش إن الرجل بمجرد أن يتزوج ينفرد إلى ثلاثة فى واحد!؟

- لا.. دا انت مش عايز حواديت بس، دا أنت كمان عايز  
فوازير يا بيبي.. رجل إيه ده اللي ثلاثة فى واحد.. الرجل  
النسكافيه حضرته.. ههههههه..

أنا بتكلم كلام علمى وجاد، ومُعظم المشاكل الزوجية فى البيوت  
سببها عدم استيعاب هذه الجزئية، وهى أن الرجل بعد الزواج  
يحتاج إلى ثلاث نساء فى زوجته: أنثى تُمتعه كذَّكر، وأمُّ تُحنو  
عليه كطِفْل، وإبنة تُطيعه كأب! والمرأة فى المقابل تحتاج إلى  
ثلاثة رجالٍ فى زوجها: ذكَّر يُؤدى حقها كأنثى، وأبٌّ يَرحاها كإبنة،  
وَوَلَدٌ يَبْرهاً كإبن! .. يا خبر الوقت سرقنا.. جهزى الفطار بسرعة..  
تواصل رَغدى وقرصى وهى تَجز على أسنانها وتشخط:

- طيب بس ما ترقش، وإياك تُلطش كتاباتى..

عن مكالماتنا أنا وإيناس وتُنقشها في روايتك، أحسن والله  
افضحك في الجرايد.

- بابى حبيبي..

أهلاً أهلاً سمو الأميرة مارية.. يا صباح النور.. حُضن وئوسة  
كبيرة لبابى.. هيه.. أخبار السكول إيه؟

- يعنى.. نايس..

انتى فى الثيرد ومنتظرين منك الفول مارك يا مرمر.. وسى عُمر  
صحى ولاّ لسه؟

- كالعادة.. ليزى..

طبعا مش حضرته بيكافح فى البريب ثرى.. صح النوم يا عُمر..  
- صباح النور بابى.. هيه.. جبت لى الفون الجديد؟

حاضر.. بعد النتيجة..

- بابى.. بليز.. السمارت فونز مهمة جدا للبنى آدم دلوقت..  
علشان أعرف أتواصل مع صحابى..

خلاص يا حبيبي طلباتك أنت ومارية أوامر، بس حاول تكون  
أنشط من كده، افتقدناك على الفطار النهاردة، مارية ما زالت  
أحرص منك على الفطار مع بابى، اتكلمنا فى مواضيع مهمة  
فانتك، مارية تحكيها لك.. ونكمل على الغدا إن شاء الله.

نهلة.. ميرسى على الفطار الجميل، أنا نازل.. أى أوامر؟

- قول للبواب يرن عليا لما يخلص غسيل العربيات.

صباح الخير يا صابر..

رن يا ابني على الدكتوراة لما تخلص غسيل العربيات، علشان  
تقولك على طلباتها..

وبعدين بالراحة على الميه يا صابر، حرام الميه اللي بنشربها  
تضيع كل يوم على غسيل عربيات البهوات بالشكل ده!

- نهارك قُل يا بيه، خليها على الله بس، هي الميه هتخلص  
يعنى ولاّ هتخلص، وبعدين البهوات يغسلوا عربياتهم فين  
جنابك!؟

صحيح الخير كثير يا صابر، بس خد من التل يختل، وبالفوضى  
والإسراف الميه هتخلص ومش هنلاقي نغسل وِشْنَا..

- خليها على الله يا باشا.. نهارك ابيض.



أخيراً..

أخيراً أُصِلُّ إلى مكتبي بعد عناء ومرار، وكأنه قد كتب

علينا نحن المصريون أن نتجرع العناء والمرار ليل نهار فى الشوارع، لذا ترى أغلب الوجوه صفراء شاحبة، ذابلة ذاهلة، وكثير من العقول والأفكار إما حائرة مُشَوَّشة أو مُغَيَّبة مُشَوَّهة، حتى الشوارع والطرق إما مُزْدَحِمَةٌ مُكْدَّسة أو مقطوعة مُشتتلة غاضبة! وطن عظيم بِحَجْمٍ وقيمة وأهمية ومكانة مصر، لم يَكُدْ يهناً بثورته ويتأهب لاستكمالها وتحقيق أهدافها الإنسانية العادلة، حتى كَثَرَ له بقايا آلِهَةِ الشَّرِّ وعبيدهم وجنودهم من شياطين الإنس والجن عن أنيابهم الصِّدَاءِ السامة التى تَقْطُرُ دَمًا، وأسفروا له عن وجوههم الطافحة حِقْدًا وخبثًا وفسادا وقسوة وتوحشا، ليُحيلوا ثورته الغضة المُخَضَّوِضَةَ هَشِيمًا ويجعلوا حياته جحيما بلا هدف ولا كرامة ولا حُرِّية ولا عدل ولا أمل ولا عمل!

- صباح الخير يا باشمهندس، أجب لحضرتك القهوة؟

يا ريت يا عم كامل، وناديلى المهندس طارق، الله يخليك..

صباح الخير يا باشمهندس طارق، انت معايا ان موضوع هدر مياه الشرب ده كارثة لا يبدو أن لها فى الأفق حلاً؟!!

- حضرتك مُنشائم ليه كدا فى أول اليوم على غير عادتك؟!

بلد قامت فيه ثورة عظيمة زى ثورة 25 يناير، المفروض يعنى، مش فيه ثورة قامت برضه.. ولا إيه؟!

- بيتها لى كده، لكن ليه؟!!

لأن دا معناه إن يكون عندنا حرية ووعى وكفايانا فوضى وفساد!

- أكيد حضرتك..

شئ لا يوجد له مثيل فى أشد الدول تخلفا، أنهار من مياه الشرب النقية تُهدر فى شوارع مصر كل صباح فى غسل البوابين لعربيات البهوات السكان، شئ مُرعب ومصير مُظلم! عندك شارع زى اللى انا ساكن فيه ده طوله يمكن كيلومتر تقريبا، عمارات شاهقة على الجانبين متوسط ارتفاع العمارة عشرة اتناشر دور، كل عمارة بتغسل يوميا مش أقل من عشر عربيات، احسبها انت على مستوى القاهرة المتوحشة وعممها كدا على مصر كلها، وقولى كم نهر نيل بنهدره فى الشارع كل طلعة نهار؟!!

- معاك حق يا باشمهندس، للأسف دى كارثة فعلا، والعجيب حضرتك ان أغلبية سكان هذه الأحياء والعمارات يُفترض أنهم فى مستوى مادي واجتماعي يجعلهم أكثر وعيا ومسئولية!

طبعا كلهم من مستوى مادي يسمح لهم بغسل عربياتهم فى مغاسل مخصصة للسيارات ويجب على الحكومة، إذا كانت حكومة ثورة يناير بجد، إنها بدورها تلزم المغاسل دى بعدم استخدام مياه الشرب وتخصص لهم مياه مُحلاة أو مُعالجة لهذا الغرض زى أى حكومة فى أى دولة مُحترمة..

إذا ماكنش دا يحصل بعد ثورة على التخلف والفساد هيجصل إمتى  
ان شاء الله؟! وإذا ماكنش أولى أولويات الثورة إنها تحافظ على  
المياه التى هى شريان حياة أى بلد فلن تحافظ على أى شئ  
للأسف.. لكن ما علينا، قولى إيه أخبار مناقصة شبكة البنك؟

- تمام.. بس ناقص أسعار بعض الكابلات بعتنا بيها فاكس  
للنخيلي وهدخل فى موعدا بإذن الله.

والمركز السياحي والبريد.. فاضل كتير فى شبكاتهم؟  
- خلاص بنشطب فيهم.

اعملوا معروف وانجزوا.. انت شايف البلد ملخبطة ازاي..

- بنحاول والله يا فندم.. بفكر سيادتك بمعادنا مع المهندس  
فرغلى فى الوزارة بكره، علشان الشغل اللي واقف  
والشيكات المتأخرة..

ما تقلقش أنا مسجله فى مواعيدي بس يا ريت تتصلوا بمكتبه  
لتأكيد الموعد.. نعمل إيه نصيينا كده.. كنا ما صدقنا عصام  
شرف مسك الوزارة وقلنا جالنا واحد زُمل هنعرف ناخذ حقوقنا  
ومتأخراتنا ببركة طلعتة البهية.. أهو طلع بمبة هو كمان!

أيوا يا ياسمين..

- الحاج توفيق مع حضرتك يا فندم.

الو.. أهلا أهلا عمنا الكبير.. ازيك يا حاج توفيق..

أبدا والله.. حَبَسَنِي عَنكَ حَابِس الْفِيل  
لا لا .. دماغك ما تروحش لبعيد كدا، بطل أفكارك الحمراء دى،  
كل ما حد ينشغل عنك شوية تفكره واخذ فياجرا!!  
صحيح كده تبقى أفكارك الزرقاء.. ههههههه  
جايين فى معادنا أنا ونزار أكيد.. اتفضل فى أمان الله.  
أُدْخُلْ..

- دكتور نزار يا فندم..  
إيه ده! معقول! خليه يتفضل..  
- السلام عليكم أدينا الحبيب، مساء الفل..  
وعليكم السلام، أهلا أهلا يا دكتور، يا مساء الجمال.. مش ممكن  
توارد الأفكار بيننا يوصل لحد كده يا نزار، دا انت لسه على بالى  
من شوية والله!  
- دا تتاغم أرواح يا جميل.. لكن إيه الحكاية، مش عوايدك  
تصبر على القعدة فى المكتب لبعده الضهر، علشان كده  
وأنا معدى لقيت عربيتك قلت اصطادك..  
مين يصطاد مين يا لئيم هو أنت حد عارف يشوفك، دا أنا لسه  
قافل مع الحاج توفيق وواخذ على خاطره منك وبيقول الولد ده  
خلاص من يوم قصص الحب اياها وهو مش نافع.. ههههههه.

- حبيبي الحاج توفيق واحسنى والله.. تعرف ان أنا فضّيت نفسي النهاردة مخصوص علشان محتاج أتكلم معاك فى بعض الأمور المهمة..
- أوه.. الكلام خدنا وما شريناش حاجة.. تاخذ إيه؟ ساقع ولاّ قهوة..
- آه يا ريت نخليها قهوة من فضلك..
- يا كامل.. هات هنا قهوة مطبوط للدكتور وهات لى أنا لمون. هيه.. أخبارك إيه وأخبار إيناس والأولاد.. وحشونى والله.. وأخبار العيادة وزبوناتا الجميلات؟
- قصدك زبوناتا السمينات.. ههههههه.. الحمد لله تمام.. هيه.. احكى لى وصلت لفين فى مغامراتك الجديدة.. ولاّ اسكت؟
- بالعكس.. دا أنا جايك بعد ما أخذت قرار طير النوم من عيني الليلتين اللى فاتوا دول ونويت انفذه بلا تردد..
- قرار! قرار إيه اللى اتخذه فى بيتكم وجاى تنفذه عندى، إعمل معروف أنا مش مستعد أكون طرف فى أى حاجة وحشة منك تجاه إيناس.. إيناس فى مقام أختى وانت عارف كدا كويس..
- لا لا.. ربنا ما يجيبش حاجة وحشة، غاية ما فى الأمر أننى قررت أن أضعك فى صورة الأزمة النفسية والعاطفية التى أعيشها على مدار الفترة اللى فاتت، سواء الجفاء اللى حصل بيني وبين إيناس..

أو القصص والعلاقات التي عشتها وخصوصا في العالم الافتراضى على الإنترنت..

ودا كله حصل امتى وازاى؟! معقول فترة جفاء مع مراتك تخليك تدخل فى علاقات عاطفية بهذه السهولة والكثافة؟! وبعدين مين قالك إنى أقدر أتحمّل مسؤولية أمانة زى دى، وانت تقولى تفاصيل المسألة كلها ليه؟ وإيه اللى هيعود عليك من كده غير انك تهتك ستر الله عليك! وبعدين يا أخى مش خايف تسقط من نظرى؟ أو يمكن أغير منك وأتعلم منك الانحراف.. هههههه..

- مفيش فائدة فيك أبدا..

أعملك إيه ما هو انت فاجأتنى بصراحة..

- شوف يا سيادة الأديب الهاوى ورجل الأعمال ال...

المستور.. قول المستور الله يسترك، حد طایل يتستر الأيام دي!

- على رأيك.. ربنا يسترنا جميعا، المهم أنا قررت أن أحكى

تجربتي المثيرة لك ككاتب مثقف وفاهم لتضعها بدورك بين يدي المجتمع برجاله وشبابه ونسائه وبناته، لعل الكل يستجمع شجاعته ويقف أمام المرآه ليتعرف على نفسه دون أوهام أو رتوش كما أفعل أنا الآن، حتى أنا بفكر نطرح التجارب دى والمشاكل والموضوعات والتساؤلات التى أثارتها فى نفسى، فى سهراتنا فى التكميية، لنثرى النقاش ونستفيد من آراء وثقافة الحاج توفيق الرصينة..

ومن تحليلات وفلسفة الدكتور شوقى العلمية العظيمة..  
دكتور نزار أرجوك كمل قهوتك وروح خُذك لك دش فاتر واتغطى  
ونام الله يهديك، أكيد انت مش طبيعي!  
- شوف أنا مش هرتاح إلا لما احكى، واذا كان ليا عندك  
خاطر ساعدني.. استأذن أنا ونتقابل فى التكعبية فى  
معادنا.

إذتك معاك افضل، الله بيرجلك زى ما برجلتى.

ياسمين.. نادى لى يا بنتى المهندس طارق..

جهزت لى مُستخلص مجموعة شركات السحاب؟

- جاهز على التوقيع، افضل سيادتك..

ممتاز.. إلا أنا مش شايف عربيتك بره يعنى!؟

- فى التوكيل، وهتخلص بكره إن شاء الله..

الله يطمناك، أنا خُفت تكون اتسرقت هى كمان، ما هى سرقة  
العربيات أصبحت من عناوين المرحلة..

تعالى أوصلك على سِكتى.

الطريق..

الطريق واقف ليه؟! وياه الدخان ده يا طارق؟!

طيب يا دكتورة هكلمك بعدين..

أنا فوق كوبرى اكتوبر وواضح إن فيه حد قاطع الطريق كالعادة،  
وطبعا معرفش هتتحل امتى.. باى.

- صحيح يا باشمهندس حضرتك تفتكر هتتحل امتى؟! دى  
قربت على سنّة سيادتك!

العلم عند الله يا طارق، وبعدين أنت مستكتر سنة على ثورة قامت  
ضد فساد ستين سنة! لسه بدرى، إحنا لسه فى أول الطريق ولسه  
هنشوف أهوال، أنت بتستقل بعصابة الثورة المضادة!

- مش عارف أقول لسيادتك إيه لكن لو تسمح لى ومن غير  
فضول، أنتهز فرصة حبسنا على الكوبرى وأتمنى لو  
تحكى لى حكاية تكعيبة الحاج توفيق الثرياقى، لأنى  
ملاحظ من كلام حضرتك عنها وكأنها ركن مهم فى  
الحياة بالنسبة لك ولأصدقائك!

والله يا طارق أنا لو اتكلمت عن التكعيبة وقصتها وضيوفا  
الطيبين فلن يكفيني وقفنتنا فى قطع مائة طريق..

- يا خبر وعلى إيه يا فندم، اعمل معروف.. بس احنا نفلت  
من الحبسة دى، والتكعيبة لها رب يحميها.. هههههه.

أنا فعلا وبدون مبالغة بشوف فى التكعيبة صورة مصر التى  
أتمناها من حيث الحرية والتعددية الجميلة والأخوة والمحبة  
الأجمل، فأعضاء التكعيبة أو المندرة كما يُسميها الدكتور نزار أو  
المَجْعرة كما أسمىها أنا، كلهم مُنفتحون بشكل حقيقى ويتناقشون  
فى كل شئ وأى شئ ويدلى كل منهم بدلوه بلا قيود، ولا يُؤثر ذلك  
بأى درجة على علاقتهم بعضهم ببعض ولا على احترام ومودة كل  
منهم للآخر، تجمعهم على ذلك عُروبتهم ووطنيتهم التى هى  
عندهم قُدسُ الأقداس، فمتى نكون مثلهم كشعب؟! أيضا التنوع فى  
التكعيبة مُبدع ورائع ففيها الفيلسوف العلمانى عَرَبِي الثقافة  
والتفكير، مِصرى الخامة، كالدكتور شوقى وهو بلديات الحاج  
توفيق النُرياقى وقريبه وصديق عُمره، هذا الرياضى السِتينى الذى  
يحمل الجنسية الألمانية والذى تنقل بين دول أوروبا لأكثر من  
ثلاثين سنة دارساً ومُدرساً لعلم النفس الرياضى، وقد عَرَفْنَا عليه  
الحاج توفيق عندما قابله فى السعودية قادما من ألمانيا لتأديّة  
العُمْرة، وكُنَّا قد قَدَمْنَا نحن الثلاثة أيضا لتأديّتها صُحبة إبان  
إقامتنا فى الكويت حيث تجاورنا وتعارفنا وتوطدت صداقتنا، الحاج  
توفيق والدكتور نزار وأنا، أما الدكتور نزار فهو أيضا رجل مُتحرّر  
ولكن بنكهة ثورية، طبيب ناجح ومُتقف ومُتدبِن الجذور وشغوف  
بالرومانسية، أما الأستاذ فخر مكرم فهو مُحامى الحاج توفيق  
والمُشرف على استثماراته، وهو مثال للمسيحي الوطنى..

الذى يضع مصر وأهلها فى المقدمة، كذلك المهندس محمد ضياء رجل الأعمال والمقاول الذى صمم ونفذ فيلا الحاج توفيق وصار أكثر من أخ وصديق له بدمه الخفيف ووطنيته التلقائية البسيطة الخالية من المزايدة.

- لكن حضرتك كلمتتى عن الجميع إلا التكمعية وصاحبها! أريحية الحاج توفيق الثريآقي جعلت منا جميعا أصحابا للتكمعية، فهو رجل متدين ودود متصالح مع نفسه يتمتع بذكاء اجتماعى يجعله قادرا على صُنع المحيط المُنتاغم معه.. كنت أتمنى أن أسترسل، لكن أعتقد ان الطريق بدأ يتحرك..

- لا أظن سيادتك.. الموضوع شكْله كبير، فى آخر مرة توقفنا أكثر من ثلاث ساعات..

ثلاث ساعات! حرام عليك يا طارق.. ها هى الدكتورَة تُعاود الاتصال.. أيوا يا ست الكل.. معلى لسه مزنوقين على الكوبرى.. شباب قاطعينه ومولعين كاوتش كثير

شكلهم بيضغطوا علشان تسريع محاكمة مبارك

طب وانا اعمل إيه.. وكمان عندى موعد مع الدكتور نزار

يا ريت بإيدي ولا بإيد أى حد فى مصر..

فى إيد مين؟! فى إيد أمريكا؟! بسيطة اتصلى بالسفارة الأمريكية وقولى لهم طاجن البامية هيبرد.. ههههههه.

واخذ بالك يا طارق، الحاج توفيق الثريّاقي رجل لم أصادف في حياتي أرقى منه خُلُقًا ولا أرحب منه صدرًا ولا أصدق منه وطنية، ومع أنه تخطى الستين إلا أنه لم يزل مُفعمًا بحيوية الشباب، فمنذ أن تعارفنا عليه أنا والدكتور نزار وجاورناه في الكويت ونحن نُعامله ككبير لنا لما يتمتع به من حصافة وعقلانية تستطيع أن تراه وتتعرف على ملامحه وتكوينه بمجرد رؤيتك للفنان عبد الرحمن أبو زهرة لاسيما في أدواره المهيبة التي يلبس فيها جلبابا وعباءة، نفس الهيئة والشكل والطول والعرض وحتى الصوت! موسوعي الثقافة وخصوصا في الدين واللغة، فقد عمل في الكويت لفترة طويلة مدرسا ثم موجهًا للغة العربية إلى أن استقر بمصر في فيلته التي بناها في المقطم وخصص لنا في حديقته الأمامية هذه التكريبية، ويعود الفضل للحاج توفيق في جمع هذه الباقة من الأصدقاء ليُكوّنَ منهم مجتمعا مُصغرا يعيش معاني الحق والخير والجمال من مُناقشاتهم الغنية التي قل أن تجد لِنَتَوَعِّها وتسامحها مثيلا في مجتمعنا!

- حضرتك مُتأكد إن اللي بتحكيه ده حقيقي؟ وفي مصر؟!  
مصر الجريحة المُنهكة المنكوبة بعصابة من أبالسة  
الخراب والتخلف والجهل!

حاشا لله يا طارق ، مصر ليست هؤلاء، مصر أغلبها زى تكعيبتنا  
وأحسن لكنها مخطوفة ومحبوسة..

وطال الزمان أم قصر، لابد ستحرر من الأسر وتنهض وتستعيد مجدها ومكانتها، شريطة أن يكون أبنائها على قلب رجل واحد، ويتقبلوا كل الآراء، وألا يُفسد اختلافهم لودهم قضية.. ساعتها لن تقف بوجههم أية عصابة مهما كان خبيثها وبطشها وجبروتها.

- الحمد لله واضح ان المُشكلة انتهت والطريق بدأ يتحرك..  
حضرتك عَيشتني في المدينة الفاضلة وأنا بسمع قصة  
التكعيبية دى!

الله يخليك يا طارق.. يا ريت تيجي تشرفنا وتشاركنا، الدعوة  
مفتوحة..

- الشرف لى والله يا فندم، أكيد طبعا مش هفوت فرصة زى  
دى.. أسأذن سيادتك تنزلى هنا من فضلك.

مَالِكٌ..

مَالِك واقف مسود وشك كدا ليه يا صابر؟!!

- ولا حاجة يا بيه..

بس الكهريا جاطعة والأسانسير مشغالش.

المهم ما يكونش حد من الأولاد أو السكان اتحبس فى الأسانسير؟

- لا يا بيه.. ربنا ستر.. بس الميه جاطعة هيا كمان.

ربنا يفتحها فى وشك يا صابر.. وسع وسع خلىنى أطلع..

جاتك الغم وانت فقرى زى اللى بينكدوا عيشتنا ويعلمونا الأدب.

- واه.. تُجصد مين يا بيه؟ وانا ذنبى إيه عاد!

طب حضرتك تحمد ربنا انك فى الدور الخامس..

أمال اللى فى الاتناشر يعملوا ايه!

يعملوا إيه؟ يعملوا ثورة يا صابر..

- واللى عملوا ثورة خدوا ايه يا بيه؟ والمرار الطافح اللى احنا

فيه ده من ايه؟ مش من الثورة برضك?!!

ما كنا مجزينها ايام وكانت ماشية!

- بابى حبيبي.. هيه.. جبت لى الفون أنا وعُمر..

حوشى يا هانم عيالك دول عنى الساعة دى.. وانت لحقت تسخنها

على الموبايل يا عُمر أفندى انت كمان..

- أنا .. لا والله.. أنا....

بس خلاص.. من فضلكم .. سييونى أرتاح من السلم..

- إيه يا بطل أُمال ان مَكُنْتش رياضى ورشيق..

بتستخفى دمك يا ست الدكتورَة! دا بدل ما تجيبى لى كوباية ميه!  
كله من طواجن حضرتك اللى بتقطع الطريق والكهربا والميه..

- ليه.. هى طواجن حضرتى فلول ولآ إيه؟ ناقص تقول لى  
إنها عسكر.. ههههههه..

كفاية.. حرام.. ارحمىنى من الطواجن هيطلع لى كرش والدكتور  
شوقى هيبهدلنى فى التمرين.. طيب إيه رأيك إن ما خسيتيش  
العشرة كيلو الزيادة اللى عندك فى خلال ثلاث شهور، هتجوز  
ياسمين السكرتيرة العجفاء اللى عندى فى المكتب..

- العجفاء.. ههههههه.. مش ممكن.. أنت عسل والله.. ما  
هو حضرتك عايزنى أكون عجفاء معصصة زيها، هما  
خمسة وسبعين كيلو آخر ما عندى.. أصلك مابتشوفش  
السنات اللى حواليك فى كل مكان.. وهنروح بعيد ليه انت  
مش هتفوت على الدكتور نزار فى العيادة.. متع نظرك  
فى غابة أشجار الجميز اللى هناك..

شوفى يا هانم، حدك الأقصى فى الوزن هو خمسة وستين كيلو ما  
يزيدوش جرام واحد، هى كلمة، وانا كلمتى ما تنزلش الأرض أبدا..

- حنفي...

خلاص.. تنزل المرة دى.. بس يكون فى معلومك.. ههههههه.. الله  
يسامحك.. شَرقت.. إلحنى بكوباية ميه يا عُمر..

- هيبهه.. الكهريا جت والميه كمان يا بابي..
- الله يبشرك بالخير يا مارية.. شغلى التكيف بسرعة الله يخليكي..
- تقرم نهلة إصبع قدامى الصغير بكعبها من تحت ترابيزة السفرة
- وتجز على سنانها ناظرة لى بتلمظ وتوعد.. هامسة:
- الليلة يا عمدة..
- حَبَكْتُ .. يفتح الله يا حفيظة.. الليلة عندى كتابة وبس...
- يفتح الله! وعندك كتابة! طيب.. مش كاتبة لك ولا نص
- فدان ولا حتى نص جاموسة.. وهتشوف يا عمدة..
- ههههه.. جاموسة إيه! تعال يا عمر شوف مامى بتقول
- إيه.. فدان ونص جاموسة.. هههههه..
- بس يا بنت يا لمضة انتى، وانت كمان يا سى عمر..
- انتو مش أكلتو.. يلاً اتفضلوا على المذاكرة..
- عاجبك كده.. ان ما خلصتو منك الليلة يا عمدة..

آلو.. دكتور نزار.. مساء النور.. جايلك فى معادنا حاضر..  
أخاف نعطل العيادة.. ما نتقابل فى مكان هادى أحسن ونطلع من  
هناك على التكبعية..

ستوديو مصر؟ جميل.. تسعة بالضبط هتلاقيني هناك.

يَا أَخِي..

يا أخى مش عارف لحد امتى هفضل فى العذاب ده.. كل مشوار  
عذاب.. كل حاجة عذاب فى عذاب.. مش ممكن!

إيه يا دكتور نزار جاى متترفز ليه كده،

طب بس ارتاح الأول وخذ نفسك..

هات لمون للدكتور يا محمود.. وهات لى أنا قهوة عالريحة..

- احنا فى كابوس رهيب يا أخى.. نفسى أعرف مين ولاد  
الكلب اللى ورا كل الويل اللى بنشره ليل نهار ده، عايزين  
مننا إيه وبيعاقبونا ويعذبونا على إيه.. هو احنا فاضل فينا  
إيه يعذبوه!؟

هما من حيث ولاد كلب فهما ولاد كلب مصطفى أكيد، لكن حكاية  
إنك ما تعرفش هُما مين، فدى اللى أنا مستغرب منها شوية! أمال  
كنت فى ميدان التحرير إزاي؟! ومع ذلك اشرب اللمون وروق  
وسيبنى استمتع بقهوتى لعلها تُزيل آثار عدوان طاجن البامية  
المُجرم الملعوم بتاع مراتى بنت الإيه المتأمرة..

- أحبك يا ضحية التآمر النسائي انت.. هههههه..

أيوا يا سيدي.. حقا تضحك ما انت مش ملاحق على الإعجاب  
النسائي فى العيادة وعلى الإنترنت.. اللهم لا حسد.

- اسكت بس لو تعرف النار اللي انا فيها، بس انت ركز  
واسمعى وبعدين احكم بنفسك..
- اتفضل يا سيدي.. هات ما عندك.. كلى آذان صاغية..
- أنا فى حالة نفسية ووجدانية، وحتى أخلاقية وسلوكية زى  
الزفت، مش عارف هل للثورة علاقة بحالتى دى؟ لأنى...  
استنى بس.. ثورة إيه!؟
- ثورتنا اللي احنا لايصيين بيها لحد دلوقتى دى وكل طُرقها  
مسدودة.. ثورة 25 يناير الرومانسية الرقيقة البريئة..  
وما لها ثورة 25 يناير! وإيه دخلها فى مشكلاتك العاطفية أو  
النفسية!؟
- خلىنى أشرح لك من الأول، بالتأكيد انت أكثر واحد فى  
الدنيا قريب منى وعاشيت قصة حبي لإيناس وزواجي  
منها بالتفصيل..
- تمام.. بس أنا لا أخفيك أننى مُندهش من التغير العاصف الذى  
طراً على علاقتكما، ولست أنا وحدى، ونهلة مراتى كمان..
- علشان كذا لازم أحكى..
- أنا حبيت إيناس من أيام الجامعة وعجبنى فيها جمالها وشياكتها  
وشخصيتها المتميزة، واتجوزتها وأنا فى أشد حالات الظمأ  
العاطفى، كنت فى حاجة ماسة للحنان وللإشباع الوجدانى..

وخصوصاً بعد وفاة ماما وهجرة أختي سميرة مع جوزها لأمریکا،  
ومن واقع تجربتنا أنا وإيناس فى فترة تعارفنا المليئة بالرومانسية  
وخطبتنا الزاخرة بالهمسات واللمسات، كُنت مُتأكداً من قُدرتها على  
مُنحى ما أحتاجه وأنتظره منها، إلا أننى وَجَدْتُ نفسى أمام إنسانة  
لا هدف لها ولا يَشغُلُ تفكيرها إلا المُتعة الحسية، بل وتعتبر كل  
ما عدا ذلك من مُقدمات رومانسية مجرد وسيلة للوصول إلى  
غايبتها التى هى اللقاء الجسدى المنشود، وإلا فلا قيمة لهذه  
المقدمات ولا لزوم! كُنت أتصور أن زواجى من إيناس سوف  
يُدخلنى الجنة، جنة إشباع الروح والعاطفة وإسباغ الحُب والحنان،  
لكنه أدخلنى النار، نار الحيرة التى تُمزقنى وأنا أسأل نفسى ليل  
نهار: من منا على حق يا تُرى؟! هل ما تطلبه منى هو الطبيعى  
والمألوف من كل إمراة تجاه الرجل، أم أنها تتجاوز المؤلف لغلبة  
الجانب الجسى لديها على الجانب العاطفى، أم أننى من أبلغ فى  
رقتى لأخفى ضعفاً مخبوءاً بأعماقى، أم أنها مشكلتى التى هى  
كوكتيل من الحُب المثالى، والشهوة المنقوصة، والتمرد الكامن،  
والحيرة والخوف، وأشياء أخرى أحسها ولا أفهمها ولا أستطيع  
التعبير عنها؟! أصارحك أننى فعلا لا أعرف! ما أعرفه وما أنا  
مُتأكداً منه تماما أننى لست ضعيفا ولا أعانى من مشكلة فيما  
يتعلق بفحولتى، نعم لست سوبر مان ولا أملك قوة خارقة، لكننى  
على الأقل أحسب نفسى رجلا طبيعيا..

وَلَدَىَ الحد اللازم من القدرة الجنسية العادية.. ناهيك عن نار القلق الدائم من حرصها على تحويل أية لحظة حياتية عادية إلى ممارسة حميمة، كأن يخلو علينا البيت، أو أكون مسترخيا بغرفتي أو مُنفردا راغبا في التأمل أو القراءة! مَلَلْتُ وضَجرتُ لدرجة جعلتني أفرح بنومها وأتمنى أن يطول، وأفرح بخروجها أو انشغالها، وأفرح بسفرها بصحبة الأولاد إلى أهلها لفترات طويلة، حتى أنني أنتظر دورتها الشهرية بفارغ الصبر بعد أن أحالت حياتنا الزوجية إلى خيمة مُستباحة للشهوة، وإذا لم تحصل على ما تُريد تشتعل النار، نار التباعد والتنافر والصمت والاكنتاب! بالله عليك كيف تُكره على تناول ما تشتهيهِ ولكن في غير وقته المناسب، أو أن تأكل وأنت شبعان، أو أن تأكل لأنك مُحرج ولا تريد أن تكسر بخاطرٍ من يدعوك! حاولت أن أفهمها أن العلاقة الزوجية ليست عملية جنسية مُجردة كذلك التي يمارسها أى ذكر وأنثى خارج إطار الزواج دون تناغم نفسى أو روحى أو جسدى، وأنا كزوجين مُتحابين نحتاج إلى حالة من الشغف نحتشد لها حتى يغمرنا تطابق الاحتياج وتوافره وتأكده لدى كلينا وليس لدى واحد دون الآخر، نحتاج إلى توافق عقارب مُنبه الرغبة الداخلى لدى كل منا لينطلق رنينه مُؤذناً بالحاجة إلى لقاء الأجساد فى نفس اللحظة، وأن هذا الخليط من احتشاد الشغف وتطابق الاحتياج وتوافق عقارب مُنبه الرغبة..

كفيل بأن يُشعرنا بالنشوة الجنسية حتى ولو لم تُتَّح لنا الفرصة لنحققها فى الواقع فعلا! فأحيانا لا تكون الورود ولا الشموع ولا الموسيقى ولا العطور ولا الإغراءات كافية لإخراجك من حالة تعتريك وتستغرقك ولا تستطيع التعبير عنها أو البوح بها أو الاعتذار بسببها، لاسيما فى جو الإغواء الذى أُعد لك بإحكام كمصيدة لا تملك منها فكاكأ، ما يضطرك لإظهار التجاوب والانسياق إلى فراشك المحتوم بعد أن تكون حالتك النفسية السلبية قد سبقتك إليه لئتنثر على فرشه الحريري أشواك الفشل، وللأسف لن يختلف البديل المتمثل فى الاعتذار والانسحاب من البداية عن هذا السيناريو كثيرا.. فكليهما سيُحسب عليك فشلاً!

واضح يا دكتور انك تأثرت برواية باولو كويليو "إحدى عشرة دقيقة" وفيها أيضا يقول: أن الجنس بلا عاطفة هو عنف نمارسه على أنفسنا! عن نفسى بدأت أستنتج أن كليكما، أنت والدكتورة إيناس، تنظران إلى الأشياء من منظورين مختلفين متناقضين متباعيين، ما أدى إلى هذا التجافى المتصاعد الذى لم يدع لأى منكما فرصة ليضع نفسه مكان الآخر أو يقابله فى منتصف الطريق!

- كنت أتمنى أن نلتقى فى منتصف الطريق، لكننى

اكتشفت أن الهوة بيننا اتسعت حتى صارت وكأنها أخذود!

أصبحت أمقت نُقْب الرغبة اللعين المفتوح في مُقدمةِ كلِّ منا  
كثُعبانٍ فَاغِرٍ فَاهُ لابتلاع كل طاقتنا وتفكيرنا ولحظائنا الجميلة،  
هذا النُقْبُ الذی يُنتهكُ منه الجسد وتُغتصبُ منه الروح في أحيان  
كثيرة!

وما الغريب في هذا يا دكتور نزار وانت طبيب وسيد العارفين  
وعارف ان كل البشر ذكرانا واناثا يعتبرون اللمسات الرومانسية  
من همس وتقبيل وضَم ما هي إلا مُقدّمات لنتيجة أساسية وشبه  
حتمية، أو لتلبية حاجة بيولوجية فطرية ضاغطة اسمها الرغبة  
الجنسية أو الوطأ، حتى القرآن الكريم سماها مُقدّمات لشئ ما، قال  
تعالى: "نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ، وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ.."  
الآية، سورة البقرة 223

- ونعم بالله، أنا لست معترضاً على النتيجة التي ستؤول

إليها المُقدّمات، ولا أشكو من عيب يحول بيني وبين أدائها على  
أكمل وجه والحمد لله، كل ما في الأمر أنني لا أستسيغ ولا أحتمل  
أن تكون النتائج هدفاً مُجرداً مُستقلاً بذاته إما أن يصل أحد  
الطرفين بتودُّده إلى تحقيقه وإما يَسْخَطُ ويبغض! أعرف أن  
طبيعتي مختلفه وتكويني بالغ الحساسية، فأنا لا أستسيغ فكرة  
الإستغلال أو الإبتزاز أو الانتهازية..

ولا أظيق أن تتعامل معى المرأة بتودد ولطفٍ لتستدرجنى بشتى السبل للوصول إلى هدف حيواني يشغلها من البداية وإذا شعرت أنه لن يتحقق لأى سبب، تُلقي بالورد وتُطفئ الشمع وتُخرس الموسيقى، لأن ذلك كله لم يكن من أجل سواد عيوني، لكنه كان لمآرب أخرى! الحُب عندى يا سيدي حرية واستقلال وليس تملكاً واستغلالاً، فأى إهانة تلك التى تُمثلها هذه النظرة من المرأة للرجل أو العكس، نظرة أحدهما للآخر على أنه مجرد أداة للإمتاع الجسدى، أما قلبه وروحه ووجدانه ونفسيته وكرامته وإنسانيته وتناغمه وسعادته فليس مُهما، المُهم أن تنام زاوياً لتَحُم بالليلة التالية!

دكتور نزار أنا فعلا مُندهش، فلم يسبق لى أن انتبهت لهذه الجوانب النفسية العميقة أو نظرت للمسألة بهذا الشكل الفلسفى، لكن هل ناقشت هذا الأمر مع الدكتورة إيناس؟

- أووه مرارا وتكرارا ودون جدوى، فهى تعتقد أن المسألة

لا تعدو أن تكون خلافا فى الطبع! بمعنى أننى لا أشعر بالحُب ولا أجد أثره ولا يصلنى طعمه إلا باللمسات الرومانسية المجردة أو المنزهة عن الغرض والمتحررة من حتمية النتائج الحسية..

أما هي فلا تشعر بالحب ولا يصلها تأثيره ولا مفعوله إلا بانتفاضة الروح والعقل، ورعشة الأعصاب والقلب وإرتواء الأعضاء والجسم،  
يعنى باختصار بالوصول إلى الأورجازم!

نزار .. مع أنك ضاعفت حيرتى وأشعلت نيران فُضولى ولكن ما علاقة هذا كله بالثورة؟!

- بعد مشاركتى المباشرة فى دحر هجوم الجِمال والخيل

والبغال على ميدان التحرير يوم 2 فبراير فيما عُرف بعدها ب"موقعة الجمل" حدث لى تغير مفاجئ، وكأن ثورة موازية اندلعت بداخلى فقَدَحَت فى قلبى وعقلى وفكرى شرارة من الشعور بالثقة بالنفس والرغبة فى التمرد، وأخذ هذا الشعور فى التصاعد حتى بعد عودتى من الميدان عقب انفضاض المولد بتتحى مبارك، أو كما سَمِيته أنا بعد زوال السكرة وعودة الفكرة بتغيير قناع النظام..

أنا متفق معك يا دكتور تماما فى حكاية تغيير قناع النظام دى ولكن خيلنا فى موضوعنا وخط إيدي على لحظة تغيير نظامك انت، ما هو سبب التغيير؟! وما هى النقطة الحرجة التى حدث عندها هذا الانقلاب فى علاقتك انت وإيناس؟ تلك العلاقة التى كانت تبدو للجميع مستقرة بل مثالية!

- أثناء وجودى مع الشباب فى الميدان، وخصوصا بعد

موقعة الجمل، بدأت أشعر أننى أصبحت حُرّاً تماماً وأننى أملك وطنى، أملك إرادتى، أملك قرارى، وأننى أستطيع أن أفعل ما أراه مناسباً دون خوف من أحد، وأن أحداً لن يتحكم بى أو يقف فى طريقى بعد اليوم، فجينات الخوف والتردد قد تلاشت من تكوينى تماماً، ولم أعد أرى أى مبرر للصبر على أى شىء يزعجنى أو يقهرنى، أصبحت أرى الرضا بالواقع ومعايشة المنغصات والصبر عليها محضُ سخافة! لذا كان من الطبيعى أن تمتد ثورتى إلى علاقتى بإيناس، تلك العلاقة التى طالما كتمتُ طويلاً رفضى للأساس الذى بُنيت عليه، كونها قائمة على ما يُشبه شكلاً من أشكال الاستغلال الجنسى الانتهازى من أحد الشركاء للآخر، وبما أنه لم يعد أى شىء يحتمل السكوت، فقد حان وقت الثورة عليها وعليه والبدء فى التغيير، أو السير فى مشوار البحث عن الحُب الذى أريد وأتمنى.

أعتقدُ يا دكتور أننا بحاجة لأن نفهم: هل مشاركتك فى أحداث الثورة كانت سبباً فى ثورتك أنت أيضاً على واقعك الذى كنت تُظهر تقبلاً له وتعايشاً معه من قبل، وهل هذا يعنى أن للثورات تأثيراً نفسياً وسلوكياً على العلاقات العاطفية والاجتماعية؟! على كل حال قوم بنا على التكيفية فقد تأخرنا عليهم، ونكمل بعدين.

**تَعْرِفَ يَا دَكْتور..**

تعرف يا دكتور نزار أننى كلما صعدت إلى المُقَطَّم وأَلَقَيْتَ نظرة على قاهرةِ المُعزِ الحزينة رأيتها وكأنها سجن كبير تَمَرَدَ المساجين فيه على السجَّانِ حتى أُضطر أن يفتح لهم فتحة صغيرة مؤقتا لِيُذهِبَ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَسْتَنْفِذَ رصيدَ غضبِهِمْ، حتى إذا دب بينهم الشقاق وتفرقوا واقتتلوا، عِنْدَهَا سَيَعْبُدُ السجان غلق السجن عليهم فجأة ولكن بشكل إنتقامى أشد قسوة وإحكاما..  
لما لا تُعَلِّقِ يا دكتور؟ يبدو أن كلامى لم يُعجبك!

- أبدا أنا بس خايف ومش مرتاح، يمكن أرتاح نسبيا وأحس بالأمان عندما نأوى إلى ركن تكعيبة الحاج توفيق الثرياقى حيث الأصالة والترحاب وأنس الصُحبة..

فعلا يا نزار والله ساعات بحس إن التكعيبة دى هى مصر الافتراضية التى تحتوينا فى حضنها وتحتمل كل عيوبنا وأخطائنا وخلافاتنا بصبر أيوب وخوف موسى وابتسامه محمد، كُلِّ لِقَاءٍ بالحاج توفيق يُدهشنى أكثر، كيف يحتفظ هذا الرجل بهُدُوءِهِ الحكيم وصبرهِ الجميل!

- إلا صبره الجميل ده.. مين زيه يحتمل زوجة مريضة لم تُتَّجِبَ له وهو ميسور الحال ولم يزل فى عز صحته، ويترك اللهاث خلف الدنانير ويبنى لها فيلا جميلة ويتفرغ تماما لخدمتها!

لأنه ممن يعتقدون أن الحُب الحقيقي لا يحدث إلا مرة واحدة  
ولمحبوب واحد لا يتكرر، وهو يرى نفسه أكبر وأزهر من أن يتخلى  
عن حُبِ عُمَرِه وكأنه وَرْدٌ اشتراه وَذَبْلٌ!  
- يا أخى هذا الرجل يجعلنى أخل من نفسى وأنا أصطنع

مائة مشكلة وأدخل فى مائة تجربة وأقع فى مائة خطأ لمجرد أننى  
أشعر أن شيئاً ما ينقصنى فى علاقتى بزوجتى، وهو يخلق البدائل  
التي تشغله وتستنفذ طاقته وتوفر له أشكال الإشباع الروحي  
والعقلي، من العبادة والقراءة إلى رعايته لزوجته والتقاءه بأصدقائه  
وعنايته بحديقته حتى استطاع أن يجعل من هذا البيت وطنه  
وأسرته وحياته!

تفتكر يا نزار الحاج توفيق قاصد يقدم لنا القدوة؟ تفتكر إنه عايز  
يقول لنا اننا نقدر نعمل كل حاجة لو صدقت نيتنا وقويت إرادتنا،  
وساعتها ممكن نلاقى مصر جميلة وظليلة ومضيافة زى فيلا  
الحاج توفيق، وكمان ممكن نلاقى نفسنا صابرين وهاديين زيه  
كده! ها نحن نقرب من فيلا الحاج توفيق الترياقى، تلك الياسمية  
العاطرة المخذقة التي تسترخى بدلالٍ وَسَطَ أشجار الكافور  
والليمون والبرتقال والجوافة ونخيل البلح المثقلة بطلع نضيد،  
تستقبلك بفتحٍ فى صدرِ بلورَتها البيضاء لتدخلها مُتهاديا بين  
صُفوف الورد البلدى والنعناع والريحان..

حتى تحْتَضِنَكَ فى تَكْعِيبة خشبية فسيحة احتلت شِقَ حَديقَتِها  
الأيمن الغارق فى الهواء البحرى الطَّري، كَسَتْهَا بِدَانْتِيلا من لَبابِ  
الياسمين الأبيض والجهنمية الحمراء والبنفسجية لِتبدو وكأنها  
طَرحة عُرس! وقد ألحق بها الحاج توفيق حماما صغيرا، ورُكْنَا  
لِتَقْدِيمِ المشروبات وآخر للصلاة، وعهد إلى شَابٍ بَسِيطٍ حَسَنُ  
الهندام شديد التَّهذيب، أحضره الحاج من مسقط رأسه بميت بشار  
بالشرقية، لِيَقُومَ على خدمة التكعيبية ومن يَغْشَاهَا فى أى وقت  
بذوق ونشاط.. دكتور نزار وأنا فى صوت واحد:

السلام عليكم ورحمة الله، إيه الجمال ده، الجمع مُكتمل!

- وعليكم السلام ورحمة الله، هلت الأنوار، كنا لسه فى  
سيرتكم من شوية والله.. يِنفع الغياب دا كله!
- معلىش يا حاج توفيق، شوية مشاغل..
- مشاغل إيه انت وهو دى! خلاص حضراتكم أصبحتم  
رايحين جايين تُخبصوا زى ما تكونوا توأم ومش فاضيين  
لنا، واحد مشغول بالمُزَز والتانى بالفتيس بوك..
- ههههههه.. كده برضه يا باشمهندس ضياء.. توأم ومُزَز  
وفتيس.. هههههه.. هقولك إيه ما انت مقاول..
- طب والله الواد ضياء ده سُكرة، إديهم كمان يا ضياء أصل  
أنا متعاظ منهم، وخصوصا من دكتور الجميلات ده..

- وانت كمان يا دكتور شوقى، الله يسامحك.. ما تقول حاجة يا أستاذ فخر.. ولا أنت معاهم انت كمان!
- أنا!! أنا حمامة السلام هنا يا جماعة، بشجع الضحكة الحلوة، واصلح النفوس بس.. ههههههه..
- أضحك الله سنكم، والله قبل ما تشرفوا كنا قاعدين حاطين

إيدنا على خدنا ومسهمين بعدما حارت عقولنا فى تفسير ما يحدث فى مصر من أغاز منذ وقوع الثورة فى فح التنحى يوم 11 فبراير، بدءا من لغز الاستفتاء على التعديلات الدستورية وما أعقبه من حشر مواد لم يشملها الاستفتاء لتصب فى صالح جهة محددة وتقوى قبضتها على الأوضاع وتضمن تأثيرها على مجريات الأحداث، ومرورا بلغز تجربة عصام شرف المهينة الفاشلة، ثم حبس المخلوع ونجليه فى استجابة بدت تكتيكية لضغط مليونية الميدان فى أول أبريل، وأغاز الاعتداء على المسيحيين وكنائسهم والتي يبدو أنها اللعبة السهلة والمفضلة لدى اللاعبين حتى بلغت ذروتها فى مذبحه ماسبيرو، ثم وثيقة السلمى التي كانت بمثابة أول إعلان سافر ومُتحدى عن التنظيم الحقيقى الذى يحكم البلاد وعن مطالبه، وكانت إشارة البدء لمعركة تكسير العظام مع الثورة، والتي اتفقنا جميعا على أن أحداث محمد محمود لن تكون آخرها، بل الذى يبدو أن القادم سيكون أشد قسوة ودموية!

والآن.. ما هي أخباركم وماذا وراءكم؟

يا نيازي.. شوف طلبات البهوات يا ابني..

الحمد لله.. والله يا حاج توفيق ونحن أيضا في الطريق إليكم كنا نُدُنُّنُ حول بعض الخواطر والأفكار التي تتعلق بالحالة المصرية أو الحالة الثورية بمعنى أدق، ممكن دكتور نزار يطرحها بين أيديكم للنقاش..

- عظيم جدا، وفرصة إن الدكتور شوقي منورنا كي نستفيد من تحليلاته العلمية.. ولأيه يا دكتور..
- طبعا يا حاج توفيق، هاتوا ما عندكم كلى آذان صاغية.
- فى الطريق إلى التكيبية كنا نتناقش فى ثلاثة انطباعات

تَصِفُ الوضع الآنى فى مصر: أولها يرى مصر كجسم مريض مُهدد بالموت ومع ذلك فهو يرفض ويقاوم بِشدة قَبُول قلب زُرع فيه لِإنقاذ حياته، مع أن هذا القلب من طِينهِ وَدَمِهِ ومن زَهْرَةِ شبابه! أما الانطباع الثانى: فكان عن شعورنا يوم تتحى مبارك بأنه انْفِضَاض هوجة وبداية خِدعة أو مُؤامرة جَهَنمية لاستبدال قِناع جَدِيد لم تتضح مَلامحُه بَعْد، بِقِناع قَدِيم مُهْتَرئ انتهى دَوْرهُ وأضحى مُستهلكاً مَرْفوضاً، أما الانطباع الأخير: فهو عن نَظَرَتِنَا إلى القاهرة المُرْهقة المَخْنُوقَة المُلْبِدة بالسُحب السوداء..

والتي تُعد مِرآة لمصر كلها وما تَعلى به من أحداث عنف لا تهدأ أو تتوقف، وما يُصَبُّ على رأسها منذ بداية الثورة من مؤامرات ومكائد بلا هَوادة ولا كَلل ولا مَلل، وكأنها سِجَن كَبِير انْفَتَحَتْ إِحدى بَوَابِته بِضَغْط من المساجين فَتَرَكهم السجان، مُوقْتاً، في غمرتهم يلهون ويلعبون ويتنافسون ويتشاجرون وينقسمون حتى يتقاتلون، في الوقت الذي يَسْتَجْمَعُ هو قِوَاهُ الباطشة، وفي لحظة ما يكون فيها قد استعاد سيطرته، سَيُعِيدهم إِلى السِجَن لِئُحْكِم إِغلاقه عليهم ألف مرة أَشد مما كان! فما رأيكم!؟

- والله أَنَا شايف ان مثل هذه الهواجس أو الانطباعات تَرَد

على أذهاننا وأذهان الكثيرين تحت وطأة القصف الذي ينهال علينا ليل نهار من العصابة الرافضة للثورة أو المتضررة منها، ومن الممكن أن تكون تلك الهواجس في مُجملها صحيحة وتُجسد ما يَعتَرى الجميع من حيرة وخوف وقلق، لكنها ليست كافية لتوصيف الحالة الآنية التي نحن بصددِها، فالحالة شديدة التعقيد وستحتاج إلى وقت وجهد لرصدها وتحليلها، لكن يهمنى أسمع رأى حضراتكم الأول.. اتفضل يا أستاذ فخر..

- كنت عايز أقول حاجة بالنسبة للانطباع الأول الذي

يُصَوِّر مصر جسدا عليلا يرفض قلبا مزروعا..

ربما يُنفِذه من موت مُحقق، وهى أن مصر ليست هى من يرفض الدواء ولا العلاج ولا القلب المزروع من طينها ومن دمها ومن زهرة شبابها كما تقولون أو تصفون أو تظنون، بل هى العصابة التى ترفض ذلك! نعم العصابة التى تأبى أن تتناغم مصر مع القلب الجديد لتعيش وتنهض سليمة قوية صحيحة مُعافاة، العصابة هى التى لا تريد لمصر الشفاء أبداً، لأن مصلحتهم ومكسبهم فى أن تظل مصر مَيِّتة إكلينيكية إلى الأبد!

- ولكن ماذا.. أو من.. تقصد بالعصابة يا أستاذ فخر؟!
- وهو فيه حد برضه ما يعرفش العصابة يا جماعة.. معقول؟!
- ما علينا من العصابات دلوقتى يا أستاذ فخر.. انت رأيك إيه يا ضياء بيه؟
- مش عارف ليه لما قال ان السجن مفتوح مؤقتا والمساجين

مُنهمكين كل فيما يرى أنه فى مصلحته أو مصلحة من يتبعهم، قَفَزَتْ إلى ذهنى صُور من يُسمونهم النشطاء وهم يتسابقون فى سفريات مشبوهة ويتقافزون بين السفارات والصُحف والفضائيات، ولا أدرى إن كان هذا بعلم السجان الأكبر، أو زعيم العصابة على رأى المتر فخر، أو دون علمه أو بالتنسيق معه أم لا؟!

- طيب وهذا المقر المُنتصب بالقرب منا هنا بالمقطم، هل جاءت إقامة الإخوان له على أعلى نُقطة تُطل على القاهرة مُجرد مُصادفة؟!

- أيوا صحيح يا دكتور شوقى كنت تعالى شوف الافتتاح العالمى اللى كان هنا السبت اللى فات!

- صحيح يا حاج توفيق كيف تُفسر مُسارعة الإخوان

لافتتاح هذا المقر وتنصيب مرشدهم على كرسي مُذهب وعن يمينه علم مصر، لتصدر صور استقباله لوزراء خارجية ومسؤولين وسفراء من دول العالم صفحات الجرائد ونشرات الأخبار، فأى استفزاز هذا، وكأنهم دولة موازية!

- والله أنا كمان مستغرب يا جماعة، طول عُمرى أعرف ان

الإخوان فى أدبياتهم وفى فكر مرشدهم الأول ومؤسس جماعتهم يرفضون أو قُل يتحفظون أن تكون الثورات الشعبية أداة للتغيير، لا أدرى ما الذى جعلهم تُورجِية فى يوم وليلة هكذا؟!

- فعلاً ده صحيح يا ضياء وأنا لسه لحد النهاردة حافظ

المقطع ده للشيخ حسن البنا فى رسالة المؤتمر الخامس اللى بيقول فيه: " وأما الثورة فلا يُفكر الإخوان المسلمون فيها..

ولا يعتمدون عليها ولا يؤمنون بنفعها ونتائجها، وإن كانوا يُصارعون كل حكومة في مصر بأن الحال إذا دامت علي هذا المنوال ولم يُفكر أولو الأمر في إصلاح عاجل وعلاج سريع لهذه المشاكل، فسيؤدي ذلك حتما إلي ثورة ليست من عمل الإخوان المسلمين ولا من دعوتهم ولكن من ضغط الظروف!"!

بس ده كان كلام الشيخ البنا فى الأربعينات لكنه كأى أفكار، مع الوقت تكون قابلة للتطوير والاجتهاد والموائمات السياسية، بالضبط كما اجتهد الإخوان فى مسألة العمل الحزبى بعد أن كان مرشدهم مُتحفظا عليه فى البداية أيضا! ولذلك أنا أعتقد أن الأحداث داهمت الإخوان وباغتتهم وفرضت نفسها عليهم ووضعتهم فى قلب التحدى الذى جردهم من ترف الاختيار بين النكوص أو المشاركة، وإن كنت لا أستريح لأسلوب الاستعراض هذا وأعتبره استعجالا ولا أدرى أهو ناتج عن نرجسية وثقة زائدة بالنفس تصل إلى حد الغرور، أم أنه خطأ من الإخوان فى قراءة المشهد؟!

- وليه ما يكونش الاتنين يا حاج توفيق، غرور وخطأ فى القراءة؟

- يا دكتور نزار أنا أعرف هؤلاء الناس جيدا، فقد كنت قريبا

من بعض قياداتهم بحكم الجيرة فى مصر زمان..

وكذلك أثناء إقامتى فى الكويت، وبشاء المولى سبحانه أن أكون  
جارا للقيادة المركزية العالمية هنا فى المقطم!

- لكن إيه الغريب فى كده يا بهوات؟ أى حزب فى الدنيا  
رئيسه بيقابل أى حد!

- أيوه.. بس الإخوان مش حزب يا ضياء بيه، والمرشد مش  
رئيس حزب!

- الإخوان ليسوا وحدهم من يتصرفون بهذا الشكل، فالكل

مُعْتَرِّ بقوته الوهمية ومُتَعَجِّل قطف ثمرة الثورة، وفى غمرة  
استعجاله لا يستطيع أن يتخيل أو أن يفهم أو يقتنع أن هناك فاعل  
رئيسى كبير قابع فى مكان ما، لا أدري إن كان فردا أم مؤسسة،  
جهازا أم أجهزة، دولة أم دُولا، لكننى على يقين أنه يرصد كل هذه  
الرؤايد ويتحكم فى مجراها من بعيد لِنَسْلُك الطريق الذى يريده هو،  
وتسقى زرعهُ هو فى نهاية المطاف، وهذه هى قناعتى التى تتأكد  
مع الأيام.

- وتفكر الكنيسة ضمن هذه الرؤايد المُنْدَفَعَة المَغْرُورَة يا  
أستاذ فخر؟

- أكيد يا دكتور نزار، بل هى فى مُقَدِّمَتهم، وكيفك أن تنتظر

إلى المكانة الإمبراطورية التى يضعون فيها البطريرك..

وما يُنشئه رجال أعماله من أحزاب وما يُمولونه من كِياتات ونُخب  
وقضائيات، ولو اجتمع أهل الأرض فلن يُقتعوهم أنهم ماضون إلى  
الهاوية!

- للأسف كلهم ماضون إلى الهاوية يا أستاذ فخر، لكن  
اسمح لي يا دكتور شوقي، ما مدى تأثير الثورة على  
سلوك الناس وأفكارهم؟
- أيوا صحيح ده سؤال مهم يا دكتور شوقي..
- حاضر يا حاج توفيق.. بس نيازي يعمل قهوة.

يَهْمَنِي..

يهمنى فى البداية أن أكرر وجهة نظرى التى لم أزل  
مُقتنعا بها، حتى الآن على الأقل، والتى أعتبرها تفسيرا لانطباع  
أو شعور الكثيرين بأن تتحى مبارك كان محض تبديل أقتعة وأنا  
لم نفعل فى 25 يناير أكثر مما فعله جماعة من المساجين الذين  
تمردوا وكسروا أحد أبواب السجن فى غفلة من السجان لينعموا  
ببعض الحرية قبل أن يتم القبض عليهم مرة أخرى! ورأى أن  
سبب هذا كله أن 25 يناير لم تكن ثورة بقدر ما كانت انتفاضة أو  
هُوجة أو هبة عاطفية لم تكتمل فى وجه رجل مكروه من أحرار  
شعبه، لكن الثورات حالة مختلفة تماما، فالثورات تنشأ نتيجة شعور  
متراكم بالسُخط الشديد تجاه وضع خاطئ قائم، ما يجعل هذا  
السُخط ينفجر لإيجاد وضع جديد يؤدي إلى حالة من الرضا  
والشعور بالعدالة! وفى تعريف آخر فالثورة هى حالة انفجار عام  
تحدث لإسقاط السلطة الحاكمة فى البلد نتيجة للضغط الشديد  
الذى يقع على الشعب جراء الظلم وغياب العدالة والاستعباد  
والإهانة وكبت الحريات وسوء الأوضاع الاقتصادية وانعدام الأمل  
فى الإصلاح، يعنى نحن بصدد اقتلاع منظومة حكم كاملة وليس  
مجرد التخلص من فرد أو شلة نهيص شوية لحد ما يمشى  
حضرته أو يمشوا حضراتهم ونزگرد ونرقص ليلة فى الشوارع  
وبعدين كل واحد يروح لحاله! فالثورة يا سادة إما أن تنسِف نظام  
البرمجة المُستبد المُتخلف القديم..

لِنُعِيدَ برمجة العقل الجَمَعِي على منظومة الأفكار والسلوك التي تُحَقِّقُ قِيمَ الحُرِيَةِ والديموقراطية والعدل، أو أن تفشل في ذلك فَتُحَدِّثُ رِدَةَ أعنف إلى الوراء، الثورة احتجاج صاخب لتغيير الوضع القائم، سواء إلى وضع أفضل أو ربما إلى وضع أكثر منه سوءا..!!

- وضع أكثر منه سوءا! ربنا يطمناك يا دكتور شوقي.
- طول بالك يا ضياء بيه..
- لكن لو تسمح لى يا دكتور شوقى أختلف مع ما توصلت إليه من نتائج، وإن اتفقت مع ما أوردته من تعريفات..
- اتفضل يا حاج توفيق..
- أعتقد يا جماعة إن 25 يناير لم تكن هُجَّة وانفضت

برحيل المغضوب عليه لكنها كانت ثورة، نعم ثورة حقيقية مَجِيْدَةٌ ورائعة ورائدة انطلقت شرارتها فى 25 يناير على يد ثُلَّة من خيرة أبناء مصر توحدوا على قلب رجل واحد وضربوا أروع الأمثلة فى السليمة والتحضر لِيَشُقُّوا لنا الطريق، الطريق الذى أفتتح بسقوط الطاغية الرمز وسيظل الأحرار يسلكونه وَيَعُزُّونَ السير فيه، فمنهم من قَضَى نَحْبَهُ ومنهم من ينتظر مهما طال الوقت وتعاضمت التضحيات، وما أفدح ما سيقدمون من تضحيات كلما اقتربوا من رأس الأفعى فى المراحل المُتقدِّمة من مسيرة الثورة..

حتى يصلوا إلى نهايتها ببناء مصر الحرة المثحضرة القوية الغنية الرائدة.. فقط أردت أن أؤكد لحضراتكم أن يوم 25 يناير كان بداية انطلاق الثورة التي لم تزل تُعافر إلى الآن، لكنها ستظل مُستمرة.

- أنا أيضا أعتقد ان توصيف الحاج توفيق فى محله ولا يختلف عليه اثنان..

- وده رأيي برضه يا دكتور نزار بدليل ان الثورة لسه مستمرة وبتتاكف فى ولاد الحرام رغم ما يواجهها من أهوال بره وجوه!

- ليكن يا باشمهندس ضياء، ولكن دعونى أكمل إجابتى ثم

نستأنف النقاش.. بالنسبة لظاهرة إصرار الجسم المريض على طرد القلب المزروع رغم أن فيه إنقاذ لحياته، وطبعا حضراتكم أكيد تقصدوا الموقف السلبي الغريب لقطاع كبير من الشعب الراض للثورة والتغيير رغم ما ذاقوه من دُل وهوان على أيدي من استعبدوهم ونهبوهم، على اعتبار أنه ليس فى الإمكان أبدع مما كان، وهذه الحالة تُعتبر تجسيدا لـ "مُتلازمة ستوكهولم" الشهيرة أو (Stockholm Syndrome) والتي اكتشف العالم من خلالها حالة تماهى الضحية مع جلاده وتمسكه به وتعاطفه معه ودفاعه عنه! وذلك عندما هاجم أحد عُنّاة الإجرام الهاربين بنكاً فى مدينة استوكهولم بالسويد سنة 1973 واحتجز عددا من موظفى البنك..

لمدة ستة أيام تقريبا، وعندما حاولت الشرطة إنقاذهم إذا بالموظفين الضحايا المَخْتَطَفِينَ يواجهون رجال الأمن الذين يريدون مُسَاعَدَتِهِمْ ويرفضوا أن يتركوا خَاطِفِيهِمْ! وبعد تحرير الرهائن، ورغم ما عاثوه على يد خاطفيهم، إذا بهم يُدَافِعُونَ عن هؤلاء الخاطفين وعن مَبَادِيهِمْ، بل وبدءوا فى جمع التبرعات للدفاع عن خاطفيهم أمام القضاء! وبدراسة حالة المَخْتَطَفِينَ النفسية وحالات لأشخاص آخرين واجهوا ظروفًا مشابهة فى أماكن وأزمنة أخرى، تم التعرف على هذا الاضطراب النفسي المتمثل فى تَمَاهى الضحية مع جلده والذى سُمِيَ بـ"مُتلازمة استوكهولم"، والذى أرجو أن يكون قد قَدِمَ تفسيرًا لحالة رفض قطاع كبير من الشعب لِيَدِّ مُضْرَجَةً بدماء أعلى أبنائه تمتد له لِتَزْرَعَ له قلبًا جديدًا صنعتة من قلوبهم لِيَقْوِيهِ على التَّحَرُّرِ من خاطفيه! أيضًا.. كما ان هناك عوامل نفسية سلبية لعبت دورًا فى اندلاع الثورة، كالخوف والإحباط والقلق الشديد والغضب العارم من تفاقم الظلم والقهر والحرمان والقمع، فهناك أيضًا تأثيرات نفسية إيجابية تُحدثها الثورة فى المجتمع أو فى الناس أو فى الشعب، كتصاعد الشعور بالحرية والانطلاق والتفاؤل بأن المستقبل سيكون أفضل، مما يجعل الناس يفكرون بشكل إيجابي ويستعيدون روح الفريق رغم ما بينهم من تنوع واختلاف، كما حدث فى ميدان التحرير فى الأيام الثمانية عشرة التى سبقت سقوط مبارك..

فمجرد ذكر كلمة الثورة وشيوع روحها في الأجواء زاد من ثقة الناس بأنفسهم وفي قدرتهم على التغيير، وان اتخذ في البداية شكلاً يَنزِعُ إلى التمرد والاندفاع والتسرع والفوضى كأى بخار يندفع من مرَجَلٍ بعد طول احتباس.

- آه لو كنا كملنا بالروح الإيجابية دى، كان زماننا فى المدينة الفاضلة..

- مش بالسهولة دى يا أستاذ فخر، الثورة بدأت من الصفر وهى تواجه أعتى الكيانات الراسخة الجبارة وأُرسها!  
- المهم يا جماعة إن الطاقة النفسية الإيجابية المتمثلة فى

روح التفاؤل وارتفاع معدل الثقة بالنفس والشعور بالاستقلالية والتحرر الناتج عن حالة الثورة، دا كله بيساهم فى تحسين الصحة النفسية للناس لشعورهم بنشوة النجاح والقدرة على تحقيق الذات..

- لكن يا دكتور شوقى، هل هذه التطورات النفسية، الإيجابية منها أو السلبية، تؤثر على الحالة العاطفية والجنسية أيضاً؟!

- مؤكد طبعا يا دكتور نزار، فالحالة العاطفية والجنسية..

هما أول ما يظهر عليه التأثير النفسى للثورات، فإما أن يأخذ هذا التأثير شكل استعجال واندفاع ورغبة فى التمرد..

على وضع سلبي في العلاقة العاطفية أو الجنسية طال الصبر عليه من قبل عجزا أو نفورا أو اضطرارا، أو أن يُعيد الروح إلى هذه العلاقة بدعته لثقة الأفراد بأنفسهم ويُعيد إليهم إحساسهم بوجودهم وكيونهم وبتحرر إرادتهم، مما يُعطى علاقتهم زخما جديدا ويزيدها رسوخا ومتعة.. وبالطبع هناك نقاط أخرى عن التأثيرات النفسية للثورة ربما نتناولها في فرصة قادمة إن شاء الله.

- لا فض فوك يا دكتور شوقى.. يلا.. تصبخوا على متلازمة استوكهولم.. ههههههه..

- استنى يا نزار خدنى معاكم.. عربيتى مش معايا..

- تنور يا دكتور.. اتفضل.

- إلاً قولى أيها الأديب الزاهد، على رأى الحاج توفيق، بذمتك انت زاهد انت؟ دا انت ميه من تحت تبين..

عملتك إيه بس يا دكتور شوقى.. دا انت حبيبي..

- حبيبيك! حبك بُرص، مش كفاية المواضيع اللي بتفتحتها انت والواد الدكتور نزار السُهْن ده، وتخلونى اسخن واقعد اجعر لما يتقطع قلبى كل يوم فى التكريية، وحضرتك غرقان فى المشاريب انت وهو، انت عايز تقنعنى انك مش خلبوص زيه ولك مُعجبات يا نمس؟ هه..

منين بس يا بيه ومراتى منعانى أحط صورتى على مؤلفاتى، حتى على الفيس بوك مسمى نفسى طائر الفينيق وحاطط صورة أبو قردان.. ههههههه..

- إيه ده.. للدرجة دى مراتك مُتسلطة ومريضة بداء الغيرة؟!!

هى لا تراها غيرة أنثوية مَرَضِيَّة بقدر ما تراها سِياجا مُحَكِّمًا تَضْرِبُهُ حولى لحمايتى من فِخَاخ التعارف على السوشيال ميديا والذى يبدأ بريئًا مُحَافِظًا وينتهى جريئًا عاصفًا، وهذه هى الطريقة الوحيدة من وجهة نظرها لحمايتى من عوامل التَعْرِية.. ههههههه..

- لكن مقولتليش.. انتوا لسه بتدخنوا فى أوضة النوم؟!!

أنا ماليش دعوة، هى اللي بتوزنى وتعلمنى الانحراف.. ههههههه..

- نزلنى هنا.. انت أديب انت.. دا انت خَلْبُوص ومُجْرِم..

وانت يا سى نزار يا حليوة انت..

- أنا قاعد ساكت ومؤدب أهه يا دكتور..

- يا لُؤْمُه.. حضرتك بتعمل ايه غريب انت كمان فى

أوضة نومك تحب نتكلم عنه فى التكمعية.. هه؟

- .....

- سَكَّتْ ونزل عليك سهم الله كده ليه؟!!

- لا أبدا يا دكتور شوقى.. ولا حاجة.

لَسْتُ أَذْرِي..

لستُ أدري أئى انفجار وقع فى بئر نوى العميقة  
ليقفز بى خارجا، بعد أن كِدت أنها بالاسـتقرار فى قاعها اللذيذ،  
لأفتح عيني بصعوبة على همس نهار يَنْقُر شِبَاك عُرفتي لَاهتاً  
بعد أن أَفَلتَ لِتَوهُ من أسْرِ الليل وتحرر من عِبَاةته السوداء ليجلس  
ساكنا مُسترخيا بشرفنتنا! أمرى إلى الله.. جلست إلى جواره نُسَبِح  
ونتجاذب أطراف الحديث، بانتظار بُزوغ الشمس.. هَمَسَ مُطرقا:  
- آسف إن كنت أقلقتك، ولكن كيف تنام وأنت مشغول  
القلب؟!

وأنت أيها النهار الذكى، ما فائدة أن تعافر حتى تتسلخ من ليلٍ  
تَقِيلُ لِتَطْلُعَ على قلوب مخمورة، وعقول مغمورة، ونفوس قلقة،  
ووجوه مُكفهرة؟!

- يا إلهى، ما هذا التشاؤم.. كل هذا الهم فى قلبك وتنام؟!  
ومن قال لك أننا ننام، نحن لا ننام يا صديقى إنما نَسْقُطُ مَغشياً  
علينا من هَوْلٍ ما نَجْرُعُ كل يوم من قهر وظلم وقلق وخيبة أمل،  
ليتنا نُفْلِحُ مِثْلِكَ فى الانسلاخ من سِجْنِ لَيْلِنَا البهيم الطويل  
الحالك..

- ولما لا تُبَدِّدوا ليل هَمِكُمُ الثقيل بشمس الحرية والعلم؟

شمس الحرية والعلم!! صحيح كم أنت مَعذُورٌ أيها النهار المُشرق  
الطيب، أما عِلِمَتَ أنهم انتظروا غروب شمسك يوم الجمعة..

الماضى ليحرقوا المجمع العلمى العريق، إيدانا ببدء جهودهم  
الرامية لاطفاء شمس العلم قبل أن تهزم ليل جهلهم البهيم، حسب  
رأيك! أما الحرية فقد خدروها يوم خدعة التنحى تمهيدا لسرقتها  
واغتصابها وقتلها كل يوم ألف مرة، وآناء الليل وآناء النهار!

أظل سارحا فى الملكوت أكلم نفسى، لأنتبه على همس قدميها  
الصغيرتين الحافيتين تتسحبان بنعومة على السجاد من خلفي  
كطفلة تتسلل لتفرغ أحدا وتعاثه، أتصنع الغفلة لاستمتع بضغط  
أناملها الرقيقة على عيناى ودس أنفها الدقيق بأعطافى.. بدلال:  
- بخ.. أنا مين؟!

أغمس رأسها بحضنى حتى يختبئ وجهى فى شعرها الفوضى  
كأنها مَهْرَةٌ جامحة ترمح فى البُكُور، وبينما تسرح يدي فى  
تضاريس استداراتها البضة المشدودة وتُدغدغ ثنيات جسدها  
الطازج الساخن.. تُزمرج:

- لا يا شيخ! بتكتشف حجر رشيد ولا طريق رأس الرجاء

الصالح حضرتك! ولما انت واقع كده كنت تعالى بدرى شوية بدل  
ما تيجي مغمض وتنام تشخر زى خفر السواحل، ولا كتابة الرواية  
والدكتور نزار والتكعبية عندك أهم؟! وبعدين إيه اللى قلقك ومقعدك  
من بدري سرحان ومش دارى بحاجة كده؟!

اسكتى يا نهلة، كلما قفرت لذاكرتى صورة البنت اللى ضربوها  
الجهلة الهمج وكشفوا صدرها أمام العالم، والبنات والستات والشبان  
اللى اتسلطوا بمنتهى الوحشية والغل واترموا على اكوام الزيالة،  
والمجمع العلمى اللى اتحرق، اتجنن، لا أستطيع أن أجمع شتات  
أفكارى إلى الآن، ومن شدة صدمتى أمعن فى التأمل والسخرية،  
وأحمل هم إثارة هذه المأساة فى لقاء التكعيبية، فالبتأكيد سيكونون  
غاضبون جداً، فلم يفيقوا من كارثتى ماسبيرو ومحمد محمود بعد!  
ما يُحيرنى هو كُنْه الرسالة التى يريد بقايا آلهة الشر توصيلها  
للثورة من تعمدهم القسوة إلى حد البشاعة فى هذه المجازر؟!  
وكأنهم يُريدون أن يُحطموا الشباب كروح للثورة ووقود لها بفقاً  
عيونهم وتكسير عظامهم، وأن ينتهكوا عرض البنت المصرية التى  
زَيَنْتُ الثورة بوقْفَتِها فى الميدان ثمانية عشر يوماً بظلة واعية  
وبثول نقية راقية، تنافس الشباب فى الجُهد والثبات والإصرار على  
الانتصار، لم تشوبها شائبة ولم يعلّق بمسلِكِها أثارة من غُبار! وأن  
يحرقوا صَرحاً يرمُز إلى العلم الذى تراهن عليه الثورة للانعتاق من  
ميراثِ عُهُود استبدادهم وجَهلهم وتَخلفهم! كُلِّما حَاولت أن أكتب  
عن الموضوع أَحَارُ فى العُثورِ على كلمات تُعبر عَمَّا بى من  
صدمة وثورة وغضب، فَفَلَقِى على مصر وبناتها، وبنتى مارية من  
بناتها، يجعلنى أشعر بأن الكتابة عن هذه الجريمة التى حدثت  
عند مجلس الوزراء أمانة فى رقبتي تجاه هؤلاء جميعاً..

يجب أن يعرف الناس أبعاد هذه الجريمة وخفياتها وخطورة السُّكوت عليها وفضاعة ما سيأتى بعدها إذا أُتحت الفرصة لهذه العصابة الدموية أن تُجهز الثورة وتُعيد الشعب إلى حظيرة القمع والاستبداد والفساد والعمالة لكل من هب ودب.

- مامى.. إيه ده.. انتو صاحيين!
- اتفضل يا بيه استلم، جبت سيرة القُط يا ناصح.. منعرفش ناخذ راحتنا لا صُبح ولا مِسا..
- أيوا يا حبوبة مامى تعالى..
- كويس ان بابى صاحى علشان من امبارح عايزة أسأله سؤال..

تعالى يا مرمز.. الأول بوسة لبابى وبعدين نسأل..

- هو إيه يا بابى كَشَف العُذرية؟ بيتكلموا عنه كثير وأنا مش فاهمة!؟
- احم احم.. طيب ألحق أجهز الفطار علشان عندى محاضرات النهاردة وباخد أى بنت تدخل بعدى غياب..
- مارية مامى.. بليز.. صَحِّى عُمَر وتعالى يا ممرتى.

تزعدي نهلة ويغيط تُحذرنى:

- بقولك إيه.. أنا ما ليش دعوة، حِسك عِينك تُقولها مامى  
هتشرح لك، اتفضل اتصرف يا اللى حامل همّ البنات..

يا سلام! هقولها طبعا واشرحها لها بالتفصيل المُمل هِىَ وَعُمَر  
كمان، لازم يفهموا ويعرفوا كل حاجة.. المفارقة اننا كنا نهرب من  
تتقيف الأولاد والبنات جنسيا ونخجل منهم، لياتى العسكر ويدفعوننا  
إلى ذلك دفعا!

- وهو انت بيهمك حاجة، أهو من ضمن المواضيع الجريئة  
اللى بتكتبها، دا أنا بغرق فى شير ميه لو البنات فى  
الكلية سألوني عن حاجات من دى!  
- صَحيت عُمر يا بابى.. يلا قُولى:  
إيه هو كشف العذرية؟

إيه رأيك يا مرمر ناطر الأول وبعدين نفهم ونفهم عُمر معانا  
بالمرة.. ناوليني التليفون يا سُكرتي.

آلو دكتور نزار.. صباح الجمال.. إيه النشاط ده ما شاء الله

إلا فاكِر.. فاكِر معادنا طبعا ومُتحفز تماما

حاضر.. أخلص بس شوية شغل وعندى إجتماع مهم فى وزارة  
الاتصالات

على فكرة.. الحاج توفيق مراته بعافية، متنساش تسأل عليها  
فى استوديو مصر إن شاء الله.. فرصة مفيش تكعيبة النهاردة.

آلو.. صباح الخير يا باشمهندس طارق.. جاهز؟

ماله شارع الخليفة المأمون!؟

المهم أخبار الوضع فى وسط البلد..

هدوء النهاردة يعنى؟ نسبيا!!

طيب.. أمرنا لله، نازلِك حالا.



نَهْلَةٌ..

نهلة.. انتى فين؟  
رَوحتى.. ولا لسه فى الكلية؟  
بلاش تعدى من الخليفة المأمون..  
فيه دوشة هناك عند المجلس العسكرى..  
هى إيناس لبست النقاب؟!  
من إمتى؟!  
عرفتها من الأولاد..  
شفت الأولاد معاها فى العربية  
أنا مستغرب التطور المفاجئ ده فى شخصية إيناس  
قصص وحكايات! انتى قابلتها فى الكلية؟  
الأمور اتعقدت للدرجة دي!  
علشان كده نزار مستعجل على قعدتنا سوا..  
أيوا خلصت اجتماع فرغلى بيه،  
الله يقطعه ويقطع الوزارة ويقطع.. ولا بلاش..  
عندى شغل وبعدين على موعد مع الدكتور نزار  
حاضر مش هتأخر..  
اطمنى مش هرجع أنام زى خفر السواحل  
هرجع أهجم زى المارينز.. ههههههه.

- أيوا يا سيدى لبست النقاب من حوالى شهر، مش كدا  
وبس دى حولت البيت لجمعية للمنتقبات!

لكن تفتكر يا دكتور نزار إن إيناس لبست النقاب لأسباب دينيه أم  
أنها فعلت ذلك كرد فعل على توتر العلاقة بينكما وما ترتب عليه  
من آثار نفسية؟!

- مش عارف! يمكن الاتنين.. يبدو إن واحدة زميلتها فى  
الكلية هى من أفنعتها وشجعنها وبتزورها بصحبة بعض  
الطالبات المنتقبات لعمل مَقْرَأة فى البيت انضم إليها  
بعض الجارات المنتقبات أيضا مؤخرًا..

مقْرَأة ازاي.. هو جامع؟!

- ما انا قلت لك مش عارف ومش متابع ومش فاهم ومش  
عايز أتابع ولا أفهم.. كل اللى بشوفه أشباح سوداء داخلة  
وطالعه ودوشه غبية بيسموها محاضرات لكائنات غريبة  
بيسموهم مشايخ!

طيب وانت والأولاد فين من الوضع ده؟

- أنا فى عالمي والأولاد فى عالمهم، وهى بعد أن كانت  
شغوفة بركوب عَرَبَة، أو قُلَّ عَجَلَة الرومانسية..

وصبورة على بطئها أحيانا ما دامت ستوصلها للفراش، الآن حضرتها زهدت العربة وكفرت بالرومانسية وهجرت الفرش عندما اكتشفت وتأكدت أن الوصول إليه لا بد وأن يكون برغبة الطرفين، باحتياج الطرفين، باحتشاد الطرفين، بتفاعل وانسجام وتناغم وتجاوب ومشاركة وإبداع الطرفين، وصولا لإرضاء وارتواء الطرفين وليس طرفا واحدا.

أعتقد يا دكتور نزار أن هذه الحالة الاستثنائية التي تعيشونها ما هي إلا نتائج لمقدمات أو مُحصلة لتراكمات، أليس كذلك؟!

- بالتأكيد.. وإن كنت على يقين أن حالتنا ليست فريدة من نوعها وأن هناك آلاف من الزوجات والأزواج يعانون نفس حالة التنافر الزوجي والظمأ العاطفي والبرودة الوجدانية والبحث عن الحُب التي نعانيها أنا وإيناس، ولكنهم يَهْرَبون ويتجملون وعلى أنفسهم يكذبون! وأرجو أن يكون ما ستسمعه مني كافيا لرسم صورة لمأساتنا العاطفية ولمواطن الخلل في فكرنا وثقافتنا وسلوكنا وأخلاقنا أيضا! الأول هتاخذ إيه؟ أجيب لك حاجة خفيفة تاكلها؟

لا لا .. متشكر خالص، هاخذ قهوة كفاية، ويا ريت لو ممكن صودا.. اتفضل قول..

..حَنَانٌ<sup>28</sup>

حنان هي أول سيدة أخوض معها علاقة عاطفية

خارج سياج زوجتي الدكتورة إيناس المُحكّم العَلق، والفييس بوك أو الفتييس بوك على رأى صديقنا خفيف الظل المهندس محمد ضياء، هو الذى عرفنى عليها..

معقول! تقول تعرفت عليها على الفييس بوك وليس فى العيادة؟!

- العيادة! إلا العيادة طبعاً، فأنا وإن كنت أعانى من أزمة عاطفية أو وجدانية إلا أن هذه الأزمة لم تصل إلى مكان شغلى بعد.

حسنا ولكن أى أحد مكانى سيندهش من طبيب تجميل وتخسيس تسعون بالمائة من زبائنه سيدات على كل شكل ولون ثم يتعرف على سيدة على الفييس بوك دون أن يلتقيها بشكل مباشر! صحيح كم من مُحْتَجِبٍ تراه عيون القلب وكم من ظاهر لا تراه عيون زرقاء اليمامة! ولكن كيف تتصرف عن الحقيقة الماثلة بين يديك المُتاحة لك إلى صورة ربما تكون زائفة أو صوت ربما يكون مُخادعا! ثم كيف سأكتب روايتى وكل ما تحكيه لى وثُفاجئنى به يحتاج إلى خبير نفسى؟!

- معك حق، ولكن معظم من يترددن على العيادة..

من السمينات العابسات الضجرات اللائي يُمطرنا شعورا بالإحباط وهن يتصببن عرقا ويلهثن من مجرد التنفس، علاوة على أن حُرمة العيادة وخصوصية المترددات عليها لا تقل عن حُرمة بيتي وخصوصيته، لكن دعني أصارحك بأمر مُحير اكتشفته في نفسي وهو أنني أجد شغفا عجيبا وإثارة من نَوْعٍ مختلف في غياب صورة من أتواصل معها، وكأن الصورة تتسبب في التشويش على مشاعري، لا أدري لماذا أثار بالاستماع إلى الصوت هياما وشغفا أكثر مما أثار بالنظر إلى الصورة ربما حياء وخجلا، بالضبط كما كنت في طفولتي شغوبا بالإنصات إلى الأصوات المُثيرة! وهذا ما حققته لي حنان في البداية، وأقول في البداية لأن النهاية عند المرأة غالبا كلها واحدة وشبه حتمية وتصب في اتجاه واحد، ببساطة لأن فخاخ الحب كفيلة بتغيير إرادة المرأة في أية لحظة، إلا من تعرف متى تتوقف أو عند أي حد يجب أن تتوقف!

الحكاية أنني فُوجئت ذات صباح بطلب إضافة على الفيس بوك من حنان، التي عرفت فيما بعد أنها قد تجاوزت العقد الثالث بقليل وأنها تعمل مُعدة برامج ثقافية بالإذاعة، فرددت عليها برسالة ترحيب روتينية كنت أعددتها مسبقا للترحيب بكل من يطلب صداقتي لتكون بمثابة ردا للتحية بأحسن منها، لأفاجأ على أثر هذه الرسالة الإلكترونية بشلال مُندفع من كلمات الانبهار..

والإعجاب واكتشف أنها تتابعنى فى صمت منذ فترة، وأنها مُعجبة بأناقة مظهرى وجاذبيتى الرجولية وكلماتى المُفعمة بالرقّة كما تقول! بالطبع هذه البداية القوية أرضت شَغفى بالإطراء وزَهوى بالثناء مما أشعل النار فى مشاعرى الخامدة وأشعرنى بأننى سأرتدى فى حُضن دَفِيئِ رَحِيْب يُعوْضنى عن أوقات طالما تَسوّلت فيها من إيناس شيئاً من هذا الإغداق الذى تعتبره مَضِيعة للوقت ما دام الجنس سيتكفل بإرضاء جميع الحواس! المهم واصلت حنان التعليق بإعجاب على كل ما أكتب من مشاركات وظل التواصل بيننا فى إطار الاهتمامات الدينية والسياسة والثقافية العامة وأعجبنى أسلوبها الأدبى ولغتها الشعرية رغم ما يَظْهر فى ثنايا كلماتها من تَدِين وتَأثّر بهؤلاء المشايخ الذين هبطوا علينا بالباراشوت ليُصبحوا مِلء السمع والبصر، واصبح تأثيرهم على السيدات والفتيات بالذات ملموساً، ولعل ما اعترى إيناس من تغيير وما حدث لها من انقلاب فِكْرى وثقافى ودينى أقرب دليل على ذلك! ظل تواصلنا على هذه الحال وإن تضمن فى ثناياه وبين سُطوره بعض رسائل تُثَم عن تصاعد مُنْحنى الميل العاطفى المتبادل، إلى أن صادفت لها ذات مرة رداً حزيناً على إحدى مشاركاتى تُعبر فيه عن وحدتها القاسية بعد أن كانت تمتلك كل شئ وأضحت بلا أى شئ! ليبدأ باب الدخول بالمواربة قليلاً من خلال فتحة الرسائل الخاصة..

التي أخذت بالانفراج رويدا رويدا لتستوعب حكايتنا المتبادلة!  
فتحكى لى أنها كانت فتاة جميلة غارقة لأذنيها فى عالم حالم من  
الرومانسية يُشاركها فيه طيف فارس أحلامها الذى ترسمه فى  
خيالها شابا جميلا رقيقا تتقلب معه فى بستان الحب وترشف من  
رحيق أزهاره، حتى كان وصادفته فى كافيتيريا الجامعة، ولد أشقر  
له جسم رياضى قوى متناسق وعينان خضراوان، هو فى سنته  
الأخيرة فى كلية الحقوق وهى فى سنتها الأولى فى كلية الآداب..  
التقت عيناها وسرعان ما تشابكت الأنامل وتعالى التهديدات  
وطالت مشاوير العشق والولّه ورحل النوم تاركا الليالى للغرام  
والسهاد والسهر إلى أن غرد طائر الحب وغنى ورقص حتى  
الصباح مع الأهل والأصدقاء فى حفلة العرس التى أعقبها زفاف  
العروسين إلى فراش الأحلام فى فيلا أبيه، المستشار المعروف،  
الأنيفة التى يتوسطها حمام سباحة وتربض بمدخلها السيارات  
الفارهة التى أهدى سيادة المستشار ابنه العريس إحداها بعد أن  
جهز له الطابق الثانى من الفيلا وزوّجته فى حفل كبير احتفالا  
بتعيينه فى السلك القضائى! لتجد حنان نفسها وبلا أية مُقدمات ولا  
تؤدد ولا ملاطفة ودون أية فرصة للتعبير عن نفسها جسديا قد  
جُردت من ثياب زفافها البيضاء بسرعة لا تخلو من فظاظة،  
وأصبحت عارية تماما فى مواجهة كائن آخر غير الذى ظل شهورا  
يسقيها من كؤوس الحب الأفلاطونى المُترعة..

ويغمسها في أنهار الرومانسية العذبة! ليخففها زهول التساؤل: أين كان يختبئ هذا الوجه السادي الشرس طوال فترة الخطوبة الحالمة؟! وقبل أن تستغرق في زهولها من هول الصدمة وجدت نفسها كفريسة تلتهم من كائن هائج تناول ما يكفي من المنشطات والمخدرات ورائحة الويسكى تفوح من أنفاسه، ليستعرض عضلاته على عصفور رقيق هَش فَيَعْمَل فيه مخالبه وأنيابه، الآن فقط فهمت مغزى جملته الأثيرة التي طالما غازلها بها: أنتى فرسة بريّة جموح! فقد كان لا يفتأ يكررها على مسامعها ونظراته الجائعة تخترق ثيابها ولعابه يكاد يسيل على استداراتها وبروزها المتألقة أنوثة ودقة وإثارة، الآن فقط فهمت الساذجة أن غايته لم تكن أكثر من أن يمتطى بعنف من لا يراها في مخيلته إلا فرسة بريّة جامحة، بالضبط كما تُمْتَطى الفرسة البرية في عروض الروديو الأمريكية حتى تمتثل وتخضع! لم تمتع عنه أو تجفّل منه رغم بداياته الغشيمة الصادمة لكنها فقط كانت تحتاج لشيء من التمهيد الإنسانى الذى يُحقق الحد الأدنى من التقارب الجسدى كما حقق التقارب الوجدانى فى فترة الخطبة، لكنه لم يطق صبرا وفى حركة خاطفة طرّحها على الفراش كأحد السبايا غارسا أصابعه كمخالب نسر فى لحمها الأبيض الطفولى الطرى وبطعنة قوية غادرة من رُمحه المُنتصب المَسنون نَقَبها ولم يتركها حتى أُغشى عليها من هَوَل الطعنة ومن رعب الدماء!

لِتَقِيقِ فَتَجِدُ رُوحَهَا كَأَشْلَاءِ مُمَزَّقَةٍ أَوْ كَمُغْتَصَبَةٍ اجْتَاَحَهَا سَفَاحٌ  
حَتَّى نَالَ حَاجَتُهُ مِنْهَا دُونَ هَمْسَةٍ أَوْ قُبْلَةٍ ثُمَّ أَلْقَاهَا فِي إِحْدَى  
الْحَرَائِبِ! تَرْمَقُهُ فِي ضَوْءِ النَّهَارِ مِنْ نَافِذَةِ مَسْرَحِ الْجَرِيْمَةِ وَهُوَ  
مُمددٌ عَلَى حَافَةِ حَمَامِ السَّبَاحَةِ يَنْفُثُ دَخَانَ سِيجَارَتِهِ بِنَشْوَةِ  
الْمُنْتَصِرِ فِي مَعْرَكَةِ حَرَبِيَّةٍ خَاطِفَةٍ، وَهِيَ عَاجِزَةٌ عَنِ النَّهْوِضِ مِنْ  
مَكَانِهَا بَعْدَ تِلْكَ الْغَارَةِ الَّتِي اغْتَالَ فِيهَا كِبْرِيَاءُهَا! بِالْكَادِ تَخْطُو  
مُنْكَسِرَةً بَآكِيَةً نَحْوَ الْحَمَامِ لِتَغْسَلَ جُرْحَهَا، فَتَتَعَثَّرُ فِي ثَوْبِ زَفَافِهَا  
الْأَبْيَضِ الْمُلْقَى عَلَى الْأَرْضِ، وَمَلَابِسِهَا الدَّاخِلِيَّةِ الْمُبْعَثَرَةِ، وَخِرْقِ  
وَرَقِيَّةٍ مُلْطَخَةٍ بِدِمَاءٍ قَاتِمَةٍ تَغْطِي أَرْضِيَّةَ الْغُرْفَةِ.. لِتَبْدَأَ الْمَآسَاةَ  
الَّتِي اسْتَمَرَّتْ لَسَبْعِ سِنَوَاتٍ عِجَافٍ مَرَّتْ عَلَيْهَا بِلْيَالِهَا الثَّقِيلَةِ  
الْمُقْرِفَةِ وَكَأَنَّهَا قَرْنٌ مِنَ الزَّمَانِ! تَنَامُ عَلَى صَوْتِ طَعْنِ الْبِدَائِي  
الْبِرْبَرِيِّ فِيهَا، وَعَلَى رَائِحَةِ سَجَائِرِهِ الَّتِي يُشْعَلُهَا وَيَنْفُثُ دَخَانَهَا فِي  
وَجْهِهَا بِنَشْوَةِ سَادِيَّةٍ، وَتَصْحُو عَلَى رَائِحَةِ عَرْقِ الْمُحْمَلَةِ بِرَوَائِحِ  
الْحَشِيشِ وَالْجَاكِ دَانِيْلَزِ وَالْفُودِكَآ، وَتُمْضِي أَيَامَهَا عَلَى صَوْتِ  
انْغِلَاقِ أَبْوَابِ الْأَمَلِ فِي وَجْهِهَا فِي أَنْ يَعُودَ إِنْسَانًا كَمَا ظَنَّتَهُ  
وَأَحْبَبْتَهُ لِتَمْنَحَهُ أَكْثَرَ مِمَّا يَتَمَنَّى، وَلَكِنْ بَحْبِهِ لَهَا كِإِنْسَانَةٍ وَلَيْسَ  
بِاجْتِيَاحِهَا لَهَا كِعَاهِرَةٍ! تَنَامُ عَلَى حَسْرَةٍ تَبْخُرُ الْحُبَّ وَالْعَشْقَ وَالْغَرَامَ  
وَالْهِيَامَ مِنْ وَعَاءِ أَحْلَامِهَا الْكْرِيسْتَالِيَّةِ، حَتَّى لَمْ يَبْتَقِ فِي فُعْرِهِ سِوَى  
شَوَائِبِ غَرِيْزَةِ هَمْجِيَّةِ غَاشِمَةٍ، أَخْفَاهَا فَارِسُ أَحْلَامِهَا فِي طَيَّاتِ  
عِبَاءِ الرُّومَانِسِيَّةِ النَّاعِمَةِ الزَّائِفَةِ الْمُتَزَلِّفَةِ الَّتِي كَانَ يَتَزَيَّرُ بِهَا..

والتي اتضح أنها كانت مجرد غطاء بَرّاق لسُعار جنسي شاذ  
ومُستحکم يقبع في أعماقه، وتصحو على كراهيته وبغضه  
والاشمئزاز منه ومن كل ما يُمثل من حيوانية وتوحش! أما هو فينام  
ويصحو على اغتصابها بعنفوان المُنشطات وبنشوة الشرب  
والمخدرات وبقوة بنيانه الكاسحة التي لا تَمُلك لها دفعا، حيث  
يوقظها من نومها كقائد مخمور مكلف بمهمة عسكرية لا يعرف  
أى معنى أو إعتبار لكونها إنسانة، ولا يقوم عنها إلا وقد امتلأ  
وجهها وشفثتها بعلامات العض، وتلون جسمها وذراعيها وفخذيها  
بِزُرقة الاعتصار والقرص! ظلت على هذه الحال إلى أن أنهكها  
الانسحاق والانزهاج إلى حد التلاشي، وكرهت أنوثتها واشمئزت من  
جسدها، حتى أن رَجِمَهَا أَبت أن تكون ملاذا لنُطفة منه، أو أن  
تحمل جنينا له! ونفرت من اكسسواراتها ومن أدوات مكياجها ومن  
ملابسها الداخلية، ومن صدرها وجسمها الذي أصبح مُرَقطا  
بالزُرقة، ومن هذا الثقب اللعين المُشرع بين فخذيها، ومن كل شئ  
له علاقة بهذا الشئ الحيوانى البغيض الذى تعمقت كراهيته فى  
قلبها وروحها وعقلها، هذا الشئ العدوانى القدر الذى يسمونه..  
الجنس!

أَبِي أَنْ يَعْتِقَهَا..

أبى أن يعتقها بالطلاق إلا بعد أن أوشكت أن تُصبح  
جثة هامدة، لتعود إلى بيت أسرتها الذى خلا من أبيها  
بوفاته قبل طلاقها بعامين، ومن أمها التى لم تلبث أن  
لحقت به بعد طلاق إبنتها بشهرين، حزنا وكمدا على  
خيبة أمل وحيدتها الرقيقة المُدَلَّة!

يا إلهى.. ما هذا يا دكتور نزار! أما من حَلِّ لِعُقْدَةِ تلك الليلة  
الليلاء التى يبدو أنهم سموها ليلة الدُخْلَةِ لتُصبح مدخلا إما أن  
يُودى إلى جَنَةِ يرتع فى مُروجها من جمعهم حُسن الاختيار ودقة  
الاختبار وعمق الحب وتحقق التفاهم والتناغم والاحترام والتثقيف  
العلمى والفقهى لدى الطرفين والوعى بما هم مُقدمون عليه.. وإما  
أن تكون مدخلا يُفضى إلى جُرفِ هَارٍ ينهار بالعروسين فى نار  
البُغْض والنفور، لجهل أحدهما أو كلاهما وفضاظته، وضعف  
الآخر وسلبيته! لذا ما من مشكلة زوجية عَرَضَتْ لى إلا وفتشت  
فيها عن ضربة البداية وأصل كل البلايا فوجدته يكمن فى عُشومية  
وهمجية ليلة الدُخْلَةِ! المهم.. اتفضل كمل..

- وَجَدت المسكينة نفسها وهى لم تنزل بعد فى عز شبابها  
وجمالها، فى مجتمع يضع المرأة المُطَلَّقة تحت ألف  
عدسة مُكْبِرَة، وجدت نفسها وحيدة كسيرة بين أربعة جدران  
مع عُقْدَة من الرجال أكبر من هضبة المقطم!

لم تكذ تَمُرُّ سنتين حتى أجبرتها الوحدة على قبول الارتباط بأرمل  
ثرى مُتدين من محيط العائلة، يشغل منصبا مرموقا، كانت طوال  
عُمرها تضعه فى مكانة المرحوم أبيها لوقاره ومكانته الاجتماعية،  
تزوجته ربما لِتَلْتَمَسَ عنده الأبوّة عِوضاً عن فَقْدِ أبيها، ولتتغذى  
من طبيته على الحنان عوضا عن فقد أمها، أو قُلْ لِتَنْفِيئِ ظلال  
الإنسانية تحت شَجرة كَهولته، وتُكْمَل مشوار الزُهد فى الجنس  
والتطهر من دَنَسِهِ لِتُزِيل آثار عدوان الوحش الذى طالما افترسها  
بهمجيته! ولكن بقدر ما سَعِدْتُ واستراحت عندما وجدت الرجل  
الكُبارة زاهدا فعلا بل عاجزا تماما عن أن يقترب منها أو يقيم أقل  
علاقة معها، وأنه سيعاملها كإبنة له ترعاه وتَحْن عليه، أو كأخت  
له تُؤاسيه، إلا أن سعادتها وراحتها لم تَدُم، إذ اكتشفت أن الرجل  
مريض بالسرطان وأن شهر العسل المزعوم فى لندن سوف تقضيه  
سنة كاملة، ولكن كَمُرافقة له فى إحدى مستشفياتها، لتعود بعدها  
إلى مصر أرملة وحيدة تستأنف النوم فى حُضن جدران وحدتها  
الأربع بصحبة الطلاق والترمل! وبينما هى غارقة فى مستنقع  
الحزن واليأس إذا بها تصادفنى فترى فى صُورتى ومضة الأمل  
وفى كلماتى نَفخة الرُوح كما تقول!

يعنى كلمات حضرتك نفخت فى حضرتها الروح وأنا اللي بكتب  
على كل شكل ولون محدش معبرني!

- يا سيدي.. دى أرزاق، وبعدين انت هتاخذ على كلامها  
برضه، دى أكيد كانت مغشوشة فى العبد لله.. المهم ناخذ  
حاجة تتعش الجو شوية.. مش معقول لسه ما جُعتش؟!  
بصراحة جُعتُ بس مقدرش أخالف السيستم، دا انت بتحكى لى  
ونهلة هريانى رسايل اس ام اس.. يلاً يلاً..  
- يا بختك يا سيدي، شكلها كدا فيها عشا رومانسي..

قصدك فح رومانسي.. هيه.. باقى لى عشر دقائق ولازم أمشى  
ونُكمل فى لقاء آخر.. لكن مش ملاحظ يا دكتور نزار ان هناك  
فارق سن بينكما؟

- أكيد.. حوالى خمستاشر سنة.. كمان هى تبدو أصغر من  
سنها بكثير، فعندما أرسلت لى بعض صورها وجدتها  
جميلة جدا ورقيقة ورشيقة..

وطبعا إيناس فى مثل سنك وكُنتما زُملاء وجيران، أيضا إيناس  
أمازونية طويلة وعريضة وقوية البُنْيَان وبادية العُنْفوان..

- بالضبط.. لكن لماذا توقفت عند هذه الجُزئية؟!

انت بتحكى وأنا مشغول بعقد بعض المقارنات والبحث عن بعض  
الدوافع.. اتفضل.. قول..

- ما ان تطور توصلنا من مرحلة الكتابة إلى مرحلة

الصوت حتى شَبَتْ نار الإثارة فى الأجسام وسَرَتْ كهراء اللذة فى الأعصاب من تأثير ذبذبات صوتها الدافئ الناعم الذى أعادنى إلى تلك الحالة الغريبة التى كانت تجتاحنى فى طفولتى عندما كانوا يُصرون على مرافقتى لخالاتى وعماتى فى خُرُوجات الخطوبة لأجلس بين العاشقين الولهانين شبه مُخدر من تأثير مغناطيسية الهمسات والآهات والتهديدات، وأخذ شعورى يتصاعد بهذا الشكل من الإثارة بتصاعد مرات توصلنا الصوتى، ويتضاعف بطول مدته ويدخول الحوار فى مناطق شديدة الجرأة والخصوصية والحساسية، فيُعِيدُنِي إلى شعور أكثر تأثيراً وخِدرًا طالما وجدته وتلذذت به سَمَاعِيًّا فى طُفُولتى دون استيعاب لِكُنْهه ولا فُهم لطبيعته وسببه، عندما كانوا يظنوننى نائمًا فيرتفع صوت اصطكاك الأجسام ويحتدم خبط ورزع الطعان وتتصاعد الشهقات والآهات حتى تهتز الجدران!

لكن لا تَوَاخِذْنِي يا دكتور نزار، ممكن توضح لى أكثر ماذا تعنى بدخول الحوار فى مناطق شديدة الجرأة والخصوصية والحساسية، لدرجة أنها تُعِيدُ إثارة مشاعر سماعية كامنة لديك فى أعماق الطفولة؟!

- يعنى أن التقاء صَوْتَيْن يُعانيان عطشا عاطفيا وعذابا

وجدانيا بـكُل ما يَحملانه من إثارة وتَلَهف، لا شك كان له أثرًا سريعًا فى سحب سجادة الصلاة وإسكات أصوات المشايخ، وَطَي صفحات الحديث فى الدين والأدب والشعر والموسيقى والسياسة ليخلو الجو لحديث لذيذ مِلْؤُه الإِغراء المُتبادل والغِواية المُتسللة عن تفاصيل معاناتها الجنسية مع طليقها المتوحش، كما تُصر على وصفه، وكيف أنها لم تصل معه إلى ذروتها ولو مرة واحدة، لدرجة أنها لم تعرف شكل هذه الذروة التى طالما سمعت عنها ولم تذوق طعمها معه قط، رغم معاشرته لها بالساعات الطوال حتى تقترب من الإِغماء! ثم التلميح بخَيبة أملها فى الكَهْل المريض المُترهب الزاهد، إلى أن تصل إلى افتتانها بجاذبيتى التى لا تعرف من أين تنفجر، ومن مظهرى الرجولى وشاربى ولحيتى المشذبة، ومن سُمرتى المُحيرة، وشفَتاى المُسكرة ونظراتى الساحرة، ثم عن إحساسها الأكيد أننى الوحيد الذى تناغم مع روحها، وأننى من سيفهم جسدها واحتياجاته، وأن أحدا غيرى لن يستطيع أن يُرضي هذا الجسد بعد طول حرمان، ويؤمنه بعد طول خوف، ويُشبعه بعد طول صِيام..

على أى أساس يا دكتور وأنتما لم تلتقيا يوما! تريد أن تُقنعنى أن ما لم تحصل عليه حنان من رُوجِ رياضى شاب..

وما لم يُحقِّقه لها وهو فى كامل عُنفوانه، أصبحت تحصّل عليه بكل بساطة من تواصلها معك صوتيا.. صوتيا فقط!!  
- هذا ما حدث بالفعل، ولا أدرى ماذا أفعل لك كى تصدق..

أننى فى إحدى المرات وفى أثناء استغراقى فى حديث بالغ الإثارة معها وجدتها تُصدر صوتا شبيها بما يعرفه ويسمعه أى رجل متزوج أوصل زوجته لذروتها! طبعا ذهلت وارتبكت وظللت أستمع إلى بوحها وكأننى أحلم، وهى تهمس بلا توقف: هل تعلم أنك توصلنى بصوتك وكلماتك إلى ما لم أصل إليه أو أذقه فى حياتى أبدا.. هل تعلم أنك تُدخلنى الجنة بصوتك وهمسك المُثير الفاتن وكأنك تعاشرنى منذ ألف عام.. هل تعلم أننى لم أكن مُحْتَاجَة لأكثر من مثل هذا لأصل إلى السعادة وأعطى أفضل ما عندى.. هل تعلم أن صوتك يحضُننى، وكلماتك تغمرنى بالفُبلات، وهمساتك تطرحنى برفق على سرير من ورد، مُجردة تماما من ثيابى، اتقلب عارية فوق صورتك التى كبرتها حتى ملئت بها غرفتى لأظل أتمرغ فى لذة وأنا أتخيلك على صدرى، وبشففتيك اللادعتين تُعابث شفَتَاى وتَصُول وتَجُول فى أرجاء جسمى، وأظل أصطلى بنار إروائك لرغبتى العطشى حتى أصل إلى ما لم أكن أحلم بالوصول إليه، أصل إلى الجنة وأغيب حتى يسقط التليفون من يدي من شدة سريان الخدر فى عروقى!

معقول يا دكتور! بعد الصورة الرومانسية التي بحثنا عنها  
وسَعيتما لها وبدأتما بها، ينتهى الأمر بأن يتحول كل منكما  
بالنسبة للآخر إلى أداة من صوت وصورة يستخدمها فى ممارسة  
العادة السرية؟! بعد أن كنت تتهم إيناس، التى هى زوجتك ومن  
حقها عليك أن تتمتع بك، بأنها تُهينك عندما تتعامل معك  
باعتبارك مُجرد أداء للإمتاع الجسدى! فعلا أنا مذهول من  
الإنسان ومن مدى تعقيد تلافيفه النفسية يا دكتور نزار..

- فلتهدأ يا صديقى فمشوارنا طويل وحافل بالمفاجآت،  
وسامحنى إن كنت أخرتك.. نكمل بعدين إن شاء الله.

تَهَيُّوْ..

نَهيلو..

أوعى تكونى نمتى يا حبى  
أنا خلاص قربت على البيت  
عايزة حاجة قبل ما اطلع..

إيه؟! أكياس بلاستيك.. يا ماما.. طيب مش طالع.. هههههه

هيه.. أدخل؟

- استتى شوية.. لسه بسن لك الساطور وأبل الفوطة اللي  
هخذنك بيها واحط لك المنوم فى الشاى علشان مفيش  
حاجة توجعك..

يا لطيف اللطف يارب..

- يلا ادخل وبلاش دلع هتصحى الولاد والسهرة تتفرکش  
وتقلب لى خفر سواحل وأنا عاملة حسابى على مارينز..  
هههههه..

يا بنت الإيه! انتى مش هتكبرى وتعقلى وتبطلى شقاوة، بالله  
عليكى حد يصدق انك بتدرسي فى الجامعة، ولغة عربية كمان،  
يعنى المفروض تكونى شيخة ويلبسوكى عمة.. وإيه دا كله إيه دا  
كله.. شمع وسوفت ميوزيك.. لا.. سامحنى يا نزار أنت وحنان..

- ما له نزار.. عمل فيك إيه المجنون ده؟ ومين حنان دى؟!!

دى قصة طويلة ومثيرة.. لكن مش ملاحظة إنك من فترة مفيش سيرة عن إيناس ولا بتكتبى خواطر عن رغيها معاكى!

- إيناس من ساعة ما لبست النقاب وغرقت فى مُحيط المنتقبات وانشغلت باهتماماتهم وكُتبتهم ومحاضرات مشايخهم، تواصلها معايا قل عن الأول وبتتصرف وكأنها قفلت ملف نزار تماما، ويا خوفى تقفل ملفنا احنا كمان!

تعرفى يا نهلة.. بعد أول جلسة حقيقية وصريحة مع نزار النهاردة أدركت كم هو مُحْتَاج إلى دعم نفسى قوى ومُخلص وصَبور، ولكن يبدو ان إيناس مش مُستعدة لكده..

- بالعكس أنا شايفة ان نزار بطمعه وأنانيته ودلعه وبَطْره هو من تسبب فى تفاقم المشكلة، فهو كزوج لا ينقصه شئ مما يَحْلُمُ به أى زوج، زوجة جميلة وولاد زى القمر ومستوى مَادى وأدبى واجتماعى، عايز إيناس تعمل له إيه تانى؟! تغطى جُدران البيت بوسترات لجمالهِ الفَتَّان، تملئ البيت تماثيل برونزية بالحجم الطبيعى لحضرتة، ترفعه على عرش ذهبي وتجنثو على ركبتيها لتقرض فيه الشعر ليل نهار! حرام عليه، قول له يبطل مثالية وغرور..

دى إيناس شعلتها انطفت بسببه يا أخی والله، وبعدين  
مش دى اللی كان هیموت علیها أيام الجامعة؟! خدعته  
فی إیه إیناس؟ اتغیرت فی إیه؟ هل كان مطلوب منها  
تسلمه نفسها یجربها أسبوع أو اتین فی آی هوتیل علشان  
یشوف تعجبه ولّا لّا؟!!

والله یا نهلة أنا محتار فی سبر أغوار هذه النفس البشرية، مش  
عارف مین الصح، الرقیقة الحاملة التی تُغدق علی الزوج من  
الحنان والرومانسیة، أم الجُسمانیة المباشرة التی تُزلزل الأرض من  
تحت أقدام فُحولته بعنفوانها وجرأتها وحبوبیتها ومُبادرتها.. تفتكری  
مین الصح یا نهلة؟!!

- أنا.. أنا الصح طبعاً.. أنا الأتین.. ارحمنی انت بس  
وطلع المارینز اللی جواك بدل الجدل البیزنطی  
والمحاضرات اللوذعیة دى.. فقد هرمننا من الندوات  
الفلسفیة.. والله هرمننا .. ههههههه.

صَبَاحُ النُّورِ..

صباح النور يا فندم.. الحاج توفيق على التليفون..  
شكرا يا ياسمين.  
ألو صباح الخير يا حاج  
طمنى عليك وعلى صحة المدام  
سلامتها ألف سلامة إن شاء الله ربنا يتم شفاها  
رُحت طبعا لفرغلى بيه فى الوزارة حسب المعاد  
والراجل مشكورا عمل اللى يقدر عليه  
وقال علشان غلاوة الحاج توفيق كأخ وصديق  
أنا دخلت للوزير بنفسى وخلصت لك شيكاتكم القديمة بمعجزة  
الشيكات الجديدة؟ للأسف لأ ..  
قال لنا شوية كده على ما أوضاع البلد تهدى..  
واضحك من قلبك يا حاج..

بقوله وأوضاع البلد دى هتهدى إمتى يا باشمهندس فرغلى؟!  
فضل مبطلق لجلسة مجلس الشعب اللى بنتذاع قدامه على  
التليفزيون والدكتور الكتاتنى عمال يُشخط فى واحد مطلع عينه من  
المُخبرين اللى حبايبك زقوهم فى برلمان الثورة، وبص لى وقد  
انتصبت حواجه المنكوشة كالأسلاك الشائكة كأنه الفنان "يوسف  
داوود" بالضبط وقال لى:

- حضرتك بتسألنى أوضاع البلد هتهدى إمتى!؟

لما الإخوان يختلفوا من الوجود، لما يتبخروا فى الهواء، لما  
يتلاشوا من الكون..

وفضل يشوح بإيديه ويبرطم، وأنا والمهندس طارق طرنا بالشيكات  
القديمة واحنا ميئين من الضحك.. هههههه..

هتومت انت كمان من الضحك؟

أمال لو كنت شفت شكله السورىالى..

أيوا ما أنا عارف إنه كان لواء، وهى دى عايزة نكاء..

اللواءات تعرفهم بعقدتهم من الإخوان، وبتعقيدهم لبنى الإنسان

انت بيغرك إنهم والإخوان فى شهر عسل دلوقت!

دول يومين دلح كدا تفاريحي وبكره يتقلبوا عليهم ويقلبوا لهم ضرر  
المجن وحياتك

يا حاج اصحابك دول زى الفريك ما يقبلوش فى الهيمنة والسيطرة  
شريك..

أشوفك بالليل إن شاء الله..

توقع مناقشات أسخن من المرة اللى فاتت

أسخن.. مش أسخم.. ههههههه

على رأيك.. تمشى أسخم برضه..

ما هو البركة فى اصحابك.. هههههه.

- عاملين دوشه ليه بس، انتو على طول تتعاركوا كده..

اشهد انت يا حاج توفيق، مين فينا مواعيده أدق من التانى، أنا ولآ  
الدكتور شوقي؟!!

- بصراحة انت وهو منضبطين فى المواعيد جدا.

- يا حاج توفيق أنا دخلت الساعة تمانية بالضبط وهو ركن  
بعدى بنص دقيقة!

ما هو ده فرق التوقيت بين مصر وألمانيا يا دكتور، المهم أنا  
جايبك شوية شغل النهاردة إنما إيه.. صبرك بس لما العدد يكمل  
والدكتور نزار يشرف.. اتفضل يا حاج توفيق شكلك عايز تقول  
حاجة..

- الأول ناخذ قهوتنا على ما يكتمل الجمع.. والله يا جماعة  
أنا غُلبت واحتار غُلبى فى مجتمعنا الغريب ده، البيه  
جارنا القاطن بالفيلا الضخمة الفخمة اللي على الناصية،  
واحد ممن كنا نطلق على أسلافه أيام الرئيس السادات الله  
يرحمه وصف القطط السمان وأصبحوا الآن من الحيتان  
العمالقة الضخام، ضخامة ورخامة ومنظرة ومسخرة!

ومالك شايل من الراجل كدا ليه يا حاج توفيق..!

- حضرته يا سيدي كان بيحتفل امبارح بضم سيارة جديدة إلى أسطول سياراته الرهيبة التي نتمنى أن نموت تحتها، يقوم يجيب دبايح ويوسخ الدنيا ويقف بكل تخلف وجهل يطبع بكفه المغموسة في الدماء خمسة وخميسة على العربية ويتبعه الأولاد والخدم بتلطبخ البوابات والجدران وحتى كشك الحارس بأكفهم الدامية، كل ده طبعاً درءاً الحسد حسب تفكيرهم الأهل!

يا سلام وهو ده اللي منرفك! لكن انت متأكد انه كان بيغمس إيده في دماء الدبايح أم في دماء الضحايا من غلابة هذا الوطن؟!

- يا أخى أنا فعلاً مُندهش، متى سيأتى يوم على هذا المجتمع يتحرر فيه من أسر هذا الهوس ويُحطم فيه قيد هذا الوهم المُقعد المُعطل؟ معقول أمه بأكملها مُصابة بفوبيا الحسد، الحاكم والمحكوم والكبير والصغير والغنى والفقير والمتعلم والأُمى والرجل والمرأة والمسيحي والمسلم!

- ماله المسيحي يا حاج توفيق عاملك إيه بس، سلام عليكم الأول..

- وعليكم السلام يا أستاذ فخر، كنا بنتكلم عن الحسد..

اللى شاغل الناس كلها، والمُحير فى المسألة إنه لما الكل  
بيشتكى من الحسد وبيخاف من الحسد والكل ضحايا  
وبيتحسدوا بس، أمال مين اللى بيحسد؟!!

- أوه يا حاج توفيق، فوبيا الحسد عندنا كمسيحيين لا تقل  
عنها عند المسلمين، عندنا كنايس وآباء شغلهم الشاغل  
معالجة آثار العين والسحر والحسد!
- اسألونى أنا عن الحسد أنا راجل مقاول وبلف مصر

والدول العربية، تطلع الصعيد تلاقى الخوف من الحسد والتحسب  
منه أكثر من الخوف والتحسب من الثأر، تنزل بحرى تلاقهم  
شايلين هم الحسد أشد من شيلهم هم غرق المحصول أو موت  
البهايم، تروح الخليج يا أرحم الراحمين، جيوش مجيشة من  
المشايع والفضائيات للحديث عن السحر والعين والحسد وعمل  
الرُقبة الشرعية، لو الواحد قرصه برغوت ولا عَضه كلب ولا  
كعبته قطة يبقى متتيل محسود وعايذ علاج من العين، حاجة  
تجن الجن والله!

- وتفكر دا من إيه يا ضياء بيه؟
- والله يا أستاذ فخر أنا رأيي إنها مشكلة نفسية تأصلت فى  
مجتمعاتنا كنتيجة لخليط غريب من العادات الوثنية..

والتخريفات الدينية التي رسختها الجدات وأرضعتها  
الأمهات للأجيال مع لبن الرضاعة..

- يعنى انت عايز تقول إن المرأة العربية هى المتهم الأول  
فى إصابة المجتمع بفوبيا الحسد يا ضياء؟!
- أكيد يا دكتور شوقي، هو فيه برضه تصرف ولا كلمة ولا

تفكير فى المجتمع ده إلا وكان من صنع المرأة، ثم أليست المرأة  
هى التى تُربى وتُشكل الشخصية الناشئة وتؤثر فيها وتُورث  
أفكارها للبنات من بعدها؟! دا أنا بيتهياً لى إن العيل بيتعلم الخوف  
من الحسد من أمه وهو لسه فى بطنها، ما بتصبرش عليه لما  
ينزل، وأول ما يشرف خد عندك، طقوس كلها لمواجهة شبح الحسد  
المُربع، يعلقوا له خمسة وخميسة وخرزة زرقاء، وآه لو سخن ولا  
كح، أمه وجدته وخالته وعمته فى نفس واحد: ان شا الله تنتشك فى  
عينها اللى شافتك ولا صلاتش على النبي!

- تعرفوا يا جماعة إننا مجتمع غارق لآذانه فى التخلف  
والتجهيل المُتعمد من عصابة توارثت حكم القمع والتضليل  
والتغيب حتى أفرغوا كل شيء فى البلد من محتواه، فمن  
يصدق أن عشرات الجامعات ومؤسسات التعليم ووسائل  
الإعلام والتوجيه لم تقلل من تخلفنا، بل تزيده وتُرسخه  
حتى بات التخلف وكأنه قدرنا المحتوم!

فأنا مثلا وبعد أن حَصُلْتُ على الدكتوراه الأولى من روسيا، عُدت إلى مصر مُحملا بآمال عِراض لخدمة بلدى فى مجال تخصصى الذى يُعتبر نادرا، فذهبت لمقابلة رئيس إحدى الجامعات لأعرض عليه ما أعتبره كنزا ثمينا وفتحا مبينا لتحقيق قفزة علمية لتطوير الرياضة فى مصر والنهوض بها على أساس علمى، فإذا بى أجده يجلس على مكتبه ساهما يُتمتم وييده مسبحة ورائحة البخور تتصاعد من ركن قَصِي فى مكتب سيادته، خائف على نفسه من الحسد هو كمان! والشهادة لله لم يقطع الرجل تسبيحه ولم يَرُد على العبد لله بكلمة واكتفى بإشارة فهِمت منها أن أترك ما لَدَى من ملفات وسيتصلوا بى لاحقا، هذا إذا احتاجوا إلى مثلى طبعاً، يعنى أترك لهم ما لَدَى من ملفات! ملفات مُتخمة بحصاد أبحاث وإحصائيات وأفكار وتوصيات سهرت فى تجهيزها لعرضها على سيادته أسبوعا كاملا قبلها! طبعاً خرجت هاربا مقررا السفر إلى ألمانيا هذه المرة لأغتنم فرصة كُنْتُ مترددا فى قبولها للتجهيز للدكتوراة الثانية، وهناك عملت معهم وشاركتهم الإبداع فى معاملهم وجامعاتهم على مدى خمس وعشرين سنة، بعد أن فاض بى الكيل ممن لا حديث لهم ولا شاغل إلا الحسد وفلان عمل وفلان سوى!

- بس يا دكتور شوقى أى حد تكلمه يقولك الحسد مذكور فى القرآن، وعندنا يقولوا لك الحسد مذكور فى الإنجيل!

- صحيح يا أستاذ فخر، بس ده مذكور فى الكتب السماوية

كأى خُلُق أو سُلوِك سيئٍ بغرض التنفير منه وإجتنباه وليس من أجل الهوس بالانشغال به والخوف منه، وإهدار الطاقة والجهد وتدمير السلامة النفسية للفرد والمجتمع بسببه، لذلك تجد المجتمعات الغربية المتحررة من فوبيا الحسد منتعشة ومنطلقة بحيوية ودون عُقد للتسابق والتنافس فى العمل والإنتاج والإبداع، يُظهرون نجاحاتهم للتنافس ولا يُخفونها أو يتركونها مثلنا مخافة التحاسد!

- يعنى بإختصار يا جماعة، لو كل واحد توقف عن ممارسة الحسد و المبالغة فى هوس الانشغال بيه هتبقى الدنيا فى البيس.

برافو عليك يا ضياء جبت الخلاصة، بس أنا كنت عايز أضيف على كلام الدكتور شوقى حاجة بخصوص تحرر المجتمعات الغربية من قيد الحسد إن ده راجع لرسوخ قيم الحرية والديموقراطية والعدالة الاجتماعية، واختفاء القمع والفساد الذى يُوغر صُدر الناس ويُشيع بينهم التباغض والتحاسد لضياح الحقوق وانعدام العدالة، فتحقق العدالة يضمن للفرد السلامة النفسية والطمأنينة لثقتة بتكافؤ الفرص بين الجميع فلا يحسد!

- بيتها لى كفاية حسد وناخذ فاصل للمشاريب على ما  
أطلع أطل على المدام ويكون الدكتور نزار وصل.. بعد  
إذن حضراتكم..
- يا نيازي.. خليك مع البهوات.. شوف طلباتهم.
- السلام عليكم.. مين الناس الحلوين المنورين دول..
- دا نورك يا دكتور نزار.. طبعا العيادة شغالة نار، ماهى  
السمنة أصبحت أسلوب حياة فى مصر وفى بلاد العرب  
أوطانى، ومهما تخسس برضه النفخ شغال على ودنه..
- انت بتثق يا باشمهندس ضياء ولا إيه!
- شفتوا.. ما هو دا اللى كنا بنتكلم فيه.. فوبيا الحسد!
- صحيح فكرة عبقرية يا نزار، ما تجرب الحسد فى علاج السمنة..
- الله الله.. الظاهر إن حضراتكم رايقين النهاردة وبتتسلوا  
عليا..
- بكلمك جد.. تعين واحدة عينيها مدورة تنتش الزبونة السمينة عين  
تقوم تخس النص فورا.. طب والله فكره، وانت عارف ما انت  
عارف أد إيه كثيرة وجميلة العيون المدورة فى بلدنا يا حبيبي..  
على رأى وردة.. ههههههه..
- فكرتوني.. مش بنتى مارية سألتنى عن كُشوف العُذرية..

- إيه ده.. معقول! البنوته الصغيرة سألت السؤال ده!؟!

مش كدا وبس يا حاج توفيق.. دا أنا جمعت الاتنين، الولد والبنت مارية وعُمر، وشرحت لهم كل التفاصيل، بعد ما أمهم هريت من الإجابة على أسئلتهم..

- طيب ما تسمعنا يا سيدى جاوبت ازاي وقلت إيه، علشان الناس تعرف إزاي نتصرف فى المواقف دى..



شُوف يا أستاذ..

شوف يا أستاذ فخر، أعتقد ان معظم مشاكلنا سببها عدم توضيح الأمور لأولادنا بشكل صريح وعلمي يحترم عقولهم، وأنا من ناحيتي بحاول أتعامل مع ولادى بعقلية مُنفتحة خالية من التسلط الأبوى عمّال على بَطّال.. المهم باختصار أنا شرحت لهم أن كلمة العُذرية هي وصف لحالة الفتاة العذراء أى التى لم تتزوج بعد، لأن أى أنثى تُولد ومن ضمن المكونات التشريحية لجهازها التناسلى غِشاء رقيق يُسمى غِشاء البِكارة أو العُذرية فإذا تزوجت وتمت علاقة زوجية بينها وبين زوجها انفض هذا الغشاء أو تمزق ولم تَعُدْ عذراء وإنما أصبحت سيدة متزوجة، وطبعا الأنسة مارية اللمضة سألتنى بخُبتِ قائلة:

- بس ستنا مريم جابت بيبي وبرضه بيسموها العذراء!

- واتصرفت ازاي..

قلت ان ستنا مريم ظلت عذراء لأنها لم تتزوج ولكنها أنجبت سيدنا المسيح عيسى بمعجزة ربانية خاصة، بأن أرسل الله إليها سيدنا جبريل فنفخ فيها من روح الله فَتَخَلَّقَ فى بطنها بيبي سماه الله عيسى بن مريم.. وقلت لها: خدى بالك ان اسمه المسيح عيسى ابن مريم لأن مالوش أب.. عفوا يا أستاذ فخر، بصرف النظر عن معتقداتكم يعنى..

- لا يا فندم مفهوم طبعاً.. انفضل كمل..

على طول فاجأنى عُمر بسؤال لئيم زيه وقال لى:

- هى العذرية دى بتنتهى بالزواج بس ولا ممكن بطرق  
أخرى؟!!

فقلت لحضرتة إن ده مُجرد غشاء رقيق لو تم فضه بأى طريقة  
سواء ذاتية من عبث الأنثى بذاتها أو خارجية من علاقة زوجية  
شرعية أو علاقة خاطئة أو اغتصاب أو حادث.. تنتقى عن البنت  
صفة العذرية.

- غريبة.. معقول لم يخجل الأولاد من هذه الصراحة.. دا  
المفروض انت نفسك تخجل!

واخجل ليه يا ضياء بيه، أنا برمجتهم من البداية على إعمال  
العقل وحب الثقافة والعلم وعودتهم على مناقشة أى شئ فى هذا  
الإطار، وبشجعهم على قراءة الكتب التى تناسب سنهم، ومتابعة  
البرامج العلمية والثقافية والأفلام الوثائقية التى تتناقص مثل هذه  
المسائل بلا حرج..

- سؤال محدد.. فهمت الأولاد إزاي فضيحة كشوف العذرية  
بعد محاضرتك العلمية الذكية المُبسطة دى يا بيه؟!!

والله يا دكتور شوقى حاولت أن أضفى على كلامى شئ من السُخرية لأنى عارف مستوى الاستيعاب الجيد لأولادى، فقلت لهم أننا أكثر ناس فى الدنيا نلتزم الدقة فى كل شئ.. حتى فى السفالة! فلما حد يثور عندنا ويعمل دوشة فى الشارع ويزعج أسياده من بقايا آلهة الاستبداد، وتفشل محاولات قتله أو قنصه أو إصابته أو سحله أو تعريته أو تعريتها فى عرض الطريق، فمن دواعى الدقة أن يتم القبض عليه، وبعد أن يُقبض عليه فمن دواعى الدقة أيضا أن يتم الكشف عليه علشان يتحدد بدقة برضه أهو ذكر أم أنثى، وإذا اتضح أنها أنثى فمن دواعى الدقة برضه انها تتعري أمام الأوباش الهمج ولاد الحرام علشان يتفرجوا عليها، وبالمرّة يعرفوا هى عذراء ولاّ لأ، وبكده نكون التزمنا الدقة فى كشوف العذرية من باب التزامنا بالسفالة والهمجية من أجل نقاء وعفة الحالة الثورية التى أنقذتها وحمتها، تكتيكيا، العناية الجنراللية! طبعا سخريتى المريرة كان سببها شعورى بالحزن والعار والخجل مما حدث وربما سيحدث أشد منه لبناتنا فى الشوارع، وربما فى السجون وحياتكم، ما يجعلنى أسأل دكتور شوقى عن سر العلاقة بين السلطة الباطشة وعُقدة الجنس: يا ترى فيه عُقدة نفسية مُتأصلة هى السبب فى إصرار السلطة القمعية الباطشة فى كل العصور وفى كل الدول المتخلفة التى ترزح تحت حكم عسكرى ديكتاتورى دموى على إهانة معارضيهها جنسيا؟!!

بدءا بالشتم بألفاظ بذيئة خادشة للحياء ومرورا بالتحرش والتعريية وانتهاك العورات والسحل والاعتقال ووصولاً للتعذيب والاعتصاب.. هل هى عقدة مرضية كامنة فى نفوس هؤلاء الطغاة المجرمين؟!

- قبل أن نتكلم عن التفسير النفسى لهذه السلوكيات الشاذة

والإجرامية من ذوى السلطة والنفوذ لابد أن نفهم أن أى سلطة دون رقابة شعبية أو مؤسسية لابد وأن تتمدد فى اتجاه الجريمة، بدءا من الرشوة والفساد ووصولاً إلى القتل وانتهاك الأعراض والحرمان وحتى خيانة الأوطان، وهذه قاعدة تنطبق على أية سلطة غير مُنتخبة ديموقراطيا أو تأتي عن أى طريق غير طريق الإرادة الشعبية الحرة المَنوطة وحدها بمراقبة ومحاسبة من أتت بهم إلى مواقع المسئولية.. أما عن سؤالك: لماذا يُترجم الديكتاتور وبراغيته، فكل من يلى الديكتاتور مجرد برغوث مهما بدا منتفشا يمكن فركه بضغطة إصبع فى أى لحظة، لماذا يُترجمون تسلطهم وفسادهم فى سلوك جنسى مُنحرف وشاذ غالبا؟! فالهوس بالجنس يُعد من أنماط السلوك الملازمة لديكتاتورية السلطة المستبدة القمعية والمال الفاسد المدعوم منها والداعم لها، سواء كان ذلك مُتمثلا فى هوس الديكتاتور شخصيا بالجنس وسعيه للفوز بأكبر نصيب منه لنفسه، كما قرأنا وسمعنا عن كل ديكتاتور دموى فاسد..

بدءاً من القرون الوسطى فى أوروبا ومروراً بالعصرين العباسى والأمرى ووصولاً إلى عصرنا هذا! فالعالم من شرقه إلى غربه ومن شماله إلى جنوبه يئن من جرائم المستبدين الفاسدين ويعج بالحكايات المفردة فى الشذوذ عن هوسهم الجنسى وانحرافاتهم الأخلاقية، يستوى فى ذلك من رفعوا رايات الثورة والحرية من ماو إلى كاسترو، ومن رفعوا رايات العظمة والمجد من هتلر إلى موسيلينى، أو من رفعوا رايات القومية والتحرر كالقذافى وأمثاله، فكلهم قد جمعهم هوس الجنس المرضى! أو كان سلوك الديكتاتور المنحرف مُتمثلاً فى استمتاعه بالتحرش بكل حُرّة تستعصى عليه وعلى جُنده، أو بإيذاء بنات ونساء مُعارضيه إلى حدِّ اغتصابهن بل وقتلهن! كل ذلك راجع لعقد جنسية مُتأصلة فى الديكتاتور وكل من يدور فى فلكه ويُنفذ أوامره وسياساته وخططه من جنود وأتباع وأعوان أو براغيث.. فكلهم كاذبون شاذون ساديون فصاميون، مُصابون بحزمة من أمراض نفسية واضطرابات وجدانية وسلوكية وتشوشات فكرية تجعلهم فى حالة استمتاع جنونى بالتجرّد من الإنسانية والتحلُّل من القُيود الأخلاقية، وتحدى القوانين وانتهاك الحُرّمات بفعل كل ما هو ممنوع أو مُحال على غيرهم، والهوس بالاستحواذ على كل لُدّة بلا حُدود أو سَقف، والإمعان فى كل أذى بلا رادع أو خَوف!

- يا دكتور شوقى، المسألة حلها بسيط، وعلى رأى المثل:  
نشيل ده من ده، يرتاح ده عن ده..

يعنى إيه يا فخر بيه؟!

- يعنى إيه لزوم وجع القلب دا كله، المفروض نبعد البنات

والسيدات تماما عن الشارع وفعالياته الثورية أو عن أى تدخُل فى السياسة أو أى احتكاك مع الأنظمة البربرية دى، ما هو بالعقل كده تنتظر إيه من عسكري جلف مُتخلف لما يُشوف أنثى، مُجرد أنثى، فى مُواجهته؟ ما هو لازم يهيج ويطلع عُقده عليها ويعتبرها فريسة مُستباحة لن يحاسبه أحد على اقتناصها وتمزيق شرفها!

- لو تسمح لى أرد على الأستاذ فخر، يا دكتور شوقى..

- اتفضل يا حاج توفيق.. على الرحب دا انت أستاذنا..

- يا أستاذ فخر.. لا شيء يغيظ الطاغية المُستبد مثل

ظهور المرأة فى مشهد النضال ضد جبروته الدموى، لأن

المرأة هى المؤثر الرئيسي فى الرجال والشباب وهى القادح

لزناد نضالهم وهى المُحرض على خُروجهم وصُمودهم

وثباتهم، فما بالك إذا سبقتهم وتقدمت صفوفهم! إنها بذلك

ترفع كُلفة القمع على الطاغية وتُصعب عليه مهمته..

فى البَطْش وتفضح عَفْدُه النفسىة الكامنة، فنُشعره بعجزه وتُعزّيه أمام الشعب وأمام العالم كله، وتُشعل حَمِيّة الأحرار وتُوججها عندما تُضرم نار الدفاع عن الشرف فى وقود الدفاع عن حرية المواطن والوطن، لذا لا يتردد الطاغية المُستبد فى تجاوز أى سَقف إنسانى أو دىنى أو قانونى أو أخلاقى من أجل رَدع المرأة وإبعادها عن المشهد الثورى والوطنى، بإرهابها وتخويف أهلها وذوئها من بهدلتها، وبمعاملتها فى الشارع باعتبارها مُجرد مُتظاهر مُشاغب دُون النَّظَرِ لخصوصيتها كأنثى، فنُضرب بالعصى وتُركل وتُصفع وتُسحل ويتم تعريتها على الملأ والتحرش بها أمام الكاميرات وفى أماكن الاحتجاز ويُنتهك عرضها وتُغتصب، ظنا من الطاغية المُستبد أنه بذلك يضرب عصفورين بحجر واحد، فهو يكسِر عين المرأة وإرادتها ويُخوف ويُرهب من تفكر فى أن تحذو حذوها من بنات جنسها من جهة، وبنال من إرادة مُعارضيه بالنيل من شرفهم من جهة أخرى!

- لكن اسمح لى يا حاج توفيق، أرجع للدكتور شوقى واسأل: هل القمع المُفرط والاستبداد الخانق يؤثر سلبيا على السلوك الجنسى للأفراد أيضا؟!
- ده أكيد يا دكتور نزار، فالاستبداد يُعد بيئة مناسبة بل مثالية لظهور كل أشكال الخلل الجنسى..

سواء فى صورة عَجَز يتسلل ويشيع بين الرجال كنتيجة للإذلال والقلق والخوف الذى يُعانونه، أو فى صورة بُرود يعترى النساء نتيجة لتحطم الحالة النفسية للرجال وانهماكهم فى همومهم اليومية وانشغالهم بحماية أنفسهم وأهليهم من بطش فرعون وجنوده، الخُلاصة أن تَرَكَ القَمَع والاستبداد ليستقرا ويستمرأ ويُسيطرأ، كَفَيْلٌ بتدمير كل رُكن فى بنية الفرد والمجتمع لعقود وأجيال قادمة.

- يعنى يا دكتور شوقى حضرتك عايز تفهمنا ان قطعان

الفساد والتخلف الذين يعيثون فى الأرض فسادا ويفتكون بالشعب وبحريته وكرامته وبالوطن وباستقلاله ومقدراته، كلهم هم ومن يعمل معهم أو يساعدهم أو يسكت على إجرامهم أو من وصفتهم بالبراغيث، مرضى نفسيون وتصرفاتهم الإجرامية هذه سببها تشوهات وانحرافات نفسية؟!

- بالضبط كده يا حاج توفيق.. هو ده رأيي.

- ما هو بالمنطق كده يا بهوات.. فيه إنسان سوى ومترى ومحترم وابن ناس يرضى الأذية لبلده وأهله وناسه ويقبل على نفسه الخيانة والقتل والاغتصاب وأكل السُحت؟!

- بس يا ضياء بيه دول فيهم كتير وصلوا لأعلى المراتب الأدبية والعلمية والأكاديمية وفيهم أولاد أكابر كمان!

- يفتح الله يا عمى فخر، كل ده يسقط ويصبح تحت جزمتى

ولا يُساوى شيئاً، مادام حضرته رضى لنفسه المشاركة فى جريمة  
تضييع وطن ونهبه وسحق كرامة شعبه، وبالذات هتك عرض  
البنات ده!

- المصيبة ان كلهم بيقولوا انهم بيعملوا كل ده من أجل

الوطن يا بيه وان اللى بيعارضوهم هم أعداء الوطن، وكمان فيهم  
جيوش من المتدينين والمشايخ وهواة الحج والعمرة والملتحين  
الممهورة جباههم بعاهات غبية مُنفرة يسمونها علامة صلاة!

- وفيهم أيضا قساوسة وآباء ومتدينون من المسيحيين اللى

دقونهم وألسنتهم شبرين يا أستاذ فخر، لكن هؤلاء وهؤلاء كاذبون  
ولا يعرفون رِياً ولا ديناً، فمن المُستحيل أن يتعايش الدين مع  
الظلم، مُستحيل ينسجم الإبداع والفن مع الاستبداد والقهر،  
مُستحيل يخضع العلم للتخلف والجهل، مُستحيل ترضى الأخلاق  
عن الهمجية، إزاي النضيف يرضى بالقذارة، إزاي ابن الناس  
يرضى بظلم الناس وبهدلتهم وأكل قوتهم، معقول الجمال يخضع  
للقبح، الضمير يخضع للتلهيب والسرقة، إزاي يتعايش الإيمان مع  
الكفر؟!

أنا شايف ومُصِرّ إن من رابع المُستحيلات إن البنى آدم السّوى يُشارك فى أى استبداد أو ظلم أو فساد أو خيانة أو قتل تحت أى ذريعة.

- بمناسبة التدين والمشيخة دى يا جماعة أنا شفت بعينى

فى ألمانيا واحد من المشايخ الكبار مُمدد بالمايوه والنظارات الشمسية والسيجار الكوبى على شيزلونج حمام السباحة فى أحد أشهر فنادق برلين وحوله المشروبات والجميلات! ولما شافنى صديقى، المهندس خليفة السعدني، مذهبواً وغير مُصدق، ضحك وقال لى: أصل مولانا جاى فى رحلة علاجية وبالمرّة بيعطى شوية دروس دينية للجالية هنا فلازم يريح، ماهو "إن لبدنك عليك حقاً" برضه! يعنى يا جماعة أنا شايف ان كلام المهندس ضياء صح، مستحيل يكون إنسان سوى ويشارك فى جريمة، فما بالك بجريمة تضييع وطن وتدمير مستقبل أبنائه! أكيد من يشارك فى هذا بأى قدر فهو كذاب ونصاب وكل ما يُظهره من تقوى وتدين وعلم ووقار ومكانة هو كذب فى كذب.

- يا اخواننا كيف يستقيم الظلّ والعُودُ أعوج؟

والأكادة انه مش أعوج بس، دا كمان منافق وحرامى وابن ستين كلب!

- حتى لو كان مُضطرا أو فاهم غلط يا ضياء!؟!

- مفيش حاجة اسمها مُضطر أو مش فاهم يا حاج توفيق،

حضرتك مش سامع أستاذ فخر بيقولك إن منهم نُخب فى كافة المجالات! يعنى لا هو جاهل علشان يُسيئ الفهم ولا هو فقير علشان يخشى الفقر، فأولى به أن يقف مع الأحرار من أبناء وطنه فى وجه الاستبداد والفساد أيا كان مصدره أو القوة التى تقف وراءه.

طيب يا جماعة، ولو إن الحوار النهاردة وزى كل مرة، ما شاء الله، ساخن ومُفيد..

بس أنا مضطر آخذ دكتور نزار ونستأذن..

- إيه ده.. ده كلام برضه.. ما لحقناش نشبع منكم، ولسه هنتعشى..

كان بودنا والله يا حاج ، لكن نتقابل بكره، ونعوضها إن شاء الله.

هَات مَا عِنْدَكَ..

هات ما عندك يا نزار بيه.. أعتقد أننا توقفنا عند محطة الإرواء أو الإرضاء الجنسي من خلال التواصل الصوتى اللذيذ المريح، عوضاً عن التواصل الجسدى ومشاكله! تلك المحطة التى وصل إليها قطار علاقتك ب "حنان" بسرعة غريبة، بعد أن كان يتهادى فى محطات التعارف المُهذب المُتكلف الشيك، ثم محطات الكلام المُنمق فى الدين والسياسة واللغة والفن، ثم محطات التحليق فى الرومانسية الرقيقة والحُب الحقيقى، ليقفز فجأة إلى المحطة النهائية، محطة الأورجازم البيور الخالى من العلاقة الجسدية المباشرة التى أصبحت تُمثل عُقدة كرسيتها التجربة الأولى بما تتطوى عليه من سادية وامتهان وقذارة.. تلك المحطة التى اتضح أنها ضالة حنان التى كانت تبحث عنها من البداية! ولكن قبل أن نبدأ اسمح لى أسالك: هل كانت حنان مُتدينة فعلاً ومُحجبة؟

- ده صحيح.. وكلهن أو مُعظمهن كذلك، مُتدينات ومُحجبات!

وماذا عن الأب فى حياتها، من حيث حُضوره وتأثيره؟

- مُتأثرة به جداً لدرجة النماهى مع شخصيته والهوس بكل ما يُمثله من أفكار، ولا تكف عن ذكره عنه بمناسبة أو بدون مناسبة!

وكيف سارت العلاقة مع حنان بعد أن وصلت إلى محطة التفاعل الجنسي الافتراضى، ولو من طرفها أو بمبادرة مفاجئة منها هي، حسب كلامك؟

- طبعا كان من المُستحيل أن يَستمر هذا الوضع، رغم سيل

الإغراء الجارف ولهيب الرغبة اللافح وسِحْر التَّأوه المُثير الفاتن، فكل ذلك كان يَتحطم على صَخْرَةٍ راسخة في أعماقي اسمها: الضمير! فكلما بدأ الاتصال وبدأ صوت فحيح الإثارة فى التسلل والسريان، شَوْش عليه زعيق ميكروفونات الضمير وصوت نَذيرها المُرعب الذى يَصُم الآذان، إيذانا بالتوقف فورا وبدء رحلة الانسحاب والعودة بعد أن اكتشفت أن حُب حنان المُباغت العاصف الذى كنت أظنه من شدة ظمأى ماء، حتى إذا جنَّته وجدته سرابا بَقِيعةً وَوَجَدْتُ الله عنده فَذُبْتُ خجلا من نفسي وانتبهت إلى أن هذه التجربة العابرة لم تكن حُبا حقيقيا وإنما كانت بَرْدُ وحدة يبحث عن دفءِ صحبة، صمت وحشة يبحث عن أُنْسِ كلمة، عطش جسد يبحث عن رِي لذة، فراغ قلب يبحث عن فيض حُب، وخيبة أمل تبحث عن إنصاف حظ! إنها أمواج بحر مندفعة صادفت شاردا مثلى على الشاطئ فتلَهَفْتُ على احتضانه، ولم تكن تدرك، لا هي ولا أنا، أن لى حدودا لا أستطيع تجاوزها فى العوم وإلا لَغَرَقْتُ وَأَغْرَقْتُ.

وكيف تَغلبت على هَياج الأمواج واندفاعها وارتفاعها لِتَبقى مُتسبِئاً  
بالبقاء على الشاطِئ؟

- يا لَيْتِي بَقِيت على الشاطِئِ واستأنفت سَيْرِي بمحاذاته

ونسيت، فمن يَعرف طريق البحر ويستتشق عبير هوائه، ويستلقى  
كرضيع على صفحة مائه، ويُريح رأسه المُنهك المُثقل على حجر  
هدوءه وصفائه، فلا يُطالبه أحد بشيء ولا يحاسبه أحد على شيء،  
فهيئات أن يعود إلى الشاطِئ ليمضغ حُباً أنانيا مُراً، ويزرد كلاماً  
فاتراً مُكرراً، ويتجرع الضجر وجلد الذات جراء الشعور بِذَنْب  
يُطارده، ولا يعرف ما هو ولا يجد منه مَفراً!

وهذا ما سنُؤكده حكاياتنا التالية..

سُوزَانِ..

- سوزان أو الدكتورة سوزان.. هي صديقة على تويتر

والواتساب والفيس بوك وسكايب، وكل شيء وأى شيء كنت أتواجد أنا عليه كانت تَلْحَق بى، لَتُضْفَى على الأجواء هدوءاً أسراً وتُلونها بألوان شاعرية هادئة وتَغمرها بموسيقاها الحاملة وكلماتها الجميلة العاطرة الناعمة، ظلت على تلك الحال لفترة، عَصْفُورٌ يُعْرِدُ من بعيد ربما لشعورها أن صاحب البيت مشغولاً! وبينما أتَقَلَّب على جَمَر الضمير كَشَاةٍ مَذْبُوحَةٍ تُشْوَى، وسَكَكِينِ الحِيرة لم تنزل تمزقنى بعد مشوار حنان وأنا أسأل نفسى: أى دُرُوبِ الانسحاب أسلُكُ وأى كُؤُوسِ النِسيان أَجْرَعُ، إذا بِشِرَاعِ سَفِينَةِ سوزان يُرْفَعُ! وسَرَعَانَ ما اقْتَرَبْتُ لِتُرْقُزِقِ على حافة نافذة القلب بعد أن أدركتُ بِحَدَسِ الأُنثى أننى جاهز لِأَلْتَقِيتِ وَأَنْتَبَهْ، لتبدأ الإشارات الحمراء الدالة على ورود رسائل خاصة فى الإضاءة وأكتشف أنها هى الأخرى مُنشغلة بى منذ مُدَّة! لِتُعِيدَ نفس الكَرَّةِ وتُدُورُ فى نفس الدائرة.. انبهار بإطلالتك وسحر كلماتك ورقتك وذوقك وجاذبيتك الرجولية وابتسامتك وخفة دمك.. بلا بلا بلا.. ثم الرغبة فى مزيد من التعارف والصدقة البريئة الجميلة، ثم الدخول فى دردشة حول تخصصى فى مجال علاج السِمنة وما يمكن أن أقدمه لها ليساعدها فى علاج بعض حالات السمنة المُعقَّدة التى تشكل خطراً على قلب الطفل الذى هو مجال تَخْصِصِها، وَوَسَطِ شلال من الصور التى تُظْهِرُ جمالها..

وشياكتها، تصور لك أن كل ما فيها يبدو مُتأهباً مُشتعلاً يُناديك  
يَسْتَحِجُّكَ يَسْتَصْرخُكَ يَسْتَعْجِلُكَ، كل تفاصيلها تجسد شِدَّةَ تَلَهُّفِهَا  
على الاحتواء وضمأها للحب، تكاد تهتف بك: هَيْتَ لَكَ! تظل  
تُطِرُكَ بِصُورٍ لِكُلِّ شَيْءٍ، تَغْمُرُكَ بِهَا فِي كُلِّ وَقْتٍ وَعَلَى أَى حَالٍ،  
حَتَّى تُشْعِرُكَ وَكَأَنَّهَا تَتَّقُكَ إِلَى عَالَمِهَا، صُورٌ لَهَا مِنْذُ الطُّفُولَةِ  
وَصُورٌ لِأُسْرَتِهَا وَلِعِبَادَتِهَا الْأَنْيَقَةَ وَفِيلَتِهَا الْمُودِرْنَ وَسِيَارَتِهَا الَّتِي إِم  
دبليو، تُكَلِّمُكَ لَيْلَ نَهَارٍ، تُرْسِلُ لَكَ مَقَاطِعَ صَوْتِيهِ وَمَرْنِيَّةَ لِكُلِّ  
حَرَكَاتِهَا وَسَكِّنَاتِهَا، تَبْعَثُ لَكَ بِالْوَرُودِ وَالْأَغَانِي وَالْكَلِمَاتِ الْجَمِيلَةِ  
عَلَى مَدَارِ السَّاعَةِ، لِتَجِدَ نَفْسَكَ لَاهِثاً وَرَاءَهَا مِنْ تَوَيْتَرَ إِلَى  
الْوَاتِسَابِ إِلَى الْفَيْسِ بُوِكَ إِلَى سَكَايِبِ، وَفِي هَذَا الْجَوِّ الْمُفْعَمِ  
بِالْحَمِيمِيَّةِ وَالْإِثَارَةِ تَحْكِي لَكَ حِكَايَتَهَا..

رَفَقاً بِي يَا دَكْتُورَ نَزَارٍ.. اسْمَحْ لِي.. هَذِهِ الطَّبِيبَةُ الْجَمِيلَةُ الْغَنِيَّةُ  
الْمُدَلَّلَةُ، هَلْ تَعْرِفُ أَنَّ جَنَابَكَ مَتَزَوِّجٌ وَعِنْدَكَ أَوْلَادٌ!؟

- يَا سَلَامُ! طَبِيعاً تَعْرِفُ أَنَّي مَتَزَوِّجٌ وَعِنْدِي أَوْلَادٌ، وَكَذَلِكَ

كَانَتْ تَعْرِفُ حَنَانًا، لَكِنْ هَذَا الْأَمْرُ لَا يَهْمُ أَحَدًا أَوْ يَشْغَلُهُ، فَالْكُلُّ  
يَتَجَاهَلُ أَيْةَ تَفَاصِيلِ رُبَّمَا تُشْوِشُ عَلَيْهِ أَوْ تَلْسَعُ ضَمِيرَهُ، أَوْ تُعَيِّقُهُ  
عَنْ تَحْطِيمِ جُدْرَانِ سِجْنِ وَحْدَتِهِ، وَتَبْدِيدِ صَمْتِ وَحْشَتِهِ، وَإِسْكَاتِ  
أَنْبِيْنٍ وَالْحَاحِ رَغْبَتِهِ!

لكن تفنكر لو حنان أو سوزان أو أى واحدة أخرى وضعت نفسها  
مكان زوجتك، فهل كانت تقبل هذا لنفسها؟!

- أعتقد إن إجابة هذه الأسئلة الفلسفية التحليلية هي مهمتك  
أنت كى تشرحها لقرائك، هذا إذا كنت نويت أن تكتب  
الرواية فعلا، أما أنا فيكفينى أن أحكى وأقلب المَواجع..  
اتفضل احكى وقلب المَواجع وقول لى حضرتها عايزة من جنابك  
إيه؟!

- الحُب.. نعم الحب.. هى تقول أنها لا تُريد سوى الحب ولا  
شيء غير الحب، تقول أنها منذ أن صادفتى وتابعتنى وقرأت  
كلماتى وهى واثقة أننى الحب الذى تبحث عنه، أننى الرَجُل الذى  
تحتاجه! أعرف أنك ستسألنى وحضرتك عايز منها إيه؟! وسأقول  
لك: لَسْتُ أدرى، فأنا لا أعرف ماذا دَهانى ولا ماذا أريد! هل  
أخوض غِمار هذا كُلِّه لمجرد إرضاء غُرورى وشعورى بنشوة  
اجتذاب الأنثى والإيقاع بها والتلذذ بهيامها بى وتذللها لى؟ أم هو  
وَلعى بالمدح والثناء وَزَهوى بالإعجاب والانبهار بشخصى؟ أم هو  
إدمانى لشكل من أشكال الإثارة أجدّه فى اقتحام المجهول وكشف  
المستور وإشباع الفضول؟ هل أنا فعلا مُحتاجٌ إلى لَوْن خاص من  
الحُب وتَعجز إيناس عن توفيره لى وسأظل أتقلب بين أحضان  
النساء حتى أجدّه وأشبع منه؟! أم أننى مُحتاج لطبيب نفسى؟!

على كل حال لنسمع من جنابك حكايتها ونترك هذه التساؤلات بعد أن تنتهى.. تفضل يا دكتور..

- هِيَ قِصَّة طِفْلَتِهَا وَصَبَاها مُتَنَقِّلَةً بَيْنَ دَوْلَةِ الْبَحْرَيْنِ

حَيْث نَشَأَتْ وَكَانَتْ تَقِيمُ مَعَ أُسْرَتِهَا الصَّغِيرَةِ، الْأَبِ وَالْأُمِّ وَأَخٍ وَحِيدٍ يَصْغُرُهَا بِعَامِلِينَ، وَبَيْنَ دَوْلِ النَّفْطِ الْغَنِيَّةِ وَمَدَنِ أَوْرُوبَا وَأَمْرِيكَا، عَاشَتْ مَنُفُوعَةً فِي التَّدْلِيلِ وَالتَّرْفِ بِحُكْمِ مَنْصَبِ وَالِدَيْهَا الْمَرْمُوقِ، فَلَمْ تَعْرِفْ عَنِ الدُّنْيَا شَيْئاً إِلَّا السَّفَرَ وَالْمَطَارَاتِ وَالْفَنَادِقِ الْفَخْمَةَ وَالْفِيلا ذَاتِ الْحَدِيقَةِ الْغَنَاءِ وَمَلْعَبِ التَّنِيسِ وَحَمَامِ السَّبَاحَةِ وَبِاصِ الْمَدْرَسَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ، حَتَّى عَادَتْ إِلَى مِصْرَ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِيهَا فَجَأَةً لِنَتْرُوجِ مِنْ أَحَدِ أَقْرَبَائِهَا، وَهُوَ رَجُلٌ أَعْمَالٌ شَهِيرٌ وَابْنُ لِأَحَدِ الْعَائِلَاتِ الْمَعْرُوفَةِ، وَسَرَّعَانَ مَا اكْتَشَفَتْ أَنَّهُ مَرِيضٌ بِدَاءِ الْهَوْسِ الْاِكْتِنَابِيِّ لِتَسْقُطِ فِي بَيْتِ الصَّدْمَةِ وَالْإِحْبَاطِ وَخَيِّبَةِ الْأَمَلِ، لِاسِيْمَا بَعْدَ أَنْ عَجَزَ رَجُلُ الْأَعْمَالِ الْعَرِيْسِ عَنِ أَنْ يَدْخُلَ بِهَا أَوْ أَنْ يَفْعَلَ أَى شَيْءٍ مَعَ هَذِهِ الْقُنْبَلَةِ الرَّهِيْبَةِ الَّتِي تَكَادُ تَنْفَجِرُ مِنْ ضَغْطِ الْاِحْتِيَاكِ الَّذِي تَرَاكُمَ عَلَى مَدَى سَنَيْنٍ مِنَ الْاِنْتِظَارِ وَالْجِرْمَانِ، فَغَادَرَتْ فِرَاشَ الْفِشْلِ هَارِبَةً بِمَلَابِسِ عُرْسِهَا نَحْوِ الْمَجْهُولِ! لِتَبْدَأَ مِنْ بَيْتِ أَبِيهَا رِحْلَةَ الْبَحْثِ عَمَنْ يُطْفِئُ النَّارَ وَيُرْوِي الْعَطْشَ وَيُشْفِي الْغَلِيلَ وَيُسْكِتُ الْأَنْيْنَ وَيُشْبِعُ النَّهْمَ، لَكِنَّا وَجَدْتِ نَفْسَهَا تَائِهَةً فِي زَحَامِ الْقَاهِرَةِ الَّتِي سَرَّعَانَ مَا فَضَحَتْ سَدَاجَةَ فِكْرَتِهَا..

عن الحياة وكشفت إنعدام خبرتها في دنيا الناس واغتالت براءتها  
لتعلمها الجرأة والافتحام والمغامرة!

رجل الأعمال الشهير وأمواله وأطبائه لم ينجحوا في أكثر من إتمام  
لقاء جنسي بيولوجي واحد بالكاد بَدَرَ بِذَرَّةِ البنت الوحيدة التي  
جاءت إلى الدنيا كخطأ إملائي، لكن الرجل وأمواله ومحاموه  
نجحوا بسهولة في إطالة أمد حصول الدكتورة على الطلاق لأكثر  
من عشر سنوات! وتلك الفترة كانت كافية للأسف لِتَسْلُكَ كافة  
السُّبُل البديلة لتلبية احتياجات جسدها الذي أصابه مس من جنون  
الاشتهاء فلم يعد يعرف الصبر ولا يطيق الانتظار وكأنما خُلق من  
جمر مُتقد لا ينطفئ، ولا يُقيم إعتبارا لكونها لم تنزل زوجة وأما، أو  
على الأقل لم تنزل على ذمة رجل!

دكتور نزار.. أرجوك.. لا تقل لي أنها دخلت في تجارب خاطئة  
أو مشينة..

- للأسف لم تَدَع شيئاً إلا وفعلته، وكأنها كانت تنتقم من

أبيها الذي أفرطَ في تَدليلها ولكنه عزَلها عن الحياة والناس بحجة  
الحفاظ عليها، واستحوذ على تفكيرها حتى لم تُعَد تعرف التفكير  
إلا بعقله، وحدد لها طريقة تصرفها حتى لم تعد تُقَدِّر على  
التَّصرف إلا بطريقته!

أو تنتقم من أمها التي لم تُكسبها أية خبرة عاطفية أو جنسية أو حياتية، أو تنتقم من زوجها الثرى المغرور الفاشل، أو تنتقم من عُنفوان جسمها المُنْقَلت المُثير الطائش ومن رغبتها المُتفجرة كبركان نائر، فلم ترحم نفسها ولم يرحمها أحد!

بدءا من زميلها الطبيب الرياضي الوسيم الثري، الذي ظل لأكثر من خمس سنوات يستقبلها في فيلته ليجتاحها بلا رحمة منه ولا شِبع منها، ويُجرب فيها وتُجرب هي به كل ما كانت تحلم به وتتخيله وتتمناه، فضلا عما يُعلمه لها من فنون الجنس ووضعياته، حتى مل تَهافتها واحتقر ابتذالها وسَيِّم تساهلها، بَعَدَ أن كاد بُنيانه الرياضي القوي من شَرَاهَتِهَا أن يتصدع، وكاد شبابه النَّدي الريان من نَهِمها أن يذبل، فودعها بليلة فاجرة صاخبة بالغ فيها في إنهاكها وسَحَقِهَا وكأنه يريد أن يستنفذ رغبتها المَكبوتة المُتفجرة حتى تَنضُب فَتُريحُ وتَسْتريح، ثم ما لبث أن أغلق بابهُ دُونها لِتَعُزَّ السير في طريق إرواء رغبة لا تشبع عَبْر سلسلة من العلاقات العاطفية في كل مكان تَغْشَاه أو وظيفة تتسلمها، وصولا إلى الممارسات الافتراضية على الإنترنت، والتي كم أسفرت عن ظَفْرِ بوعد أو وَقُوعٍ في فَخ، كل هذا مع حِرصها الشديد طُوال الوقت على شكلها المُتدِين نِسْبِيًّا وعلى وضعها الاجتماعي والأدبي الشيك المحترم!

دكتور نزار .. لولا ثقتي في صدقك كأخ وصديق، ما كنت صدقت حرفا مما تقول، في أى عالم نحن! هل قلت لى إن حضرته برضه مُتدبنة ومُحجبة؟!

- فى الحقيقة.. أنا أحاول أن أختصر وأتجمل وأبذل جهدا كبيرا فى اختيار أقل الكلمات والأوصاف صراحة وجُرأة تفاديا لصدمتك..

أعرف وأقدر، ولكن بعد أن غاصت سوزان لِأذنيها فى هذا الوضع الخاطئ، وسألكت للتجربة والخطأ ألفَ دَرَب، فأى دَرَبٍ أوصلها يا تُرى إلى طبيب محترم ومتزوج مثل سيادتك؟!

- بالطبع بعد أن بلغَ بها الإرهاق والإحباط مداه وبعد أن

ظلت لسنواتٍ عَشْرٍ تدور فى دوامة من العلاقات العاطفية الفاشلة، والاستغلال والابتزاز الذكورى الرخيص والهجوم والشتم والإهانة من كل زوجة تكتشف تورط زوجها فى علاقة معها! وبعد أن سرقها الوقت وهدها التعب ومزقتها الحيرة وأحرقها الضمير وأذابتها الدموع وجلدها الندم، وبعد أن حُرمت من ابنتها الوحيدة بعد أن بعث بها أبيها لتُقيم وتدرس لدى عمها فى أمريكا، قررت أن تعود أدراجها إلى البحرين مرة أخرى بما بقى لها من شباب وجمال ظل مُحفظا بتألقه ورونقه، لِتفتَح عيادة تخصصية..

فى طِب قَلب الأطفال وتمضى وقتها فى نَقاهة رُوحية ونَفسية  
بِالمواظبة على الصلاة وتِلاوة القرآن والمُذاكرة فى تخصصها من  
جَدِيد، والاتصال بابنتها المقيمة فى أمريكا وبأَمها المقيمة فى  
مصر والوقوف على قبر أبيها المدفون فى البحرين، حتى  
صادفتنى على تويتر فشعرت بنسيم الأمل يداعب خَدَ قلبها..  
حسب قولها!

نَسِيمُ الأملِ يُداعِبُ خَدَ قَلبِهَا.. الله الله.. والآن يا صديقى هيا بنا  
ونكمل فى الحلقة القادمة بإذن الله لأنى مرهقٌ جدا.



**معقول!؟**

معقول مارية وعُمر صاحبين لحد الوقت.. هو مش بكره  
الأربع برضه؟!!

- صح النوم يا بابي.. أجازة التيرم بدأت ومش عارفين  
نشوفك.. هيه.. إيه خطة الأجازة؟ وفين الموبايلات اللي  
وعدتنا بيها؟!!

برنامج! فُسح! فى الظروف دى! ما اوعدكوش.. ممكن يوم على  
الماشى فى العين السخنة ونقضى باقى الأجازة بين سیتی ستارز  
ومعرض الكتاب.. أما الموبايلات فيوم الجمعة، إن شاء الله.

- وعد يا بابي..

وعد يا جميل..

- هيبه.. ميرسي يا بابي.. رينا يخليك.. بوسة كبيرة..

- هو حضرتك مش هتبطل تحضن وتبوس وتغازل قدام  
الولاد.. انت مش شايفهم كبروا وبيفهموا حاجات كتير!

ما هو علشان حضراتهم كبروا ولازم نهتم بيهم من دلوقت، لازم  
نعلمهم الحُب ونخليهم يشوفوه ويلمسوه واقع قدامهم، لازم نهتم  
ببناء ثقافتهم وتكوين وجدانهم وتقوية مشاعرهم، ما دام ده بيحصل  
بشكل تلقائى وفى حدود لا تخدش حياءهم..

وده لضمان سلامة لياقتهم النفسية والعاطفية، علشان لما يحبوا  
يحبوا صح ولما يتجوزوا يتعاملوا وينسجموا مع أزواجهم صح..

- أيوا .. بس أنا بتكسف..

لا والله! بتتكسفى إنى بقولك بحبك أو ابوس إيدك أو خدك أو  
أخدك فى حضنى وأنا قاعد قدام الولاد.. زى ما باخد مارية.. إيه  
المشكلة فى كده يا دكتورة!

- يبدو إن جلساتك المطولة مع الدكتور نزار أصبحت بتثير  
فى ذهنك تساؤلات وبتشغلك بموضوعات وبتقلقك على  
حاجات.. يا خوفى عليك من نزار وحكاياته..

بالمناسبة يا نهلة.. كنت عايز أفهم منك إلى أى حد من الممكن  
أن تنساق المرأة وراء احتياجاتها العاطفية أو الجسدية؟ هل لدرجة  
أن تنسى كل شئ، تنسى الله، القيم، المبادئ، الكرامة، إحترامها  
لنفسها ولأولادها وربما لأحفادها، لدرجة أن تيرر لنفسها كل وسيلة  
فى سبيل الوصول إلى غايتها التى وان كانت مُلحة وضاغطة إلا  
أنها من الممكن أن تكون آنية وعابرة!

- من قال لك أن غاية المرأة مجرد حاجة جسدية آنية  
وعابرة؟! هذا محض إجحاف طبعا فالمرأة إنسان لها وجود  
وكينونة وذات ولها حق العيش والتنفس..

والتحليق والتقاط الحَب والتغذى على الحُب، ولكن عندما يُمأسس الكبت والقهر والتسلط والحرمان العاطفى على المرأة، لاسيما فى طفولتها، فغالبا ما يؤدى ذلك إلى أن تظل تبحث عن الحُب ولو لم يتبق من عمرها سوى يوما واحدا! ربما كان هذا صعبا فى الزمن الماضى لاعتبارات عدة من ضمنها طبيعة المجتمع المحافظ وقتها ومحدودية الحركة والاتصال وغلبة الانغلاق والعزلة، أما الآن فلم يُبقي الإنترنت ولا السمارت فونز وما يوفرانه من تواصل واتصال مجانى وفائق السهولة والسرعة ومُحركات بحث تُوفر للباحث أو العابث أو المُتطفل لبن العصفور لو أراد وقبل أن يرتد إليه طرفه، ما جعل العالم غرفة صغيرة بلا جدران ولا ستائر، والأمر كذلك، فلا بد للمكبوت من فيضان يا جميل!

فعلا يا نهلة.. فكم من أب يتعسف بحبس ابنته وكبتها وقهرها أو التشدد والتعننت فى شروط تزويجها وهو مُطمئن تماما إلى أنه يحبس قطعة أثاث لا تشعر أو قديسة لا تُخطئ، وكم من زوج يضمن على زوجته بالحُب ويهينها ويذلها وربما يضربها وهو يستبعد تماما أى احتمال أن تبحث عن ذاتها ووجودها وما تبقى من كرامتها عند غيره ولو فى العالم الافتراضى الذى لا يكلف شيئا ولا يشعر به أحدا!

- للأسف دا صحيح.. مخبيش عليك أنا ساعات بحس إن الإنترنت هينفجر من تراحم وتدافع الباحثين عن الدفاء والاهتمام والبوح والحب والاحترام..

يعنى إنتى مُتففة معايا إنها مش مجرد حالات فردية!

- أكيد ليست مشكلة فردية وإنما هى مشكلة مجتمع مُتخلف

مُناقق سَحَقَه طُول أمد الاستبداد والطُغيان، وغَيَّبَه الفَهم الخاطئ للدين والقيم والأخلاق، وأنهكه ضغط التسلط الذكورى المُنغلق الغبى المُعقد، وأفكاره المريضة المتوارثة! وعلى فكرة المشكلة دى أنا وَصَفْتها لطالباتى فى إحدى المحاضرات بمُعضلة " المظهر المُتدين المُتشدد، والمسالك التبريري المُتسبب" وَقُلْت أن هذه المُعضلة المُستحكمة لن تُحل بشيوع التدين الظاهرى، ولا بالهروب الجبان المتمثل فى الحظر والغلق والمنع، ولا بالإنكار والعناد والصمت، ولكن سيحلها ويحل كل مشاكل المجتمع ثورة شاملة ومُكتملة تؤسس لحرية حقيقية وعدالة راسخة، وتُرسى قواعد منظومة تنقيفية تنسف الموروث الذكورى الأبوى المُتسلط وتستأصل الزوائد الدودية للألسنة التى تتحدث باسم الدين وتتصدى له، ولا سيرة لها إلا الدوران حول عُقدتها من المرأة وجسدها وعورتها وغوايتها.

الله الله.. تصفيق حاد للأستاذة الدكتورة نهلة، إيه الجمال ده كله!

- بس بس.. هتصحى الولاد!

أنا فخور بفكرك الناضج ولغتك الرائعة يا حبيبتي، هذا الفكر وتلك اللغة التي يشرفني أن أسرقها لأزين بها رواياتي.. ههههههه..

- لا يا حبيبي.. دا جزء من أفكار كتاب جديد لى سيكون مفاجأة أقتحم بها بعبع المسكوت عنه إن شاء الله..

تعرفى يا نهلة إن توصيفك الدقيق للمشكلة سَلَطَ الضَّوْءَ عَلَى مُتَغَيِّرِينَ هَامِيْنَ وَمُتَّنَاقِضِيْنَ فِيهَا: المظهر المُتَدِينِ المُتَشَدِّدِ، والجَوهَرِ التبريري المُتَسَيِّبِ! ففى مُعْظَمِ ما يصادفنى من حكايات أجد القاسم المشترك فيها سيدة أو فتاة تبدو ملتزمة، مُحجبة أو منتقبة، وتسمى نفسها أمة الله أو عاشقة الجنة أو الحاملة بالفردوس أو مسلمة وكفى، وتزدحم صفحتها على تويتز بالمشاركات الدينية والآيات القرآنية وأحاديث التقوى والترهيب من عذاب الله والشوق إلى جنته ولقيائه، والحديث عن قضايا المسلمين وهمومهم فى شتى بقاع الأرض، وربما تظل الواحدة منهن تُبادل أحدهم الحُب على وَقَعِ ترانيم العشق والهيام حتى مطلع الفجر!

- لهذه الدرجة.. هل هذا حقيقي؟!

وأكثر منه، بل يصل الأمر إلى حد ممارسة الجنس الافتراضى على الفيديو شات، من سكايب إلى جوجل إلى غيره.. وغيره كثير!

- وهل سكتك هذا فى الرواية؟ سيثتمك الناس ويقولون أنك كاتب إباحى يُشوّه الدين والمتدينين وستلحق بإحسان عبد القدوس وأمثاله.

ومن أنا لكى ألق بقامة كإحسان عبد القدوس رحمه الله! ثم إننى أعتقد أن الكاتب، الروائى بالذات، يجب أن يحمل على عاتقه أمانة كشف الخلل وتعرية الجرح ليتحمل المجتمع مسؤولياته ويُنظف أفنيته ويكف عن الجبن والنفاق والرياء والكبر والإنكار..

- يا سيدى، المجتمع الذى تكتب له يحتمل أى شئ إلا أن تواجهه بمواطن الخلل فى كيانه وبنيته وتضعه أمام المرأة ليرى مثالبه بعينيه، ظنا منك أن سيستجيب ويتحرك!

ليكن.. المهم أن هناك مُتغير آخر فى غاية الأهمية ألا وهو: هيمنة الأب فكريا واستحواذه على عقول أبنائه، وخصوصا البنات! فالقاسم المُشترك أيضا بين كل الحالات التى استعرضناها هو التماهى شبه الكامل بين شخصية وتفكير البنت وشخصية وتفكير الأب، ما يؤدى فى الغالب إلى زيادة احتمالات فشلها فى التعامل مع زوجها لوقوف صورة الأب وتأثيره حائل بينها وبين الزوج!

- أكيد.. لأن مفيش على لسانها غير بابا بابا بابا.. بابا الله يرحمه قال لى، بابا الله يرحمه عاد لى، هو فيه راجل زى بابا، يا سلام لو كنت اتجوزت واحد زى بابا..! وهذا من إفراط الأب فى مُحاصرته لابنته فكريا ووجدانيا بدلا من اكتفائه بإحاطتها بالحُب، وتغذيتها بالرعاية والحنان، وتزويدها بالخطوط العريضة للقيم، وبالثوابت الأساسية للأخلاق، ثم يترك لها حرية التفكير والتعلم واكتساب الخبرة الحياتية حتى لا تتكلس البنت وتتييس عند بابا بابا بابا، وتدخل إلى بيت زوجها وتتام فى فراشه وتربى أولاده وهى لم تزل تتعلق بذراع أبيها!

لكن بالله عليك يا شيخ، تقدر تقول لى إيه اللى احنا بنعمله ده؟ نكونش هنسجل للدكتوراه فى التحليل النفسى والسلوكى للمرأة والمجتمع؟!

معلش يا روجي، خلاص هخلص أهه.. بس مش ملاحظة إننا من زمان معزمناش نزار وإيناس! ما تيجى ناخدهم يقضوا معنا الخميس والجمعة فى العين السخنة، على الأقل نلطف الأجواء والأولاد يغيروا جو بدل حبسهم فى دوامة الجفاء الزوجى ده..

- يا ريت يا حبيبي.. كان زمان.. انت متعرفش ان إيناس دلوقتى بقت سلفية وملفوفة فى السواد من راسها لرجليها؟!

وطبعا مش هينفع تقعد معاك فى نفس المكان وتتكلم  
وتتناقش وتاكل وتشرب زى الأول..

ليه.. هو النقاب هيمنعها من الكلام والأكل والشرب!؟

- ضحكنتى.. كنت تعالى شوفها هى وصحاباتها الجُدد وهن  
مُجتمعات عند كنتاكي أو ماكدونالدز، حوالى سبع سيدات  
يلبسن سوادا كاملا لا يُظهر منهن أى شىء، يتسابقن فى  
زحزة الساتر الأسود من فوق وجوههن ليسمح بالكاد  
بدرجة قظمة ساندويتش أو دلق جرعة كولا أو شربة  
ماء فى تجويف الفم! وحدث ولا حرج عن الفوضى  
والدلاقة والحوسة وتندُر المارة والجالسين، وحضرتك  
عايزها تيجي تقضى معانا يومين على البحر! يا حبيبي  
إيناس انسحبت تماما من نمط حياتنا الأخوى العائلى  
المثقف المُلتزم لتُجرب السباحة فى البحر الأسود!

أنا حزين جدا لأنى لم أكن أتوقع من إيناس هذا المسلك السلبي  
الهُرُوبى الذى لم يحل المشكلة بل زادها تعقيدا، فها هو نزار قد  
عاد إلى التدخين بشراهة وتقلصت مظاهر تديئه وتعددت مغامراته  
لدرجة أنه يشكو الآن بانزعاج من رغبة جديدة مُلحة أصبحت  
تُسيطر عليه وتدفعه للنظر إلى السيدات والبنات..

فى الشوارع والمُولات بطريقة أقرب إلى المراهقة!

- أووهه.. مش ممكن.. على حد علمى إن إيناس ما زالت  
محافضة على تلبية احتياجاته البيولوجية على الأقل، حتى  
أنا قابلتها الخميس اللي فات فى محل " Secrets  
women " بنتشترى أحدث صيحات ال..

ونزار لا يُنكر هذا.. لكنه لا يفهم لماذا لم يُعد يستطع أن يمنع  
نفسه من تتبع أجساد الجميلات فى الشارع وإطالة النظر إلى  
مؤخراتهن بالتحديد!

- لا لا لا.. ما دمنا قد وصلنا للمؤخرات.. قوم نصلى الفجر  
ونلحق ننام شوية..  
بس إياك تقرب من المؤخرات، بعدين نتأخر على شغلنا  
ونلاقى نفسنا فى مؤخرة الأمم.. ههههههه.

كَمْ قُلْتُ لَكُمْ..

كَمْ قُلْتُمْ لَكُمْ يَا سَادَةَ أَنَّهُمْ تَعَبُوا وَفَاضَ بِهِمْ وَتَلَفَتْ  
أَعْصَابَهُمْ وَلَمْ يَتَبَقْ لَهُمْ سِوَى الْقَتْلِ بَعْدَ أَنْ جَرَبُوا كُلَّ شَيْءٍ لِمَحْوِ  
هُوِيَّةِ هَذَا الشَّعْبِ وَقَطَعَ الْحَبْلَ السُّرِّيَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ حَرِيَّتِهِ وَاسْتِقْلَالِهِ،  
وَتَمَادَوْا فِي ظُلْمِهِ وَسَجْنِهِ وَنَفْيِهِ وَتَشْرِيدِهِ وَتَجْوِيعِهِ وَإِذْلَالِهِ وَتَجْهِيلِهِ  
وَتَضْلِيلِهِ، مِنْ لَدُنْ حَمَلَاتِ نَابِلْيُونِ وَمَرُورًا بِالِاسْتِعْمَارِ الْإِنْجِلِيزِيِّ  
وَمِنْ بَعْدِهِ نُخْبِهِ وَصَنَّائِعِهِ وَخُدَامِهِ الَّذِينَ هَدَمُوا الْخِلاَفَةَ وَمَزَقُوا  
الْأُمَّةَ وَمَكَّنُوا لِلصَّهَابِيَّةِ وَالَّذِينَ لَا يَزَالُونَ يَتَوَارَثُونَ حَمَلَ رَايَةِ الْخِيَانَةِ  
مِنْذَ حَمَلِهَا رَأْسَهُمْ "الْمُعَلِّمُ يَعْقُوبُ" وَحَتَّى يَوْمِنَا هَذَا، وَهَمَّ الَّذِينَ  
يَقُومُونَ بِالدُّورِ الْمِيدَانِيِّ فِي هَذِهِ الْجَوْلَةِ الْحَاسِمَةِ وَمِنْ وِرَائِهِمْ قُوَى  
دَوْلِيَّةٍ وَإِقْلِيمِيَّةٍ وَمَحَلِّيَّةٍ وَطَائِفِيَّةٍ، وَبَعْدَ أَنْ ظَنُّوا أَنَّ الْأَمْرَ قَدْ اسْتَتَبَ  
لَهُمْ وَأَنَّ حَلْمَ إِخْضَاعِ هَذَا الشَّعْبِ الرَّائِدِ الْقَائِدِ وَإِخْضَاعِهِ لِلْهَيْمَنَةِ  
الصَّهْيُومِيَّةِ وَتَجْرِيدِهِ مِنْ رِذَائِ هُوِيَّتِهِ الدِّينِيَّةِ وَالْحَضَارِيَّةِ قَدْ  
أَوْشَكَ عَلَى التَّحَقُّقِ، إِذَا بِيْرَكَانِهِ الْخَامِدُ يَنْشِطُ وَيَقْتَرِبُ مِنْ أَطْرَافِ  
ثِيَابِهِمْ لِيَنْفَجِرَ فِي وُجُوهِهِمْ وَيُهْدِدُ حُصُونَهُمْ، فَكَيْفَ لَا يَقْتُلُونَ  
وَيُيْمَعِنُونَ فِي الْقَتْلِ! بَلْ لَا أَبَالِغُ إِذَا قُلْتُ أَنَّهُ رَغْمُ غَزَارَةِ الدَّمَاءِ  
الشَّابَةِ وَسَخُونَتِهَا وَغِلَاوَتِهَا إِلَّا أَنَّنَا لَمْ نَنْزِلْ فِي مَرِحَلَةِ نَزْعِ الْأَطَافِرِ  
وَلَمْ يَأْتِ دُورُ الْمَذَابِحِ الْكُبْرَى الْحَاسِمَةِ بَعْدَ، وَمَا نَشْهَدُهُ مِنْ مَذَابِحِ  
مِنْذَ 28 يَنَايِرٍ وَمَوْقِعَةِ الْجَمَلِ ثُمَّ مَاسِيْبِرُو وَمُحَمَّدِ مَحْمُودِ وَمَجْلِسِ  
الْوِزَرَاءِ وَالْعَبَّاسِيَّةِ وَحَتَّى تِلْكَ السَّلْخَانَةُ الَّتِي سَالَتْ مِنْهَا دَمَاءُ خَمْسَةِ  
وَسَبْعُونَ مِنْ زَهْرَةِ شَبَابِنَا بِحُورًا فِي سِتَادِ بُورْسَعِيدِ لَيْلَةِ أَمْسٍ..

بلا أثاره من إنسانية ولا رحمة، كل هذا ما هو إلا خلع لأظافر الثورة لتخاف وترتعب وترتعد وترتدع وتتعلم الأدب وتتدم على اجترائها وانطلاقها ومناداتها بالحرية والديموقراطية، تلك الحرية والديموقراطية التي تعنى بالتبعية أن تعود مصر العربية رائدة قائدة ناهضة مُتقدمة، ويعود شعبها الحر العظيم ليقود الأمة وينفخ فيها الروح لتتحرر من هيمنة الغرب والأمريكان وتؤدب الصهاينة اللئام.. أرجو أن يخيب ظنى لكننى أرى فى الأفق مذابح مُروعة سيصيب لها رأس التاريخ، إنتظروا مذابح الأرض المحروقة التى سيرتكبها القاتل اليأس من أية فرصة للانتصار، فضلا عن الاستمرار.

- كلام عظيم جدا ومؤثر، سامحك الله فقد أبكىتنا يا حاج توفيق، ولكن معقول كل الرعب الأسود ده بمناسبة مذبحه بورسعيد؟! أعرف أن هذه المذبحه الوحشية الغادرة نزلت على مصر كلها كالصاعقة حتى جعلت الحليم حيرانا، لكن ألا ترى أن الصورة التى ترسمها مُخيفة؟!
- يا باشمهندس ضياء، منذ اندلاع شرارة الثورة لم ينفصل حادث واحد عن الآخر، فمن الواضح وضوح الشمس فى رابعة النهار أن كل الأحداث تخرج من مصدر واحد وتصب فى اتجاه هدف واحد..

ألا وهو إعادة النظام العلماني التابع للحلف الصهيوني الأمريكي والحارس لأمن إسرائيل والحامي لمصالح القوى الدولية والإقليمية والمحلية، بشقيها الرأسمالي المتوحش الفاسد والطائفي المهووس العنصري الحاقد ومشاريعهم ومكتسباتهم، إلى هيمنته المطلقة على كافة مقاليد الأمور، فكل هؤلاء يعملون على إعادة هذا النظام النخبوي السلطوي الكاره للدين والعروبة والاستقلال والتحرر، وترميمه وجعله أفضل وأقوى مما كان، عبر التآمر على هذه الثورة وإرهابها وسحقها وإغراقها في بحور من الدماء دون تردد أو لين أو تراجع، لأنها معركة وجود ومن سترتخي قبضته فيها أو تضحل إرادته فلن تقوم له قائمة.. ربما إلى الأبد!

- إيه يا حاج الصورة المرعبة الشديدة التشاؤم اللي انت بترسمها دي، عرفناك هادئا رقيقا ولم نكن نتخيل كل هذه الأفكار الراديكالية المحافظة في رأسك، أهي صدمة الدماء الشابة الساخنة التي فعلت هذا بالحاج توفيق يا دكتور شوقى؟!

- ممكن يا أستاذ فخر، فبصراحة هذا الوضع المرعب كفيل بأن يُفقد أى أحد توازنه ويصيبه بحالة من الحزن والتشاؤم، أنا شخصيا متألم جدا ومتشائم كمان للأسف.. علشان تصدقوني لما أقول لكم إن دي مش ثورة، دي لسه

بدرى أوى عليها لما تكبر وتُصبح ثورة، مش قبل خمسين ألف أو مائة ألف شهيد على الأقل.

- يا نهار اسود.. إيه اللي جرى لكو يا جماعة.. ما توحديو الله أُمال!

- طب بس وحده انت الأول يا فخر..

- بس يا ضياء.. مش وقت هزار، أنا موحد من قبل ما تتولد.. لكن قول لى يا دكتور شوقى.. الأحداث المرعبة دى تأثيرها إيه على الناس على نفسيتهم وسلوكهم يعنى؟! - بالتأكيد لها تاثير سلبي جداً وسيُنتج عنها خسائر شاملة،

سواء على المستوى النفسي العام للمجتمع أو على مستوى سلوك الأفراد، فحالة الخوف والإحباط وتسلل اليأس من تحقق الحلم الجميل، وتؤكد سطوة المجرم وجبروته وقوته وقدرته على الفعل ورسوخ أقدامه، تدفع الناس للعودة تدريجياً إلى الاختباء بذواتهم والدوران فى محيطهم الضيق والإفراط فى تنفيس عُقدهم النفسية والجنسية، وشيوع حالة من العبوس والتشاؤم والعدوانية! وأعتقد أن هذا هو الهدف الأكبر من وراء هذه المذابح أو عملية خلع الأظافر كما وصفها الحاج توفيق، فالهدف هو تحطيم أمة ثائرة وكسر إرادتها وليس مجرد قتل حفنة من الشباب من مشجعى الكرة!

أستاذنكم ثوانى، أرد على التليفون..

آلو يا نهلة..

صعب جدا العين السخنة دلوقت

انتى شايقة جو البلد والناس حزينة ازاي

مش قبل يوم الجمعة..

على الأقل يكون فات يومين على الحادث الأليم ده

حاضر..

لأ لسه فى التكعيبة.. يمكن أقعد شوية مع الدكتور نزار

هحاول ألحقهم قبل ما يناموا..

باى يا روى.

تَفَضَّلْ يَا دَكْتور..

تَقْضِلْ يَا دَكْتُورْ نَزَارْ .. كَمَلْ مَوْضُوعَ الدَكْتُورَةِ سَوْزَانَ،  
وَلَوْ أَنَّ مَفِيشَ نَفْسٍ وَلَا مَزَاجَ لِأَيِّ كَلَامٍ فِي الظُّرُوفِ دَى لَكِنْ خَلِينَا  
نَنْسَى شَوِيَّةً .. أَظُنْ أَنَّنَا تَوَقَّفْنَا عِنْدَ عَوْدَةِ الدَكْتُورَةِ سَوْزَانَ إِلَى  
الْبَحْرَيْنِ لِنَسْتَقِرَّ بِهَا بَعْدَ أَنْ تَعَبْتِ مِنْ مَغَامِرَاتِهَا الْفَاشِلَةِ، وَفِي  
الْبَحْرَيْنِ تَفَرَّغْتَ لِلْعِبَادَةِ، وَشَغَلْتَ نَفْسَهَا بِالْعِبَادَةِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ،  
وَزِيَارَةِ قَبْرِ أَبِيهَا وَالتَّوَاصُلِ مَعَ ابْنَتِهَا الْوَحِيدَةِ وَمَعَ وَالِدَتِهَا وَأَصْدِقَائِهَا  
وَصَدِيقَاتِهَا عَلَى الْإِنْتَرْنِتِ، حَتَّى صَادَفْتَ سَيَادَتَكَ وَأَعْجَبْتَ بِطَلْعَتِكَ  
الْبَهِيَّةِ ..

- مَا شَاءَ اللهُ عَلَيْكَ، كَعَادَتِكَ، دَائِمًا مَرْكَزَ وَذَاكِرَتِكَ حَدِيدِيَّةً!

وَهِيَ دَى حَاجَةٌ تَنْتَسَى! دَا أَنْتِ طَيَّرْتِ النُّومَ مِنْ عَيْنِي بِمَفْجَأَتِكَ ..

- بِالضَّبْطِ يَا سَيِّدِي كَمَا حَدَثَ مَعَ حَنَّانٍ وَغَيْرِهَا، مَا أَنْ

يَتَسَلَّلُ الْحَدِيثُ عَلَى أَطْرَافِ أَصَابِعِ قَدَمِيهِ لِيَهْرُبَ مِنَ النَّطَاقِ أَوْ  
الْفِنَاءِ الْعَامِ الَّذِي يَتَكَلَّمُ فِيهِ الْجَمِيعُ عَلَى مَلَأَ مِنَ الْجَمِيعِ، وَيَتَوَارَى  
خَلْفَ أَسْتَارِ الرِّسَالِ الْخَاصَّةِ وَالْوَاتِسَابِ وَسَكَابِ وَبَقِيَّةِ وَسَائِطِ  
التَّوَاصُلِ الَّتِي أَتَاكَ لِكُلِّ مَنْ يَرِيدُ أَنْ يَقُولَ أَوْ يَفْعَلَ مَا يَعْنُ لَهُ  
وَهُوَ مَطْمَئِنٌّ تَمَامًا عَلَى خُصُوصِيَّتِهِ، سَرْعَانَ مَا تَنْثُرُ الْبِرَاكِينَ  
الْخَامِدَةَ، وَتَقُورُ الْيَنَابِيعَ الْمُهْمَلَةَ الرَّكَدَةَ، وَتَمُورُ الْأَمْوَاجَ الْهَادِئَةَ ..  
لَتَكْتَسِحَ فِي طَرِيقِهَا كُلِّ مُحْظُورٍ!

فما أن اطمئنت سوزان إلى أن السكة مأمونة والخصوصية مضمونة، حتى أعادت مُصحفها إلى رفوف مكتبتها الروستيك، وطوحت بحجابها من نافذة الرغبة المُشرعة، وألقت خلفه بالورود الجميلة المُوحية بالرقّة والبراءة والنقاء، وخَفَتَ صوت حديثها الرومانسي الحالم الباحث عن الحب والوَنس والصدّاقة البريئة، ولم يَعد لها من حديث إلا عن حاجتها إلى الدفء المُنبعث من الفراش الساخن، وإلى الأمان المُتجسد في العناق الدائم، وإلى الحب الغارق في نافورة الإرواء النَّهم المُتدفق المُتواصل!

حنانيك يا نزار، فدقات قلبي تتسارع وكأننا مُقبلون على شيء ما..

- فعلا.. فبينما أتواصل معها بشكل روتيني على سكايب إذ

شلت المفاجأة أعصابي وتجمدت أطرافى وتحجرت عيناى، وحَوَلَ الذهول كيانى كله إلى كومة من قصاقيص ورقية تتقاذفها الريح، حتى شَعُرْتُ وكأنى مُخدرٌ تماما! أفرك عيني غير مُصدق وكأنى لم أرى أنثى فى حياتى من قبل! معقول هذه الطيبة الجميلة الرقيقة الرومانسية الحاملة المُتدبنة ابنة المستوى الاجتماعى الراقى، تجلس أمامى على سكايب بشعرها الغامر وقد نفر ثدياها العاجيان وتعاليا كأمواج بحر هائج تضرب حافة فتحة صدر محرود بسخاء كشاطئ بَرّاح..

وانحسر ثوبها الياقوتى القصير عن فخذين بيضاوين ممتلئين  
تباعدا كَبْهُوٍ مرمري لَامِعٍ يُوْدِي إِلَى بَابِ مَلَكِيٍّ مِنْ ذَهَبٍ! أَكْذِبْ  
أذنى التى تستقبل همسها الناعم وهى تسترسل بكل هُدوءٍ وِبُرودٍ،  
ودون خَجَلٍ أو شعور بالذنب فى سَرْدِ التفاصيل المُذهلة لمشوارها  
المُمتد لأكثر من عشرين سنة تبحث فيها عن الحب والدفء  
والأمان بين أرجل الرجال وأحضانهم فى الحقيقة والواقع تارة، وبين  
صورهم وكلماتهم وأصواتهم فى عالم الإنترنت والموبايل الافتراضي  
تارة أخرى! ولأننى لم أستطع أن أفهم سبب حرصها على أن  
تجلس أمامى على كرسي الاعتراف بهذه الهيئة الجريئة المثيرة  
وكأنها تستعرض ترسانة أسلحتها التى يبدو أنها بيتت النية أن  
تستخدمها قبل أن تتقدم.. سألتها: لماذا نُصِر أن نقرأ كتابها بين  
يَدَيَّ وتعرض كشف حساب حياتها على؟! فقالت:

- لأننى أشعر أنك مُختلف عنهم جميعا، أنت من عشت  
عمرى أبحث عنه، عن رِقته ونُبْله، ذوقه وورصانته، رُقيه  
ورُجولته، لذا أحببتك بسرعة وكأنى أعرفك منذ زمن بعيد،  
وكأننا كنا تائهين من بعضنا والتقينا!

وحضرتك كنت بتعمل إيه طول وقت عرض فيلم اعترافات ليلية  
ساخنة ده؟!!

- مَذْهُولٌ مَخْرُوسٌ مِبْلَمٌ مَرْعُوبٌ إِنْ إِيْناسٌ تِصْحَى وتكون  
فضيحة طبعاً..

يا ريتها كانت صِحت.. كانت صَحْتِك من الكابوس اللى أنت  
غرقان فيه ده..

- يا أخى حرام عليك افهمنى، أنا فى عز المشهد الساخن  
المُغرى ده كُنْتُ قررت الانسحاب من هذه التجربة فوراً،  
لأننى ببساطة لست محتاجا لهذا ولا أبحث عنه، فزوجتى  
لا تقل عنها وعن التى سبقتها جمالا، ثم اننى قرفان  
ومُشمئز أصلا من هذا المارد الهمجى المتوحش المسمى  
بالجنس، والذى يجرجر الإنسان من كرامته ويسوقه من  
ناصيته أمامه بالكراياج، ولو كان على سجادة الصلاة،  
وهو مُستسلم ومستمتع! أنا على يقين أن كل هذه التجارب  
والمغامرات العاطفية التى داهمتنى هى مُجرد عبث فى  
اللاشعور، أخوضها بحثا عن وهم الحب، أو ربما مُجرد  
لهات خلف سراب.. لست ادرى!

دعك من الفلسفة الآن وأكمل فقد تأخر الوقت..

- تقول أنها بعد تركها لبيت زوجها رجل الأعمال الشهير  
الذى لم يكفيه عجزه عن أن يُوفر لها الحب الذى تُريده  
وتحتاجه بشدة وإنما تعنت فى تظليقها!

وبعد تجربتها الطويلة مع زميلها الطبيب الشاب والتي تعتبرها تجربة لذيذة، لأنه عوضها عما حُرمت منه وسقاها من اللذة كؤوسا مُترعة حتى رسما معا لوحات مُذهلة من فنون الجنس وأوضاعه وأبدعا! ظلت هكذا قبل الطلاق وبعده، ما من يوم يمر عليها دون تفكير في البحث عن الحب الذي لا يعنى عندها إلا عطاء جنسيا بلا حدود، وما من مكان تعمل فيه أو تتردد عليه إلا وتلفت نظر من تلقاه بنظراتها الجريئة الباحثة عن الحب، فهي بارعة الجمال بيضاء ممثلة طرية، فاتنة الإطلالة خفيفة الظل وابتسامتها مُغرية، حتى وصلت في سردها إلى آخر تجربة خاضتها بعد انقضاء عدة طلاقها وقبل أن تتعرف على العبد لله..

ففي حومة بحثها المجنون عما تعتقد أنه الحب عبر استخدامهما للشات على الإنترنت وجدت ضالتها في شاب قَدَم لها نفسه على أنه مُترجم يعمل بالأمم المتحدة ويقضى أجازة في مصر، ولعل صورته الرسمية المتأنقة التي يضعها على الفيس بوك، ولغته الانجليزية المتمكنة التي يكتب بها، لا تدعان مجالا للشك في حقيقة وضعه.. فَحَلَقَتْ معه كعادتها في سموات الخيال وَسَبَحَتْ معه في بحار الغرام ولم تطق صبرا على تأخر لُقياها والزواج منه، بل لم تنتظر أن يزورها هو في البحرين لتعرفه عن قرب ووجها لوجه، وسارعت بالحضور إليه بعد أن تأكدت من انتظاره لها في مطار القاهرة وبصحبته اثنين من أصدقائه..

أعدهما ليكونا شهودا على عقد زواجه منها! فحجزت فى إنتركونتيننتال سیتی ستارز لليلة عُرسهما الموعودة، ولم تُفَقْ من سَكْرَة اللهفة ولم تنتبه من غفوة النشوة ولم تُبصر من عمى الاندفاع، إلا بعد أن وجدت نفسها عارية تتلوى رغبة ولوعة وحسرة بين يدي شاب مريض مَكْدُود مَكْبُود يقف ذاهلا عاجزا عن مجرد الاقتراب من هذه النار المُشتعلة التى فُوجئ بها تتلظى أمامه تتوق لنفخة هواء، بعد أن قَدِمَ من ريف المنصورة مُستقلا قِطار الدرجة الثالثة مُصطحبا قَرِينِيهِ شهود العقد الذين يعمل أحدهما مُدرسا للغة الانجليزية، وهو من كان يكتب له تلك الجمل الغرامية الساحرة، على أن يُعطى كل منهما إكراميته حال نجاحه فى الزواج من هذه الدكتورة اللقطة البلهاء، والسفر بصحبتها إلى البحرين للعثور على فرصة عمل ذهبية هناك!

وماذا فعلت هذه المجنونة فى تلك المصيبة السوداء؟!

- أشعلت سيجارة لتُخفى فى دكانها خيبة أملها وخجلها

وإحراجها وقرفها واشمئزازها من نفسها ومنه، ولم يكن أمامها من مَفَر إلا أن تستكمل دورتها فى الدوامة التى دخلت إليها بقدميها، بعد أن صارت زوجة على سنة الله ورسوله لهذا الريفى الذى هَدَمَت البلهارسيا بُنيان شبابه وأتلفت كَبِدُهُ..

فتضطر لاصطحابه رغم أنفها وانتقاء الفضيحة إلى حيث فيلتها الأنيقة بالبحرين، ليقضى نهاره مُتسكعا بين المقاهى ويقضى ليله عابثا باحثا عن ضحية مُغفلة أخرى على الإنترنت! حتى يرق لحالها أحد المُحاميين الكبار ممن عالجت أطفالهم، بعد أن رآها منهارة تبكى بحُرقة وعلم منها القصة، فخلصها من فلاح الأمم المتحدة المزعوم هذا مقابل تحمّلها كثير من الدنانير وقليل من الفضائح!

اسمح لى يا دكتور أن أتوقف أمام هذه الحالة النموذجية لأساليب الآباء الخاطئة فى تربية البنات، عندما يظن الأب أن غاية الإحسان إلى ابنته والتعبير عن حُبّه لها واهتمامه بمستقبلها هو أن يرسلها إلى أشهر المدارس الأمريكية، ويطمئن إلى إتقانها للغات الأجنبية، ويُنشئها فى حلية من التذليل والترف والسفريات والفُسح والتسوق والهدايا واللعب، ويحرص فى نفس الوقت على أن يُبقيها دائرة فى فُلكه فلا تعرف سوى صورته وشخصيته وثقافته وفكره، مُكتفيا بإكسابها بعد التصرفات الدينية الشكلية على سبيل المُحاكاة، ودون تثقيف مُعمق ودون أن يدفعها لأن تُتقف نفسها بحُرية وأن تعيش الحياة الاجتماعية وسط قريناتها وقربياتها ومُحيطها بانفتاح يُكسبها الخبرة اللازمة لخوض غمار الحياة!

ما علينا.. انفضل كمل.. وماذا بعد هذا الفاصل الدرامى المؤثر؟

اِخْتَفَتْ لِلْحَطَّاتِ..

- اِخْتَفَتْ لِلْحَطَّاتِ وَقَبْلَ أَنْ أَفِيْقَ مِنْ شَرُوْدِي

عادت تتبختر فى روب حريري وردي يترجرج أمامه ثدياها  
المُتَحْدِيان المُتَبَجْحان، وتتراقص خلفه مؤخرتها اللدنة كاملة  
الاستدارة، بدت لى وكأنها مَطْر صَيْفِي مَوْسَمِي يروى بذور شهوة  
فضولى، ويُثير لَدَى رَغْبَة دَفِينَة فى التَغْيِير واستكشاف الجديد،  
ويُطلق الشياطين لتترع فى أنحاء الجسد والروح معا، وهى تتجول  
بكاميرا سكايب لتستعرض لى الفيلا وديكوراتها الفخمة وقد انتشر  
صوت أم كلثوم يشدو ب " انت عمري" من خلال نظام صوتى  
حديث ناعم يغطى أرجاء الفيلا وغرفها وأركانها:

رجعوني عينيك.. لأيامي اللي راحو

علموني أندم.. على الماضي وجراحه

إلى أن تتوقف فجأة أمام عُرفَة نومها فتدخلها لتستعرض ديكوراتها  
وألوانها اللعوب هى الأخرى، وتمر على مفروشاتها اللامعة المائعة  
ولوحاتها المثيرة وإضائتها الحمراء الخافتة، تتمايل فيهتز كل شيء  
فى عيني وكأنى احتسيت بئرا من الفودكا والتاكيلا!

تتلكأ لتُظهر شيئا موضوعا على الكومود بجوار سريرها، ربما قلما  
رعاشا مما يستخدم فى الإثارة الذاتية!

دُوق معايا الحُب .. دُوق دُوق .. حبه بحبه

من حنان قلبي .. من حنان قلبي

من حنان قلبي .. اللي طال شوقه لحنانك

وفى حركة خاطفة، نفخت فى ثُمالة الضوء التى كانت باقية فى مصباح وَعِيي وضميرى فأطفأتها، وإذا بها تخلع الروب وترمى به بعيدا، وترتمى على فراشها الحريري الوثير الذى غرق فرشاه اللازوردي الأملس فى احتضان شعرها السخي المائج ودغدغة جسمها اللؤلؤى اللامع، بعد أن فشل قميص نومها الوردى فى تغطية أى شئ من هذا القالب العبقري المُكهرب بكلمات أحمد شفيق كامل وموسيقى عبد الوهاب، لتتاوه على تاوه أم كُنْثوم، كمن وصل لتوه من سفر شاق هدَّ كيانه..

خدني لحنانك خدني .. عن الوجود وابعدني

لأترنح أنا بين التحليق فى فضاء النشوة، وبين الغوص فى أعماق الشبق، وكأنى لم أشاهد جسد امرأة فى حياتى من قبل، وهى تهمس بِعُجْ ودلال:

- دكتور نزار .. تعال .. أغزنى كفارس مغوار يفتح مدينة جميلة، استبحنى وارتع فى ربوعى ..

مرغ شفاهاك على جسدي، تسلق أشجارى وأقطف ثمارى  
وأقضم بنهم وتلذذ، ألثم أزهارى وارشف رحيقى، اسبح فى  
أنهارى وتحمم، وعلى شاطئ رغبتى المترامى تمدد،  
أرجوك لا تتردد ولا تتعب ولا تتوقف ولا تشبع، فمدينة  
اشتهاى فسيحة، حدائقها غناء، كلها شغل وفاكهة..

لأجد نفسي فجأة وكأنها غلقت فى وجهى كل الأبواب إلا بابا  
واحدا يفضى إلى مشهد جسمها العارى المستعر، لم أعد أرى أو  
أسمع، صرت وكأنى بين فكى كماشة ضخمة من التقوى والفسوق،  
الاستحياء والفجور، الاستمرار والهروب! ضاعت بوصلتى وعُدت  
مراهقا غريرا وانفجرت ينابيع تلصصى القديمة الكامنة منذ  
الطفولة، ونسيت أبوتى ومكانتى الأدبية والاجتماعية، حتى ربي  
ودينى وقيمي وإنسانيتى نسيتهم! وكلما رأنتى مُرتعشا مُرتبكا  
أصعب عرقا تمادت لتقبض بيديها على ثدييها المنتصبين  
المتوهجين ككرتين من نار وتقربهما من شففتيها حتى تعلق جمر  
حلمتها المشربتين بطرف لسانها اللاهب، فتهتز أرضى ويطير  
عقلى وتجحظ عيناى وتزداد حدقتاهما اتساعا وتصيح أذناى  
السمع وتزداد إنصاتا وتسرى فى جسمى كهرباء السد العالى كله  
وأشعر بدوار أشبه ببوادر الإغماء فأهذى بكلمات مبهمة لا أعرف  
معناها وكأنى مجذوب أبله يسيل لعابه فى حضرة بأحد الموالد!

تباغتني بلهاتها المحموم وصراخها المجنون وقد انهالت طعنا بقلمها الرعاش لثؤجج نيران ثقبها المضطرم، حتى يتهاوى كرسى المكتب الوثير الدوار من تحتى، أحاول الاستناد إلى شئٍ لِأُكْمَلَ بقية المشهد فلا أجد إلا حافة قرص المكتب الزجاجى الذى لم تلبث يدي المتعرقه المرتعشة أن تترحلت عنها، تتراحم أصوات تأوهاتها وصرخاتها ورزق القلم الرعاش فى ثقبها كإيقاع موسيقى شيطانية فاجرة، زاد من دوارى ودوار كرسى المكتب من تحتى، لثمسك إحدى يدي هذه المرة بحافة شاشة الكمبيوتر وتمسك الأخرى بكابل الباور فى محاولة أخيرة وفاشلة للثبات لوقت أطول على المقعد الذى اشتد تمايله حتى أصبح يدور بى على باركيه الأرضية كلاعبى الأكروبات فى السيرك الروسى، إلى أن وجدت كابل الباور فى يدي بعد أن أفلت من الفيشة فانفصلت الكهرباء عن الكمبيوتر وانقطع صوت صراخ الأورجازم المصاحب لانفجار نوافير اللذة واسودت الشاشة، لأفيق على نفسى مُبعثراً فى الأرض يعلونى كرسى المكتب الذى لم ينفذ الاحتماء به من لسعات ألف كرياج سودانى جهزها ضميري، لينهال بها على روحى فيكوي ويشوي كل خلية فى تكويني، ويسوقنى من ناصيتي الكاذبة الخاطئة على صوت أذان الفجر كى اغتسل مما علق بكرامتى من أحوال.

وإيناس.. أين كانت طوال هذا الوقت؟ معقول لم تشعر بشيء من تلك الملحمة الشيطانية الصاخبة!

- إيناس تترك لي العشاء على السفرة وتدخل في غرفة أسماء، بعيدا في آخر الشقة، وتظل بين الفيس بوك وتويتر حتى تنام، ثم تصحو فتترك لي الفطور على السفرة أيضا قبل أن تذهب إلى الكلية.. وهكذا..

سامحك الله يا دكتور، ها هو الفجر قد أذن علينا ونحن في هذا الكابوس الذي ورّطني فيه، أخشى والله أن أفقد النطق بسبب ما سمعته منك الليلة، بل أخشى أن أفقد الثقة في كل شيء وفي أي أحد.

عُدت إلى البيت..

عُدت إلى البيت مُسرعا كَهَارِبٍ من حريق أمسك بتلابيب  
اشتھائه، فراح يندفع نحو بُحيرة هادئة، لِيُطفأ في مياها ما علق  
به من لسع نيران حكاية نزار.. دخلت على نهلة وهي تُسلم من  
صلاتها لأسبح في بحيراتها الفسيحة بقوة وحيوية وعنف! ورغم  
سرعة تفاعلها وانسجامها تنهال على ضربا وعضا، لاهثة:

- مالك زى المجنون كدا ليه! وأين كنت حتى مطلع الفجر؟  
وماذا تفعل بك حكايات نزار يا سافل؟!

لأكمل مُتعتى غير عابئ بمشاغباتها الطفولية اللذيذة التي تزيدني  
إثارة، حتى أصل إلى الشاطئ لأنام كطفل شبع من حلوى يُحبها  
ولا يهنأ ولا يهدأ إلا إذا ظفر بها! ذهبت إلى صلاة الجمعة نشيطا  
بصحبة ابني عُمر الذي لم يرفع عينه عن شاشة الموبايل منذ  
تلقفه من يدي مُتلها على محادثة أصحابه على الواتساب..  
ليستقبلنا هدير صوت الخطيب الغاضب:

خد بالك وفتح عينيك يا مؤمن واصحى لمراتك وبناتك وخصوصا  
من هذا الشيطان الرجيم اللعين المسمى بالإنترنت الذي أزال  
الحواجز وهتك الأستار ليقوم بدور الديوث على العابثين والعباثات  
في هدأة الليل والأزواج والزوجات نيام، وعشاق الإنترنت ينسون  
أو يتناسون أن الله حي لا ينام!

حُطَّوْهَا حَلْقَةً فِي وَدَانِ نَسَائِكُمْ وَأَخَوَاتِكُمْ وَزَوَّجَاتِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ: أَى رَجُلٍ فِي الدُّنْيَا طَلَعَ وَلَا نَزَلَ، رَاحَ وَلَا جَهَّ، زَادَ وَلَا نَقَصَ، كَانَ شَيْخًا وَلَا شَيْلًا، دَكْتُورًا وَلَا أَسْتَاذًا وَلَا زِيَالًا، فَهُوَ فِي النِّهَايَةِ ذَكَرَ جُبَلَ عَلَى اشْتِهَاءِ الْأُنْثَى! تَقُولُكَ زَمِيلًا، صَدِيقًا، أَخًا فِي اللَّهِ، تَقُولُكَ أَسْتَاذِي، شَيْخِي، بِيَعْلَمُنِي، بِيَفْهَمُنِي، سَيِّبُكَ مِنَ الْكَلَامِ الْخَائِبِ دَهْ وَأَصْحِي، أَصْحَوَا يَا مُسْلِمِينَ، فَمَا يَصِلُنِي مِنْ رِسَائِلٍ وَمَكَالِمَاتٍ عَنِ مَآسِي الْعِلَاقَاتِ بَيْنِ الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ عَلَى الْإِنْتَرْنِتِ يَشِيبُ لَهُ الْوَلْدَانُ وَيَكَادُ أَنْ يَهْتَزَّ مِنْ هَوْلِهِ عَرْشُ الرَّحْمَنِ! بَهَوَاتٍ وَأَسَاتِذَةٍ كِبَارٍ وَمُعْظَمُهُمْ مَتَزَوِّجُونَ، وَسَيِّدَاتٍ آخَرَ شِيَاكَةَ مِنَ الطَّبَقَةِ الرَّاقِيَةِ مِنْهُنَّ مَتَزَوِّجَاتٍ وَمَطْلَقَاتٍ وَأَرَامِلَ أَيْضًا، يَفْعَلُونَ كُلَّ شَيْءٍ سَمَعْنَا بِهِ أَوْ لَمْ نَسْمَعْ بِهِ بَعْدَ عَلَى هَذَا الْإِنْتَرْنِتِ وَيَسُوعُونَ لِأَنْفُسِهِمْ بَلُوءَ جَدِيدَةٍ أَوْ تَقْلِيْعَةَ شَيْطَانِيَّةٍ اسْمُهَا الْحُبُّ أَوْ الْاسْتِمْتَاعُ الْاِفْتِرَاضِي، فَاللَّهُمَّ الطِّفْ بِنَا.. كَيْفَ يَسْمَحُ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ لِنَفْسِهِ أَنْ يَتَوَاصَلَ مَعَ سَيِّدَةٍ لَا تَحِلُّ لَهُ وَيُبَيْئُهَا الْغَرَامَ وَيُبَادِلُهَا الْهِيَامَ حَتَّى يَصِلَا إِلَى مَا لَا يَلِيْقُ وَلَا يَجُوزُ؟! وَرَبَّمَا تَكُونُ حَضْرَتُهَا عَلَى ذِمَّةِ رَجُلٍ آخَرَ! أَلَا يَخْشَى هَذَا الْمَغْرُورُ عَلَى عَرْضِهِ؟ وَكَيْفَ يَسْتَبْعِدُ أَنْ يُقْتَصَّ مِنْهُ وَيُؤْتَى مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ؟! أَلَمْ يَسْمَعْ ب" كَمَا تَدِينُ تُدَانُ"؟! وَكَيْفَ تَسْمَحُ سَيِّدَةٌ لِنَفْسِهَا بِفَعْلِ ذَلِكَ، هَلْ لِأَنَّهَا لَا تَطْبِيقُ زَوْجَهَا؟ فَلَمَّا لَا تَفْعَلُ مَا هُوَ أَزْكَى لَهَا وَأَطْهَرَ وَتَتَفَصَّلُ عَنْهُ؟! وَإِذَا لَمْ تَكُنْ مَتَزَوِّجَةً فَلَمَّاذَا لَا تَتَّقَى اللَّهَ وَتَتَعَفَّفَ لِيُغْنِيَهَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ؟!

فيا كل عاقل يسمعى إياك أن تترك ابنتك ترمح على الشات  
علشان تجيب عريس فالشات لا يجلب العرسان، الشات يجلب  
المآسى والفضائح وغضب الرحمن، فالحذر الحذر يا إخوانى، ربوا  
بناتكم برفق وحب واحترموهن واعطوهن الثقة بأنفسهن ليكن  
صادقات شابات راويات من حب الأب واهتمامه وحنان الأم  
واحترانها، واسعوا فى تزويجهن وتيسير زواجهن ممن ترضون  
دينه وخلقه، وحصنوا نسائكم واهتموا بهن وأدوا حقوقهن وأغدقوا  
عليهن من الحب، وأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف كى  
لا يبحثن عن البديل على الإنترنت، وإياكم أن يظن كل واحد منكم  
أنه بمأمن من الوقوع فى هذا الفخ أو أن زوجته وبناته قديسات  
معصومات....

تعلو فهقة الدكتور نزار وأنا أهمس فى أذنه بعد الصلاة مُداعبا:  
يخرب عقلك يا نزار، انت بتحكى للشيخ كمان!

- بيضحك على إيه نزار، ما تضحكونا معاكم يا جماعة..
- لا يا حاج توفيق، الظاهر كلام الشيخ خوفه فبيضحك من  
الرعب.. ههههههه..
- هو كلام الشيخ يخوف فعلا.. يلاً بينا ناخذ فنجان قهوة..
- معلش يا حاج.. معاك الدكتور نزار، واعفينى أنا النهاردة أصلى  
وعدت الولاد أوديهم العين السخنة.

فَرَحَانَةٌ..

فرحانة يا بابى.. أخيرا فسحة.. بغيظ صحاباتي على  
الواتساب وبقولهم احنا رايعين العين السخنة.. كلهم  
عاوزين ييجوا.. ههههه..

أهلا وسهلا يا ست مارية، يشرفوا..

- ما أنا قولت لهم يا خسارة احنا راجعين على طول علشان  
المدرسة وشغل مامى..

- بابى.. بليز.. يا تخلىنى أسوق يا إما تجرى وبلاش سواقة  
العواجيز دى، أنت شباب والطريق فاضى ولا عاد فيه  
ردار ولا مرور ولا شرطة أصلا..

- بس يا عُمر خليك فى الفون بتاعك وسيب بابى، شكله  
مش معانا من أولها.. مالك يا حبيبي.. مُكفهر الملامح  
مُقَطَّبُ الجِبِينِ عَرِيض المنكعين شلولخ ليه.. هههههه..  
دى فسحة صُغنتوتة بعد طول صبر وانتظار يا سُكرتى..

عارف والله يا نهلة إنها فسحة قصيرة، بس معلش التوقيت غريب  
والأوضاع زى ما حضرتك شايفة، الوجوه قلقة وغاضبة ومُحِبطة،  
والناس والشوارع والمبانى وكل شئ حواليكى حزين ومُكْتئِب، مش  
ممکن يكون ده حال شعب عمل ثورة وخلع ديكتاتور جبار من  
سنة واحدة بس، وبدل ما يكون مفعم بالثقة والأمل والحيوية..

بيزداد كل يوم خوفا وترقبا وتوترا، يكاد القلق يسحق الجميع، يكاد الخوف يُصيبهم بالشلل، الكل ينام واضعا رأسه على وسادة شوكية محشوة بالخوف من الغد، ويصحو كل يوم على مصيبة جديدة تؤكد هذا الخوف!

- الله يطمئك، الحمد لله ان الولاد ناموا من سواقتك المملة قبل ما يناموا على وسادتك الشوكية، يا ربي على تشبيهاتك وكلامك اللي زى الرصاص.. اتفضل تعالى مكانى شوية وسيبنى أكمل سواقة يمكن أنسى السيرة دى.. بنت حلال والله، دا أنا ما نمتش كويس من امبارح..

- ما هو دا اللي هنتكلم فيه يا جميل، عن الناس اللي كانت نايمة تحضن مخدة شوكية محشوة بالقلق على سيادتك لحد الفجر، وجنابك قافل الفون..

لا والله.. دا كان فاصل شحن..

- فاصل شحن برضه، بعيد الشر عنك يا أسد.. هههههه.. وبعدين حضرتك عايز تقنعنى ان مطعم ستوديو مصر مفيهوش شاحن آى فون، ولا سخونة حكايات دكتور نزار بتحتاج تركيز بيسحب الشحن كله؟

هيه.. هات ما عندك، ولا المواضيع شكلها داخلة فى  
الممنوع؟!!

فعلا المسألة بالنسبة لى تجاوزت حدود المعقول تماما..

- بمعنى؟! عايز تقول إنها انزلت لعلاقات افتراضية مثلا؟!!

يعنى.. تقدرى تقولى كده.. بس بعدين علشان القطايط اللى  
منورينا دول..

- يلاً يا ولاد وصلنا.. هنزل أنا ومارية نفتح الشاليه ونهويه  
على ما تحصلونا انت وعمر..

- عُمر بيه، مارية بيه برضه.. حضراتكم خلاص اتغديتم..  
انفضلوا كل واحد يشوف مين من اصحابه هنا وسيبوني  
أنا وبابى شوية..

طبعا هنتجنى علشان تعرفى التفاصيل..

- لا لا.. أنا مش ممكن أتطفل على خصوصياتكم، انت  
هتقول لوحدك يا حُبى.. ههههههه..

خصوصياته هو.. انا مليش خصوصيات.. لحد الآن على الأقل..  
هههههههه..

- ايوا.. لحد الآن على الأقل، فى دى معاك حق فى  
تسونامى العولمة وتوحش الاتصالات ده محدش يضمن  
أى حاجة..

ده صحيح، لكن فيه سؤال شاغلنى من يوم ما فكرت فى كتابة  
الرواية دى، وهو: هل أصبح الجنس هو مركز ثقل الكون؟! ما  
السر وراء تصاعد استحواذ التفكير فى الجنس على الأذهان لدرجة  
أنه لم يعد لنا سيره ولا شاغل غيره، كبارا وصغارا وذكورا وإناثا  
وشيوخا ومتقفين، فى الجد وفى الهزل، وفى البيوت وفى الجوامع،  
وفى برامج الطبخ وبرامج الفتاوى، وقبل الثورة وبعدها، رغم كل ما  
يعانيه المجتمع من فشل شامل وفاضح!

- ولماذا الاندهاش؟ الجنس هو إكسير الحياة ولولاه لتوقف  
نمو الكائنات ولاندثرت البشرية من على وجه الأرض،  
وهذه فطرة الله التى فطر الناس عليها، ولن نكون كائنات  
منزوعة الشهوة يوما ولن نتحول إلى ملائكة من نور  
وننفرغ للعبادة..

دا أكيد، لكننى أقصد أن المسألة تجاوزت حد الشطط والمبالغة  
حتى عند المشايخ والدعاة الجدد فى فضائياتهم وندواتهم ومقالاتهم  
ومحاضراتهم، مع أننى مثلا وعلى مدى ثلاثين سنة..

لم أسمع الشيخ الغزالي أو الشيخ الشعراوي يتكلمان عن الجنس صراحة أو لفظا ربما مرات لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة! ومعظم أدعياء اليوم ممن يعتبرونهم دعاة وهم فى منتهى الإسفاف والبجاجة، ليس لهم إلا هذه السيرة، وليتهم يُحسنون فهمها وتناولها على أسس علمية صحيحة، وقيسى على هذا كل القطاعات والتجمعات فى المكاتب والمقاهى والفضائيات والمسارح والسينيمات، لذا نال مجتمعنا المُتدين بِطَبَعِهِ المَرْتبة الثانية على مستوى العالم، وعن جدارة، فى البحث عن والدخول إلى مواقع الإنترنت الإباحية!

- ولكن أعتقد أننا يجب أن نفرق بين أمرين، بين الجنس وأهميته ودوره فى المحافظة على العافية المجتمعية من حيث الثروة البشرية واللياقة الصحية والعاطفية والنفسية، وبين الهوس بالجنس فكريا أو لفظيا أو سلوكيا، وهو غالبا ما يكون ناتجا عن الديكتاتورية وما تمارسه على المجتمع من قهر وكبت وما تُشيعه فيه من فقر وتخلف وجهل..

أنا معاكى ان الديكتاتورية لا تقوم إلا على جثث المسطولين من الحشيش، والمُنهكين من الانغماس فى الجنس والتفكير فيه والحديث عنه، والديكتاتور وأجهزته هو من يصنع كليهما، الحشيش والهوس الجنسي، ليتحكم بهما فى مجتمع دائخ مُغيب..

خائر القوى، حتى فى القمع والتعذيب يضع الديكتاتور وأجهزته الجنس وما يتصل به على رأس قائمة أدوات إذلال الشعب وتعذيبه بالتعرية والتحرش والاعتصاب!

- يعنى فى كل مرة نلف ونرجع لنفس النقطة، أن الديكتاتور هو سبب كل البلاوى! فهو يخدر المجتمع، وخصوصا قوته الضاربة من الشباب، بالحشيش والمخدرات والجنس، ويُخضع رجاله وأعدائه وجنوده ويُغريهم ويُطوعهم بِمزيدٍ من الحشيش والمخدرات والجنس، ويقمع معارضوه ويُعذبهم بالنيل منهم جنسيا ولكن بلا حشيش! لكن فلنقل لى يا حبيبي الأديب والمحلل السياسي والاجتماعى الجميل الخطير.. دى فسحة إيه دى إن شاء الله.. ما تقوم يا بيه نتمشى شوية ونشوف الولاد فين!



أَلْتُمُّ كَفَهَا الطُّفُولِي..

ألثم كفها الطفولى الرقيق بحنان، أستنشق عطرهما  
بعمق، وأبحر بعينيها العسليتين لأسترجع فى نظراتهما الحميمة  
مشوار حبنا الجميل، بينما تترك هى صوت فيروز ينساب برائعة  
نزار قبّانى من هاتفها بإحدى أجمل أغانيها المحببة لكلينا،  
فتُعيدنى سبعة عشرة عاما إلى أيامنا الجميلة عندما كانت تحرص  
على تشغيلها كلما اتصلت بها فى فترة الخطوبة لئلا تكون خلفية  
شعرية موسيقية رومانسية لمكالماتنا التى كانت تفيض شعرا وتتألق  
عطرا..

لا تسألونى .. ما اسمه حبيبي

أخشى عليكم.. ضوَعَة الطُيُوبِ

والله لو بُحت.. بأى حرفٍ

تَكَدَسَ اللَّيْلُكُ.. فى الدروبِ

تعرفى يا نهيلو.. غير جمالك الهادئ المحنق وخفة دمك  
وشقاوتك، تُبهرنى موهبتك النادرة وقدرتك العجيبة على الانتقال من  
أجواء النقاش الفلسفى العلمى الأكاديمي الجاف الجاد، إلى أجواء  
الحب والرومانسية والغزل بنعومة وسلاسة وخفة ورشاقة جميلة  
زيك..

ثَرُونَهُ.. فِي ضِحْكَةِ السَّوَاقي

فِي رَفَةِ الْفَرَّاشَةِ.. اللَّعُوبِ

فِي الْبَحْرِ.. فِي تَنْفُسِ الْمَرَاعِي

وَفِي غِنَاءِ.. كُلِّ عَنْدَلِيْبٍ

- يَا حَبِيْبِي.. مَعْقُولٌ نَسِيْتُ تَضْيِيفَ مَعَ الرُّومَانِسِيَّةِ وَالْغَزْلِ،  
الْقُرْصِ وَالْعُضِّ وَالزَّغْدِ وَالضَّرْبِ وَالْعَمَائِلِ الَّتِي بَعْمَلِهَا  
فِيكَ.. هَهههههه..

فِي أَدْمَعِ الشِّتَاءِ.. حِينَ يَبْكِي

وَفِي عَطَاءِ.. الدَّيْمَةِ السَّكُوبِ

مَحَاسِنُ .. لَا ضَمَمَهَا كِتَابٌ

وَلَا أَبْدَعْتَهَا.. رِيْشَةَ الْأَدِيْبِ

عَسَلٌ.. مَا هُوَ دَهْ لِي مَدُونِي فِيكَ يَا جَمِيْلٌ، عَايِزٌ أَقْرَقْشَكَ وَأَنْتِي  
شِيَاكَةُ كَدِهِ فِي الْبَنْطَلُونِ الْأَبْيَضِ وَالْبَلُوزَةِ التَّرْكُوَازِ دَوْلٌ، أَمُوتُ أَنَا  
فِي التَّرْكُوَازِ.. تَعَالَى هُنَا.. أَحْنَا هَنْجَرِي مِنْ دَلُوْقَتِ.. وَاللَّهِ مَا أَنَا  
سَايِيكَ..

لا تسألوني .. ما اسمه..

كفاكم

فلن أبوح باسمه.. حبيبي.

- بابى.. مامى.. بتجروا ورا بعض ليه؟ فيه إيه؟!

- لا يا مارية مفيش حاجة.. أمال فين عُمر؟

- مع اصحابه فى البحر..

- قولى له يطلع الجو برد..

إيه رأيك يا حبيبي فى الحظ الجميل ده..

ولا يهكم يا قمر..

لنا عُش.. حتما سيجمَعنا ويأوينا

لنا لَيْلٍ.. سيضْمنا فى عِبائته

ولن يغادر.. حتى يُسعدنا ويُرضينا.

- الله عليك يا شاعر.. يلا بينا على الشاليه من البرد..

نرغى شوية لحد معاد العشا.

تفتكرى يا نهلة ليه انتى مختلفة؟! ليه ما زلتى متمسكة بنفس

مظهر وسلوك وتفكير والدتك وسيدات الستينات..

وأوائل السبعينات، نفس الإيشارب الأنيق والتايورات المُحافظة  
والبنطلونات والبلوزات الطويلة، والمكياج الهادئ، والمشية الجادة،  
وتقديس الحياة الزوجية، والتدين الخالي من المظاهر، مع إنك من  
مواليد السبعينات ومع ذلك ليه مش زيهم؟!

- مش زى مين؟! وليه هما اللي مش زيي، ليه هما اللي

مختلفين! ماله نمطى ونمط ماما؟! نعتنى بمظهرنا فى شياكة  
وأدب واحتشام، ونهتم بجمال أفكارنا فى تحضر وانفتاح والتزام،  
ونُخلص لأزواجنا ونغمرهم بالحب، ونربى أولادنا على الحرية  
والثقة بالنفس، ونؤدى عملنا وواجباتنا الاجتماعية ونتعامل مع  
الناس بؤدٍ واحترام.. تعال اسمع الغمز واللمز الذى يلاحقنى لمجرد  
أننى ألبس بلوزة طويلة وبنطلونا وأضع إيشاربا ملونا على شعرى  
ربما يُظهر بعضا منه أحيانا!

وما الغريب فى مظهرك هذا؟!

- غريب جدا طبعا فى حِقة الإرهاب الفكرى الذى تُمارسه

أيولوجيا وجوب النقاب والخمار باعتبارهما شرطاً لصحة إسلام  
المرأة وصكا وحيدا لضمان عفتها!

إرهاب فكرى!!

- طبعا إرهاب فكرى، جرب تكتب فى رواياتك أو تجاهر

برأيك فى هذه الجزئية وسترى ما سيحدث لك من هذه الفئة من المتدينين الأوصياء على الناس من محدودى الأفق والثقافة والفكر، رغم أننى لا أبدى أى رأى فى هذه المسائل واعتبرها من قبيل الحرية الشخصية، ولا أحمل أى ضغينة أو تحفظ أو رفض تجاه من تلبس نقابا أو خمارا، بالعكس، فكثيرات من زميلاتى المقربات وطالباتى يلبسن نقابا أو خمارا، إنما تحفظى فقط هو على تحويل وجهة نظر أحد الفقهاء أو أحد الآراء الفقهية إلى أصل من أصول ديننا نحشد له المتحمسين ونجيش له جيوش الداعين ونُقِيم من خلاله موقف الناس من الدين!

فعلا يا نهلة.. أنا صادفت صورة على الفيس بوك لمدرج بإحدى كليات الهندسة وقد امتلأ عن آخره بصفوف متراسة لطالبات مُتلحفات بالسواد تماما، فلا يبين منهن ظفر ولا رمش، حتى أن المُدرج بدا فى الصورة وكأنه مخزن أو مصنع للفحم! نشرتها إحداهن، وهى تسمى نفسها " فخورة بنقابى " وترفق باسمها رسما لنقاب أسود مُصمت كخيال الظل أو الكليب آرت، وقد كتبت تعليقا على الصورة قائلة: ما شاء الله، متى تُصبح بنات ونساء مصر المسلمات كلهن هكذا! تخيلت أمنيتهما وقد تحققت فُشَلَّ تفكيري!

- وأنا والله أحزن عندما أرى طالبة لم تتجاوز الأعوام الثمانية

عشرة، يعنى لم تنزل بعدُ صغيرة ورقيقة، وتتدثر بالسواد من رأسها إلى قدميها فلا أرى منها عينا تنظر فى عيني ولا شفطان تتمتان بتحيتى وتبتسمان فى وجهى! وهذه البنوة الصغيرة تحمل كُتبا تتناول موضوعات دينية وفقهية معظمها خلافية وربما هامشية تُركز على سلوكيات وشكليات فردية غير معنية إطلاقا بالمسلمين كجماعة ولا بقضاياهم وهمومهم وحاضرهم ومستقبلهم، المهم أن تلبس وتتكلم بشكل معين، وتُظهر مبالغة فى العبادة الفردية، وتنظر إلى العالم كله من خلال الإمام بن تيمية، وتختزل الإسلام فى حفظ الأحاديث النبوية والتأكد من أسانيدِها! والعجيب أن البنت تتكلم بكلام قديم لا يتناسب مع سنّها وتُرده فى موضعه وفى غير موضعه، ربما لمجرد المُحاكاة العمياء لمن تتبعهم، من قبيل: أزيدك من الشعر بيت، وفلان عليه من الله ما يستحق، والله دَرَك! ولم أُرِد أن أخرجها وأسألها عن معنى "دَرَك" هذه لأننى مُتأكدة أنها تردد كالبغياء خلف المشايخ الذين أقنعوها أن التحدث بهذه الكلمات القديمة المُنقرضة علامة على الالتزام بالإسلام! وعندما تحضر إلى مكتبى تدخل مُتوترة مشدودة وهى تُجرجر ثيابها الكثيرة الثقيلة التى تكاد تقتلها من الحر والرطوبة والعرق، أبشُ فى وجهها فلا أجد لها وجهاً ليبتسم فى وجهى..

أمد يدي لأصافحها فتصافحني بقفازها، وكأنها لو خلعت لثوانٍ من باب الذوق لتصافح أستاذتها، فربما يداهما أحد الذكور الطائرين في الهواء كالجراد فيرى ظُفر إصبعها الصغير فتنفجر براكين الفتنة! أحتضنها وأنا أكاد أبكي وأود لو أهدس في أذنها مُتوسلة: تعالي يا قطتي الصغيرة، من فعل بك هكذا؟ من الذي وأدك في هذا السواد؟ من الذي لون مظهرك وأفكارك وأثوتك وشبابك بالسواد؟ هوني عليك يا صغيرتي فلسنا وُحوشا ولا كائنات من الجن أو من قبائل تأكل لحوم البشر.. ولكن هيهات أن أتكلم أو أدلى بدلوى في هذه المُصيبة، فقد فَعَلْتُها يوما ووزعت عليهن نسا لفتاوى للشيخ القرضاوى، واحدة في مسألة النقاب والأخرى في حكم الموسيقى والغناء، وكان يوم أسودا ونالني ونال الشيخ بسببي الكثير من الطعن والإهانة، ومن ساعتها وأنا لم أعد أتكلم!

لكن أنا عندي صديقة تتابعني على الفيس بوك وعلى تويتر أيضا، تقول أنها منتقبة، ومع ذلك لا أجد في كلامها شيئا مما تقولين..

- أوبيااااا.. ممكن تعيد الكوليه ده تانى يا جميل..

كوليه إيه.. هو أنا بغنى!

- بتغنى! إلا بتغنى، دا انت بتغنى في زحمة الكلام وتقول بكل بساطة إن عندك صديقة..

وايه بتابعك على الفيس بوك وكمان على تويتر، يعنى  
من الباب للشباك رايحة وجاية وراك.. ودى مين حضرتها  
واسمها إيه إن شاء الله؟ أجب.. أفصح.. أبين.. قل..  
انطق قبل أن أقتلك يا حضرة الكاتب..

يا لطيف اللطف يارب.. دى واحدة من ضمن مئات المتابعين  
والمتابعات تُسمى نفسها " أنثى الدولفين" ولا أعرف ما اسمها  
الحقيقى ولا ماذا تعمل ولا أين تسكن، فأنا لا أهتم لذلك ولا يعينى  
الفضول بشأنه، وأتواصل مع الجميع على قاعدة النقاش الثقافى  
والفكرى، لذا أحرص على ألا أقحم أحدا فى تفاصيل شخصية  
عنى، فكل ما يعرفونه أننى مجرد رجل أعمال مثقف، وإن كنت  
ألاحظ أن أنثى الدولفين هذه تُبدي اهتماما ملحوظا بكل ما أكتب  
ولا تُفوت فرصة للرد والنقاش والتعليق إلا اقتتصتها، حتى أننى  
فكرت أن أسألها عن سبب تسميتها لنفسها بهذا الاسم: أنثى  
الدولفين! فهو اسم مُحير.. أليس كذلك؟! أفكر فى التجاوب معها  
لعلها تُضيف جديدا لموضوع الرواية، فمشاركاتها ورُودها تتسم  
بالعمق وتتم عن خلفية علمية أو أكاديمية وعن اهتمام بنفس  
الموضوع..

- تتجاوب معها! إذن فهى الحرب، لأقتلنك أيها الخائن..  
هههههههه..

بطلى شقاوة وتعالى نكمل كلامنا على العشاء، أنا وصيت على  
شوية جمبرى وكاليمارى ومُرْجان إنما إيه.. الشيف متولى جايهم  
لنا مخصوص والله.. يلاً يا عُمر.. يلاً يا مارية.. العشا.. سي  
فوووووود..

- صحيح يا بابى.. ليه كل ما تيجى سيرة أكلة سى فود  
الستات والرجالة يقعدوا يغمزوا لبعض ويضحكوا ويعملوا  
حركات غريبة؟!!

- أيوا يا بابى.. ليه الحوارات دى!  
- احم احم.. وانت كمان عايز تعرف يا عُمر! طيب يلا  
عرفهم يا بابى..

ولا حاجة.. تلاقيهم بس بيوحوا من تكلفة أكلات السى فود  
الغالية..

- عجائب.. اشمعنى دى اللى ما شرحتش فيها وحللت يا  
فيلسوفى!

والآن يا دكتورة ما هو تفسير سيادتك للظواهر الغريبة التى لا تزال  
تجتاح مجتمعنا الذى أصبح يغلب عليه الطابع الطفولى الهش  
المُندفع المتقلب؟!!

- إذا أردت تفسيراً لما يشغلك وما ترصده من تطورات في

هذا المجتمع فابدأ من النشأة، البدايات، البرمجة، البصمات الأولى، وفتش عن الأب بالذات! فأنا مثلاً نشأت في بيت ينتمي طبقياً إلى الطبقة المتوسطة، بين أبوين مُتَقَفَيْن مُتَحَابِّين مُنْجَمَيْن مُتَدِينَيْن تَدِيناً جَمِيلاً، ويتمتعان بلياقة نفسية واجتماعية ممتازة، فرغم أن والدي رحمه الله، كان مهندساً قضى فترة شبابه في الإخوان المسلمين وكان متأثراً بالشيخ محمد الغزالي، إلا أن ثقافته لم تكن دينية وسياسية فقط، بل كانت ثقافة موسوعية في اللغة والأدب والفنون أيضاً، وكان يحرص على فتح نقاش حر حول ما نقرأه ونشاهده، وكان يحترم أُمِّي جداً ولا يتردد في إظهار حُبِّه لها أمامنا في كل مناسبة، وكان يحترمنا أيضاً ويفخر بحبه وانحيازه للبنات، فلم يقهرنا يوماً أو يُميز أخوتنا الذكور عنا، بل كان يُكرر على مسامعهم أن الرجولة هي احترام البنات وإكرامهم والحدب عليهم، ولم يقتحم لنا خصوصية يوماً أو يتلصص علينا، مما رسخ ثقتنا بأنفسنا وأسس بنايُننا على الصدق والتقوى من أول يوم، ولم يكن يُهمل تثقيفنا فيما يَحْصُننا كبنات وكان يتابع هذا الأمر مع ماما دائماً، ووضع لنا ميثاقاً لا نحيد عنه أبداً مُفاده: أن نلتزم ثوابت الإسلام وفرائضه ومكارم الأخلاق ونجتنب الكبائر، ثم ليكن كل منا حُرّاً في تفاصيل حياته وشكلياتها بعد ذلك..

لذا لم يفرض علينا اتجاهها أو رأيا أو لونا أو ذوقا فقد كان منشغلا  
جدا بتدريبنا على صنعة الحياة وفن الحب!

رحمه الله رحمة واسعة فقد كان جميلا وأهدى الحياة كل جميل،  
يعنى حضرتك شايقة إن المشكلة مشكلة برمجة من الأساس وأن  
أى خلل فى نظام البرمجة أو المنظومة النفسية والفكرية والأخلاقية  
للإنسان فى بداياته تلقى بظلالها أو تترك آثارها على هذا الإنسان  
بقية حياته..

- بالتأكيد.. ودعنى أتخير لك بعض أمثلة من بين حالات  
تُعْرَضُ عَلَى مباشرة أو تُحَكِّى لى من بعض الزميلات أو  
الطالبات، لتعرف أن ما تتصوره مُذهلا وصادما من  
حكايات دكتور نزار، ربما يُصبح مألوفاً على نطاق واسع  
بالسكوت عنه والهروب من مواجهته، خصوصا فى ظل  
توحش السوشيال ميديا فى مقابل ضغط الانغلاق والقمع  
والتسلط والتزمت!

بِنُوتَه..

بنوته من أحب الطالبات إلى قلبي، منتقبة وملتزمة  
 وخلقوة ومُهدبة جدا، جاءتني مُنهارَة وبعد جهد في تهدئتها  
 وطمئنتها حكّت لي أنها اعتادت أن تذهب لتتلقى درسا دينيا  
 وتحفظ القرآن لدى سيدة، منتقبة هي الأخرى بالطبع وتُعتبر داعية  
 معروفة في الحي، وفي إحدى المرات طرقت ابنتنا الباب فأسفر  
 عن رجل طويل القامة سَخِيّ الشعر يفيض بِسِحْرٍ ما بعد  
 الأربعين، هذا السن الذي لا أدرى حتى الآن لماذا يأخذ بالباب  
 الأنثى! فقد كان لصاحبنا شعرات بيضاء خفيفة تتساب كالفضة  
 على فوديه ولحيته المُشدّبة، ما أن التقت عينيها السوداويين  
 الطفوليتين الواعدتين، بعينيه البُنيتين الهادئتين البراقنتين كأنهما  
 بحيرة يجتمع حولها الحكماء والفلاسفة، حتى شعرت بدوار خفيف  
 لم يُنبها منه إلا هَمسه الرصين:

- عفوا يا أخت...
- بحثت عن أية بقايا من ريقها الناضب لترد عليه:
- مروة.. أخت حضرتك في الله: مروة..
- لتستطرد وسط تشويش ضربات قلبها:
- هي الأستاذة مش موجودة؟
- تفضلي.. هي بعافية شوية وراقدة في غرفتها، يبدو أنه لم  
 يبلغك تأجيل الموعد.. تفضلي..

لتدلف إلى حيث فراش الزوجة الداعية المريضة، وتبدأ رحلة لم تكن لتخطر لها على بال وهي الفتاة البريئة الغضة التي لم تكمل عقدها الثانى، المُنتقبة التي لم تعرف إلا المُنتقبات بدءاً من أمها وأخواتها البنات وأخواتها فى الله، ولم تتعامل فى حياتها سوى مع الدين والقرآن والندوات والمحاضرات، وربما منذ أن وُلدت لم تسمع فى بيتهم أغنية ولم تُشاهد إلا كتب ابن تيمية وابن القيم والألبانى والقنوت الدينية ودعاتها المُصطنع أغلبهم فى الخارج، تجد نفسها الآن مسحورة مُخدرة لمجرد التقاء عينيها لثوان بعيني رجل أربعيني، تُرى لماذا؟! ما هو الدافع الذى يخترق كل هذا الحصار الدينى الصارم حتى يتغلب عليه ويقفز من فوق حواجزه الواحد تلو الآخر ليصل بهذه الفتاة لرجفة الانجذاب من نظرة عَيْنٍ بدت عابرة؟! وبنفس المنطق، ما هو الدافع الذى تغلب على رصانة الأب الأربعيني الذى يرى نفسه أمام فتاة منتقبة فى نصف عمر زوجته وتدرس الدين والقرآن ببيته، ليتخطى هذا كله ويُدس فى كفها وهي خارجة قُصاصة ورقية كتب فيها رقم هاتفه وقد أتبعه بكلمة:

- حرام عليكى.. ماذا فعلت بى عيناكى!

لتشب النار فى القلبين، الصغير والكبير..

ويتصاعد اللهب مع بدء التواصل التليفونى، ثم يتوهج ويضطرم  
بتكرار اللقاءات المباشرة فى الهواء الطلق!

اتصالات ولقاءات بين البنوتة الصغيرة المُتدبنة دى وبين هذا  
الرجل الفاضل يا نهلة! كيف؟ ولماذا؟ يستحيل يكون لدوافع  
غرائزية!

- بالطبع لم تكن ثمة دوافع من هذا النوع، أعتقد أنها كانت

دوافعا نفسية بحثه وإن تزيت بزى العلاقة العاطفية فى الظاهر،  
ففى الوقت الذى ضاقت فيه البنت العاطفية الرقيقة الحاملة ذرعا  
بتسلط الأب وعصبيته وفضاظته تجاه البنات، ربما لعقدة ذُكورية  
متأصلة فى برمجه النفسية والفكرية من البداية، غذاها الاتجاه  
الدينى الذى سلكه وأصبح مُتعصبا له، والذى بمقتضاه جفف  
ينابيع الحياة من كل شئ حتى استحالت جِداء مُقفرة تَضيقُ بها  
الفطرة الإنسانية السوية!

وعندما تقاطعت خطوط عينيها مع خطوط عيني هذا الرجل ذى  
النظرة الدافئة رأت فيهما نافذتين مشرعتين على الحياة، وأبوة حانية  
طالما حلمت بها، ورقة وذوق يمحوان آثار الذكورية الخشنة التى  
تُحاصرُها فى البيت إلى حد الاختناق، لقد رأت فى عينيه رحابة  
وحرية وتدليل وانطلاق!

أما هو فقد وجد في قُربها طَوْقُ نِجاةٍ يَنْتِشِلُه من انسحاق يعانيه هو الآخر في علاقته بزوجته ذات الشخصية القوية المُتسلطة التي ظلت نِدأً له منذ أن كانا زملاء في نفس الكلية، وبطلا سباحة في نفس النادي، ثم زملاء في نفس الوظيفة بنفس البنك بنفس الراتب، بل مع الوقت تقدمت هي عليه وزاد راتبها عن راتبه، حتى أنها في نفس طوله وربما أقوى منه بنية وأكثر منه لياقة بدنية، حتى في علاقتهما الزوجية تُصِر أن تعلوه هي لتمتطيه كفارسة! حتى صادف هذا القمر الصغير الرقيق يهل عليه وينظر إليه بإكبار وخجل باعتباره أستاذا كبيرا وشخصية مُتميزة ورجلا مُهما، مما أعطاه شعورا لذيذا بوجوده!

دكتورة.. مرة أخرى.. ولتسامحيني على دهشتي وإلحاحي.. هل من المعقول ألا مكان للنزوة في هذه العلاقة؟!!

- إنها الروح يا حبيبي عندما يطول أمد كبتها وحبسها

وتواتيها الفرصة لتُزْفِر وتُحلق! فعندما سألتها عن سبب سلوكها هذا المسلك حكّت لي كلاما كثيرا ومأساويا عن حرمانها من الحب والتدليل، والتعامل معها، وخصوصا بعد وصولها إلى سن البلوغ وبروز مفاتها، على أنها بلوة أو رزية أو مصيبة أو قنبلة من الممكن أن تنفجر في وجه الأسرة في أي وقت..

فَتُدْمَر سُمْعَتَهَا وَشَرَفُهَا بِسَبَبِ جَمَالِهَا الْمُغْرَى الَّذِي لَا يَدَّ لَهَا فِيهِ!  
فَلَا حِلَّ إِذَا إِلَّا الْأَوَامِرُ وَالنَّوَاهِي الْخَشْنَةَ وَالْحِصَارَ الْمُحْكَمَ فِي  
الْبَيْتِ، وَالتَّضْيِيقَ الْمُطْلَقَ فِي الْخُرُوجِ، وَالرَّقَابَةَ الْخَانِقَةَ عَلَى الْكَلِمَةِ  
وَالْمَلَابِسَ وَالْمَوْبَايِلَ وَالْإِنْتَرْنَٹَ!

عَامَانِ التَّقْيَا فِيهِمَا عَامِلُهَا الرَّجُلُ كَطَفَلْتِهِ فَعَلَا، فَلَمْ يَلْمَسْ حَتَّى  
يَدَهَا وَلَمْ يَقُلْ لَهَا كَلِمَةً غَرَامَ وَاحِدَةً، بَلْ انْطَلَقَتْ مَعَهُ إِلَى آفَاقِ رَحْبَةِ  
لَمْ تَكُنْ فِي الْحَسْبَانِ! فَفِي سَيَارَتِهِ كَانَتْ تَخْلَعُ غَطَاءَ وَجْهَهَا وَتَعْدَلُ  
شَكْلَ خَمَارِهَا فَيَبْدُو وَكَأَنَّهُ طَرِحَهُ مُودِرِنَ، لَتَغْشَى بِصَحْبَتِهِ أَمَاكِنَ لَمْ  
تَكُنْ تَتَخَيَّلُ أَنْ تَتَطَّأَهَا قَدَمَاهَا، فَذَهَبَتْ مَعَهُ إِلَى مَسْرَحِ الْهِنَاجِرِ  
وَحَفَلَاتِ فِرْقَةِ الْمَوْسِيقَى الْعَرَبِيَّةِ وَعَمْرُ خَيْرِتٍ وَنَصِيرِ شَمَةِ بَدَارِ  
الْأَوْبَرَا، وَالِى سَاقِيَةِ الصَّوَاوَى وَبَيْتِ السَّحِيمَى، وَزَارَتْ كَثِيرًا مِنْ  
الْمَكْتَبَاتِ وَالْمَتَاحِفِ وَالْمَعَارِضِ، لَكِنَّا عَانَتْ بِشَدَّةٍ لِنُتَقِنَ الْقِيَامَ  
بِالدُّورِينَ وَتَتَقَمَّصَ الشَّخْصِيَّتِينَ: دُورَ الْمُنْتَقِبَةِ الْمُتَزَمِّتَةِ الْمَتْحَفِظَةِ  
فِي تَصْرِفَاتِهَا وَكَلَامِهَا وَهُوَ الَّذِي تَعِيشُ بِهِ بَيْنَ أَهْلِهَا وَزَمِيلَاتِهَا فِي  
الْكَلِيَّةِ، وَدُورَ الْفَتَاةِ الْمَحْجَبَةِ الْمَحْتَشِمَةِ الْوَاتِقَةِ مِنْ نَفْسِهَا الْمَتْثَقَّةِ  
النَّاضِجَةِ وَهُوَ الَّذِي تَعِيشُ بِهِ مَعَ أَسَاتِذِهَا الْحَبِيبِ!

كُلُّ هَذَا وَتُرِيدِينَ أَنْ تَقْنَعِينِي بِأَنْ مِيلَا عَاطِفِيَا لَمْ يَحْدِثْ.. وَلَا حَتَّى  
بِوَادِرِ لَهُ!

- بل حدث فى المراحل الأخيرة، بدأ متسللا على استحياء

ثم سرعان ما تتامى فى صمت مما كانت تلمحه من شوق ولهفة فى عينيه، ومن حنان ودفء فى كلماته وفى لفتاته الرقيقة وهداياه الأنيقة، ومن هذه الأحاسيس الدافئة اللذيذة التى كانت تجدها بقربه، ومن خيالٍ مُثيرٍ حَالِمٍ ترى فيه نفسها وكأنها انغمست فى عِطْرِ أعطافه واستراحَ حَدَّها وتألقت وروده البينك على نجيل لحيته الفضية..

وما نهاية هذا كله؟!!

- أبدأ، بكل بساطة وبانكشاف الأمر بالصدفة البحتة، أبدأ

والد البنت وأسرتها فى استخدام إمكاناتهم ومواهبهم فى كسرهما وقهرهما وإعادتها مغلفة فى السواد مرة أخرى إلى مُعسكرهم المُغلق الدائم، حتى خطبوها لأحد إخوانهم، أما أستاذنا الفاضل فقد تكفلت به زوجته الداعية الجبارة!

عظيم جدا، هذا تدليل على وجهة نظرك القائلة بأن الدوافع النفسية هى حجر الزاوية فى كل ما نستعرضه من حالات لروايتنا المُزمنة، متفقون سيدتي..

- أما الحالة الثانية أو النموذج الثانى الذى صادفته..

فى خضم رصدى لحالات الاضطراب العاطفى المؤدى للعلاقات  
السرية الموازية، والتي فجرت السوشيال ميديا بركانها، فهى  
عن....

قبل أن تكلمى دعينى أعلق على حكايتك الأولى عن البنت  
المُتدبنة أو المنتقبة التى وقعت فى غرام الزوج الأربعينى، فقد  
شغلتنى ليلة أمس وربطت بينها وبين بعض ما أسمع من الدكتور  
نزار لأخرج بنتيجة شبه مؤكدة خلاصتها: أن انضباط الظاهر  
وشكله المُبهر لا يُغنى أبدا عن العناية بالباطن وتلبية حاجاته  
الأساسية ولا يكفى لإلغائها، فالإحساس بالجوع مثلا لن يُبدده لبس  
الثياب الجميلة، كما لا تُبدد قصيدة عن النار شعورا متمكنا  
بقشعريرة بالبرد!

- بمعنى!؟

بمعنى أن نشأة البنت فى مَحْضِن مُغلق يعتمد على التلقين  
النمطى الفطرى التلقائى فى جو من القمع الأبوى الذى يكتفى  
بالتشديد على المظهر الدينى دون تنقيف أو تكوين وعى أو دربة  
تدعم الأبناء فى مُعترك الحياة، ظنا من الأب أنه سيكون مُستريح  
البال بعد أن تأكد من سد أية ثغرة يتسرب منها ما يُعكر صفو  
الحاضنة الملائكية المُعقمة التى أحكم إغلاقها على أبنائه وبناته..

وأفنع نفسه أنهم ملائكة منزوعوا الغرائز وليسوا بشرا يسرى عليهم ما يسرى على سائر البشر! وهو لا يدري أن تسلطه لم يكن كافيا وحده لاقتلاع جذور الحرية من فطرة البنت ولا لإخماد جذوة البحث عن الحب فى وجدانها، لذلك ما ان اقتربت البنت من رجل يُوحى مَظهره بالجاذبية الرجولية والأبوه الحانية حتى ارتمت عيناها فى حُسن عينيه وانطلقت معه لا تلتوى على شىء، فليس مطلوباً منها أكثر من أن تحافظ أمام أهلها على المظهر الدينى المُتشدد الذى يطمئنهم أنها قديسة بتول، وأن تحافظ لنفسها فى نفس الوقت على نافذة تطل منها على الحياة!

- دا كلام جميل ولكنه ينسحب أيضا على وضعية الرجل

الذى ظنت زوجته أنه راهب منقطع للخدمة فى محرابها، راضٍ مُستسلم هادئ قانع برضاها، ولم يخطر ببالها أنه كرجل وزوج يحتاج منها أن تُشعره بوجوده وكيانه وقوامته، وأن هذا السطح الذى يبدو أمامها هادئا هو فى الحقيقة يُخفى تحته رغبة محمومة فى استنشاق عبير الحرية والحب والتدليل، وينتهاز الفرصة ليشعر بأهميته وسيطرته ويتذوق لذة الخضوع له والتعلق به والاحتياج لرعايته، وهو ما حققه له ظهور البنوة مروة فى حياته!

وما يُدريكِ لعل كثيرون ممن يعيشون بيننا ونلقاهم في الطرقات والنوادي والأسواق، رجالاً أو نساء، يعيشون حالة بحث عن الحب، يحلمون به ويتمنون وجوده وتحققه في حياتهم.. حياتهم الغارقة في المشاحنات والمناكفات والنكد! لكن قليل منهم من يظفر بالفرصة، وكثير منهم ينتظر، وأكثرهم لن ينالها أبداً لألف مانع ومانع.. فليس كل ما يتمنى المرء يدركه!

لذلك دعني أقص عليك نموذجنا الثاني لحالة مختلفة وهي:

**سَيِّدَةٌ..**

سيدة تعمل فى شئون الطالبات فى الكلية، والمصادفة أنها منتقبة أيضا والله، اتصلت بى وهى تنتحب وترجونى أن أساعدها فى التخلص من مهندس شاب يصغرها بسبع سنوات وكان يتواصل معها على الفيس بوك فلما فارقتة إذا به يبتزها بصور التقطتها لها فى لحظات طيش وغفلة عندما انزلت إلى هاوية التجاوب معه بالكاميرا عبر سكايب، وهو الآن يُهددها إذا توقفت عن التواصل معه وتركته فسوف يُرسل الصور إلى زوجها ووالد طفليها ويحكى له عن كل شئ فعلاه سويا، وظلت تُقسم لى أيمانا وهى تبكى بشدة أنها مُلتزمة وتقية وشريفة وأن غاية ما هنالك أنها فى لحظة ضعف طاوعته بعد أن غرها بكلامه المعسول وسحرها بأسلوبه الناعم حتى استدرجها إلى خلوة الرسائل الخاصة بحجة أن يتعرف عليها أكثر كأخت له ويشرح لها بعض الأمور بتفصيل أكثر! ومن خلال ثغرة الرسائل الخاصة تبادلا أرقام التليفونات التى سرعان ما حملت عبر أثيرها عُذوبة الحديث ودفء المشاعر وحلاوة الهمس وخفة الدم ولذة الأنس وتسليية الوقت وتبديد الضجر وراحة الفضفضة، تلك الفضفضة التى تبدأ بالحديث عبر الشات الصوتى عن بُغضها الشديد لزوجها العصبى القاسى المُتخلف الذى يُهملها ويتركها وحيدة مع طفليها، وتنتهى فى غرفة النوم عبر الشات المرئى على سكايب بالبوح برغباتها المكبوتة التى تضغط على أعصابها الليلية ذوات العدد..

دون أن تجد لها مَصْرِفاً، مروراً بالشكوى المُرّة من معاناتها وهي تضطر للمعايشة على مَضض وبعد طول غياب لتؤدى حق الله وتُبرئ ذمتها، رغم قبح مظهر الزوج وقذارة أسنانه وفضاعة رائحة عرقه وفداحة سِمنته وثِقَلِ وزنه وانتفاخ كرشه، وخَرَسُه عن أى كلمة حب أو ملاطفة أو غزل، وصولاً إلى شعورها بالوحدة والملل والحبس والحرمان! ورغم محاولاتها الإفلات من براثن الانحدار واللاحق بركب الأخوات لتتحصن بحصن نَقَى مُلتزم وتنشغل بالدعوة وحُضور دروس العلم، إلا أنها كانت تضعف من آن لآخر، حتى انهارت تحت ضغط الرغبة الشديدة فى أن ترشف من لذة الحب الإلكتروني اللذيذ، لتستجير من رمضاء الإهمال والحرمان بنار الخيانة الإلكترونية الأخف وطأة من وجهة نظرها! لذا لم يُضَيِّع المهندس الشاب أو الذئب المحترف وقتاً وسرعان ما أغرقها فى بحار عسلة الوهمية وأسكرها بخمرة سحره الشيطانية حتى ناءت الاتصالات التليفونية بحمل إغوائه الثقيل فانفتحت الكاميرات أكثر من ذى قبل وانكشفت الأستار وهطلت أمطار الإثارة واهتزت أرض الشهوة وسرى خدر اللذة وهبط ظلام الغفلة، ليلتقط المُتربص الغادر الصور ويُشهرها سلاحاً فى وجهها ساعة الصحوة! حتى إذا انتبهت الغافلة وأفاقت وتوقفت وندمت وتابت لربها وأنابت، إذا بها تجد التهديد والابتزاز فى انتظارها بعد أن جن جنون الذئب لامتناعها!

أشعلتى نار الغضب فى قلبى يا نهلة، وإن لم أفهم لماذا طأبت  
منكِ التحدث إليه!؟

- هى تقول إن صورتى على الفيس بوك كسيدة محترمة

وشكلى شخصية مهمة وبالتالي من السهل أن أتوجه بالحديث إلى  
هذا الشاب الغير المستهتر بأعراض الناس، مُهددة مُتوعة إياه  
إذا لم يكف فوراً عن مُطاردتها فسأبلغ زوجى اللواء بمباحث أمن  
الدولة ليتخذ معه اللازم.. آه والله هى فاكهه كده!

يبدو أنها لم تسمع بهدم أمن الدولة على رؤوس ضباطه، فإن كنتِ  
فاعلة فلنُهدديه بأن زوجك مسئول كبير فى جهة سيادية مثلاً..

- لا هذا ولا ذاك، كل ما فعلته أننى واسيتها وهذأت من

روعها وشددت من أزرها وذكرتها بأن كل بنى آدم خطأ وخير  
الخطائين التوابون وقلت لها الحمد لله أنكِ كُنْتِ يقظة وعاقلة، وما  
أن اقترحت عليها أن تُبادر هى بشجاعة وصدق وتُبطل كيد هذا  
المُجرم بالألا تخشى تهديده وابتزازه وتصارح زوجها وتعرض عليه  
الأمر بهدوء وتحتمى به لعله يستيقظ من غفلته هو الآخر ويُدرك  
خطورة إهماله لزوجته وأطفاله ويبدءاً معاً صفحة جديدة ملؤها  
الحب والتفاهم بعد أن يتعاونوا على هزيمة هذا الذئب الدخيل..

ولم أنته من كلامى حتى أخذت تصرخ وتولول:

- حرام عليكى يا دكتورة نهلة، رينا سترنى وعايزانى أفصح  
نفسى، حضرتك عايضة جوزى يقتلنى، عايضة تخربى بيتى..  
وغادرت غاضبة باكية تهذى بتلك الكلمات!

مش ممكن طبعا..

- هو إيه اللى مش ممكن طبعا!

مش ممكن زوج شرقي يقبل أو يتحمل أن تُصارحه زوجته حتى  
بأقل من هذا، فلأن تواصل خداعه فى السر وتبقى معه وهى  
تحضن البُغض له والنفور منه فى فراشه، فذلك أهون عليه وعليها  
من أن يتصارحا ويتصالحا ويعذر كل منهما الآخر ويصفح عن  
زلته ويكفلا مشوارهما على الصدق والتفاهم ، فمجتمعنا لا يمقت  
شيئا فى الوجود مثل المصارحة وتقبل الخطأ والمسامحة! المهم..  
اتفضلى قولى الحالة الأخيرة قبل ما الشمس تطلع والولاد يصحو  
ويجرونا على البحر..

- دى حالة تخص والدة زميلة لنا فى الكلية..

والدتها ولا أختها!؟



والدتها..

والدتها.. بعد أن تخطت الخمسين بثلاث سنوات وأصبحت مديرا عاما بوزارة الثقافة وجدّة لثلاثة أحفاد هم أطفال ابنتها الكبرى التى هى زميلتنا، وفرغ عليها البيت إلا من الابنة الأصغر التى طال إنتظار الفرح بها، ومن زوج ضابط متقاعد مهجور منذ أكثر من أربعة عشر سنة إثر خصام مبین، هى فى غرفتها فى أقصى غرب الشقة التى تجرى فيها الخيل، وهو فى غرفته فى أقصى شرقها! أربعة عشر سنة لا يكلم أحدهما الآخر ولا يُنظر إليه ولا يؤاكله أو يُشاربه أو يُعاشره، فلا يضطرهما إلى الاجتماع بين جدران هذا البيت إلا انتظار تزويج الابنة المُتبقية حتى لا يتسبب انفصالهما فى المساس بشكل الأسرة الاجتماعى مما قد يُقلل من فرص تقدّم الخُطاب لها! لم يَنَمَاسًا طوال هذه السنوات إلا فى تلك المعارك الشبيهة بالمصارعة الحرة التى تتدلع بينهما على فترات مُتباعدة كلما انفجر البخار المُتجمع فى قدر البُغض والغضب، وربما تكون تلك هى الفرصة الوحيدة التى تُغيّر فيها هذه البائسة جواً بعيدا عن بيت النكد هذا، عندما ينقلونها إلى المستشفى وقد أضحت كعلبة التونة المُفتتة من آثار ضرب حضرة الضابط فيها، أو من جراء محاولة من محاولاتها الفاشلة للانتحار! ظلت طوال هذه السنوات على تلك الحالة، تُعضها بُرودة الوحدة، وتقرمها مرارة الخيبة، ويقهرها قَوات العمر، وهى ترى إهاب أنوثتها يَتَغضن، وثياب مُتعتها تَبلى!

حتى صادفت على الفيس بوك رجلا مُثقفا خَلوقا مُهذبا، شرحت صورته صدرها، وأسعدت إطلالته قلبها، وأعدت كلماته الدفاء والليونة فى أوصالها الباردة المُتبيسة، وضخت الدماء فى عروقها المُتصلبة، وبيث الروح فى شبابها المُحتضر.. ليندفع ماردُ الرغبة من قُممُ الجِردان وتُصبح وكأن أحدا قد أوصل قلبها بمصدر للتيار الكهربائي، فلم يعد لها إهتمام إلا به، ولا تفكير إلا فيه، ولا حديث إلا معه! حتى نزعت ثياب الجِدّة المنشغلة المهمومة بأحفادها، ولبست ثياب العاشقة المُولعة المهووسة بمحبوبها، وعرفت السهر حتى الصباح غارقة فى الفرح بمتابعته والتواصل معه، بعد أن كانت تنام من العشاء غارقة فى الحزن والغیظ من زوج متخاصمة معه، ولم يعد لها شاغل سوى تتبع حبيبها على الإنترنت وتحرى أوقات ظهوره، والاشترك فى كل ما يكون مشاركا فيه، والتعليق على كل ما يكتب، وإبداء الإعجاب بكل ما يختار من أخبار أو أغان أو أشعار! ويوم حصلت على رقم هاتفه كانت وكأنها عثرت على أنبوب يمدّها بالأكسجين اللازم لإبقائها على قيد الحياة، فتكلمه فى الصباح لتستأنس بذوقه فى اختيار ما تلبس، ولتتزود منه بجرعة تفاعل باليوم، ودفقة أمل فى الغد، وابتسامة فرح للعمر، وباقية ورد تُقبل بها على الحياة من جديد.. وتختلق الأسباب فى المساء، لتنام على كلماته الحنونة الدافئة التى تُذهب هموم وحدتها وتُبدد وحشه فراشها!

بان عليها هوس العشق المتأخر حتى لفتت أنظار كل من حولها  
بمرحها الدائم، ونشاطها الزائد، وشيائها المتألقة وحديثها  
المتواصل عن الأمل والتفاؤل والسعادة والحب، وكأنها صغرت  
عشرين سنة، ولم يعد لها سيرة مع أمها وبناتها إلا عن هذا الرجل  
الرقيق اللطيف الذى أحبته والذى تتمنى أن يُحبها كما أحبته،  
والذى طالما تمننت مثله شريكا لحياتها، وكيف كانت حياتها لو  
كان كل هذا الجمال والحنان والحب فيها! لماذا لم تستمع إلى  
نصيحة المرحوم والدها وترفض هذا الضابط المغرور المتعطر  
عديم الإنسانية ضحل الثقافة والذوق؟! كم كانت بلهاء مُغفلة  
عندما غرّتها عضلاته المفتولة وصدرة العريض وبريق النجمات  
النحاسية على كتفيه، وكلما نصحها أبوها أن تترىث فى خطوة  
الزفاف حتى تتسجم معه، تردّ بأن الزواج سوف يُعمق تعارفهما!  
بالطبع لم تجرؤ على القول بأنها كانت مُتلهفة على العوص فى  
هذا الصدر العريض الخشن، وأنها لا تطيق صبرا على إغراء هذا  
البنيان القوى الذى تتوق للتمرغ فى أرجائه حتى يُغشى عليها من  
المتعة! فكم سهرت الليالى فى مراقبتها تحلم برجل مفتول  
العضلات كأبيها، يعتصرها بين ساعديه القويين ويُغيبها فى  
حُضنه البَراح ويظل بها حتى يَفْئِكَ برغبتها العارمة المكبوتة فَنكاً،  
فمع أنها تذوب فى الكلمات الرومانسية الجميلة وتتأثر بها جدا  
ولو أنتها من ميكانيكى سيارتها..

وتطير فرحا بالهدايا الرقيقة فى المناسبات، إلا أن إغراء العضلات واستعجال التمتع بعنفوان الفُحولة قد أذهلها عما عداها فلم تَلحظ ثَقَلِ ظِلُه ورخامة طَبْعِه وغلّاسة سِحنته، لم تلاحظ أنه لم يتغزل فى عينيها يوما، مع أن عينيها السوداوين الواسعتين هما أجمل ما فيها! أين هذا اللوح من حبيبها الأستاذ الذى ما أن رأى عينيها لأول مرة فى صورة أهدته إياها حتى كتب فيهما غزلا رقيقا جميلا طير عقلها فلم تتم ليلتها وظلت طوال اليوم تبتسم لكل من تلقاه حتى لشُرطى المرور! تتذكر كم كانت رومانسية رقيقة حالمة تقرا لنزار قبانى وإيليا وجبران وتهيم بأَم كلثوم وفايزة ونجاة وعبد الحليم، نعم كانت تحلم برجل قوى عملاق كأبيها، لكن على أن يأخذها برفق ويعاملها برقة ولين ويقطر فى أذنيها رحيقا من كلمات الحب والغزل، لكن عندما راحت سَكْرَة تَلهُفُها على اجتياح الفُحولة الكاسح، وجاءتها الفكرة عن توقها للحياة فى حب وانسجام وتناغم دائم، أفاقت على الفظاظة والقسوة يتجسدان وهى تُفترش بعُنف مُجتاح مُتجهم صامت يعتبرها مُجَرَّدَ كائن بشرى يُستخدم فى تفريغ الطاقة الجنسية، وما عليها إلا أن تسمع وتطيع وتتفد الأوامر والنواهى دون أن ترد أو تشارك أو تتناقش! تقف أمام صورة كبيرة للمرحوم والدها، معلقة فى إطار أسود كبير على الحائط فى صدارة بيت الأسرة، تخاطبه نادمة: يا ليتنى سمعت نصيحتك يا أبى، تلتفت لأُمها المسنة صارخة:

ماذا بنفسى فعلت يا أمى.. كيف تركتيني أقتل نفسى وأدفن شبابى! تتنقل بين بناتها: قولوا لى يا بنات ماذا فعلت أمكم بنفسها وبناتها؟ لماذا صبرت على هذا الوغد كل هذه السنين العجاف! التزويجك يا ريهام؟ ها أنتى تزوجتى ولكن وأنتى مُحملة بكل الآثار السلبية لخلافى المرير وكُرهى العميق لأبيكى الطاغية، أبوكى الذى كَرَّهك فى الزواج وفى صنف الرجال فلم تستطعى التعايش مع زوجك ولا التفاهم معه بسبب عُقدتك من تجربة أبيك وأمك! قولى لى يا ريهام: لماذا ضيعت عُمرى وشبابى مع هذا الوحش الكاسر؟ التزويج أختك سَمَر؟ وهل تزوجت سمر؟ ها هى تسقط فريسة لجيش من الأمراض: القولون العصبى والأكزيما وحبوب الوجه وتلف الأسنان وآلام الدورة الشهرية والصداع النصفى والاكْتئاب وأخيرا السِمنة المُفرطة، جراء المناخ الهمجى الذى صنعه أبوكم المُتعجرف المُتحجر، والذى فَتَّحَتْ سَمَر عينيها عليه وعلى صراخ مشاجراته معى، كما فتحت عينيها على صوت عظامى التى يسحقها بجسمه الثقيل المُجنزر كالدبابة! لقد ضيعت نفسى وأهدرت أنوثتى فلم أذهب إلى الكوافير من أربعة عشر سنة، ولم أشتري لانجيرى أو ألبس منها شيئا، ولم يمسنى بشرا، حتى صرت وكأنى حجرا! وضيعت صحتى وضيعت طفولتك وشبابك وصحتك، والوغد الجبلة عديم الإحساس يعيش سالما غانما معافا ويزداد صحة على صحته وشبابا على شبابه..

ويصفر ويغنى فى الدخول وفى الخروج ولا يحمل هم شئ، ولكن هيهات أن أسكت أو أستسلم بعد اليوم فما تزال الفرصة سانحة أمامى لأصحح هذا كله وأبدا من جديد..

تبدأ من جديد! كيف؟!

- لا تتدهش، فقد أخبرتهم بإصرار وثبات بأنها تشعر أن

الأستاذ قد بدأ يحبها وأنها ستطلب منه أن يلتقيا لثُعرَفَه على أسرتها، وأنها سوف تطلب الطلاق من زوجها لتتحرر من سجنه وتتزوج من حبيبها الإنسان الجميل الراقى، وظلت تردد هذا الكلام بثقة مُطلقة وإلحاح تام.. أن الأستاذ يُحبها وأنها ستتحرر من سجن زوجها الطاغية لتتزوج من حبيبها.. هذا ما ظلت تردده للأسف فى كل زيارة يزورونها فى المصححة النفسية التى أُودعت بها لتلقى العلاج!

ما أفساكي يا نهلة.. ما كان يجب أن تكسرى قلبى بمثل هذه الحكاية ونحن فى أجازة وراحة..

- هذه هى الحياة يا حبيبي الرقيق، آلاف الجدران الصلدة المُصمتة تُخفى خلفها ملايين الشظايا لقلوب تفجرت كمدا وقهرا، وطواها النسيان!

أعرف يا نهلة والله، بالتأكيد هناك أفسى وأصعب من هذا ولكن ليس على مستوى النساء فقط، بل هناك كثير من الرجال أيضا يعافرون مع زوجاتهم بقلوب مُحطمة، والكل يقبض على الجمر، بحجة الأولاد والشكل الاجتماعي والخوف من كلام الناس!

إلى الإفطار..

إلى الإفطار يا شطار .. عُمر .. مارية..

- بابى..

أؤمر يا عُمر بيه.. بس صباح النور الأول..

- طبعا صباح الخير.. أجب لو سمحت: لماذا سُميت العين

السُخنة بهذا الاسم!؟

أُكيد لأنها البؤرة الساخنة للفساد والنهب فى مصر الغلبانة، فالفساد  
فى بلدنا سخن وملهلب يا عُمر..

- صحيح يا بابى.. هو ده سبب تسميتها بالعين السُخنة،

ولا انت بتتريق!؟

- طبعا يا مارية بابى بيتريق، العين السُخنة سُميت بهذا

الاسم نظراً لوجود الينابيع الكبريتية الساخنة التي تستخدم

للاستشفاء بالقرب من جبل عتاقة القابع هناك، والذي

يرتفع ثمانمائة مترا عن سطح البحر، وأيضا لأنها مَصيف

معتدل طوال العام.. لكن بتسأل ليه يا عُمر!؟

- يعنى.. أصلى كنت فاكرهم سموها العين السُخنة من

سخونة حوارت حضرتك انتى وبابى من ساعة ما وصلنا،

حتى فى الأجازة الندوات شغالة، مش عارف امتى

هتتكلموا معنا!

معاك حق يا عُمر، إحنا فعلا نسينا نفسنا فى الكلام..

بس سماح المرة دى لحد ما اخلص الرواية الجديدة لأن حواراتنا دى مكون أساسى في بنائها، وعلشان أرضيك هخليك تسوق يا سيدى واحنا راجعين.. يلاً اتفضلوا اشبعوا من اصحابكم ومن اللعب والبحر لحد الغدا لأننا هنتعدى ونمشى على طول.

- هيه يا بابى.. مش هتخلينى أسوق زى ما وعدتتى؟

حاضر بس نعدى البوابات.. شوفى معاكى فكة يا دكتور..

- مش دى طرق مصر يا بابى؟ ليه كل ما نمشى عليها

ندفع فلوس! هو ده موجود فى الدول الثانية؟

- أيوا يا بابى.. وليه بندخل من بوابات ونطلع من بوابات،

مش خلاص الثورة قامت وبقينا أحرار!

اللهم اخزيك يا شيطان، وبعدين مع ولادك دول وأسئلتهم يا دكتور  
نهلة..

- مش ولادى بس اللى بيسألوا، من بعد الثورة كل الشباب

فى مصر لم يعد يشغلهم إلا الأسئلة، فاتفضل جاوب على

أسئلتهم أحسن لك بدل ما يخلعوك.. هههههه..

حاضر، أما عن الطُرق التى نمشى عليها فهى ليست طرق مصر

للأسف ولكنها طرق السادة الجنرالات، يسمحون للشغيلة من

أمثالنا أن نمر عليها بمقابل، وأما البوابات فهى لتذكيرنا أننا تحت

السيطرة وأنا ندخل ونخرج بإرادة الجنرال الإله..

الذى لو شاء لسد فى وجوهنا كل الأبواب وربما أفنانا من الوجود،  
فنحن نعيش على هذه الأرض ونعمل ونتحرك بالضبط كشغالات  
النحل فى مملكة الجنرالات!

- يا ربي، مش ممكن! اللي يقرا كلامك فى الرومانسية  
والحب ويسمع آرائك فى الفكر والفن، مش ممكن يتخيل  
آرائك الراديكالية الحادة جدا فى السياسة، الولاد مش  
هيستوعبوا دا يا أخی، بالعكس انت كدا هتثير تساؤلاتهم  
أكثر، وأنا اللي قاعدة فى وشهم فى الآخر!

والله أنا شايف ان هى دى الحقيقة التى تتأكد مع الأيام، ومع ذلك  
اتفضلى ردى انتى عليهم.

- يا ولاد.. احنا بندفع الرسوم الرمزية دى علشان صيانة  
الطريق والمحافظة عليه، والبوابات دى مجرد تحديد لبداية  
الطريق ونهايته..

بداية الطريق ونهايته.. كانت هذه هى آخر كلمات علقته بأذنى  
قبل أن أغيب سارحا عن نهلة ونقاشها الهادئ مع عُمر ومارية،  
لا أدري لماذا شعرت فجأة برغبة فى البكاء عندما استقبلنا مشارف  
القاهرة.. خائفون، بعد أن بددت العصا العتيقة الأمن من  
النفوس.. قلقون، بعد أن خنقوا الطمأنينة فى القلوب.. مُختنقون،  
بعد أن سحبوا حتى الأكسجين من الهواء! ندخل إلى القاهرة ونحن  
والطريق والأشجار والعصافير والليل والقمر يَلْفُنَا شعورٌ باليتم..

على موائد اللثام.. اللثام الذين لم يُوعظهم صبر الشعب على فداحة ظلمهم، ولم تَرُدعهم ثورة الشعب على دمامة وجوهم! نعود إلى القاهرة، يَصْحَبُنَا الليل الذى يدخلها متثاقلا يتلأأ لِيَسْتَلِمَ السَّهْرَ على آلامها وآمالها من نهار انقطعت أنفاسه فى ملاحقة أهوالها، كما ستنقطع أنفاس الليل من اللهاث هربا من بجاجة فُجارها! حتى القمر يَتَكَوَّرُ حزينًا فى رُكنٍ من سَمَاءٍ مُعْبِرَةٍ مُكَدِّرِهِ مُزْدَحِمَةٍ بسحابٍ دعوات المظلومين، وخيبات أمل الثائرين، وعتو وجبروت المتآمرين! أيتها القاهرة، يا بوابة وطن تَنُنُّ أرضه وسماؤه ومياهه وهواؤه ونسأؤه ورجاله وبناته وشبابه وأطفاله وحاضره ومستقبله وأحلامه تحت وطأة الاستبداد.. حتى متى تعيشين صراعا مع الأحران؟ حتى متى تسيرين بمحاذاة القهر والموت؟ فلا أنتِ تموتين ولا أنتِ تعرفين طعم الحياة! بالله عليكى هل فقدتى الشعور بالألم؟ لماذا يأتى ربيعك قلقا خائفا ويرحل هاربا مسرعا؟ لماذا يهجم صيفك خانقا بصهد كثقل ورخامة البيادات؟ حتى خَرِيْفُكَ طافح بألوان ملابسهم الكالحة، وشتاؤك قارص من برودة أعصابهم الجليدية! أيتها القاهرة، أنتى قاهرة فعلا أم مقهورة؟ وقاهرة لمن يا تُرى! الأبنائك الذين ذابت أكبادهم وسالت دماؤهم الزكية ليروك حرة أبية، وليجعلوا منك قلعة للكرامة والعدل والحرية، لتكونى قاهرة لكل استبداد وفساد وتخلف وظلم، فأبييتِ إلا أن تقفى متفرجة على دمائهم تُراق، وكرامتهم تُداس، وأعراضهم تُنتهك..

وجلادهم لا يقدر عليه أحد! أيتها القاهرة، مالى أراك تائهة بين  
أرجل المتآمرين، مُنقسمة فى مُواجهتهم، مُنكمشة أمام جبروتهم،  
خائفة من إرهابهم، وكأن شبابك لم يثوروا! شبابك بدأوا الطريق يا  
قاهرة فمتى تُوصلهم إلى نهايته؟ أبناؤك سددوا الرسوم من أعلى  
الدماء وأطهرها يا قاهرة، فمتى تسمحى لهم بالمرور إلى الحرية  
والكرامة؟ متى؟!

- حمدا لله على السلامة يا حبي.. هو إيه اللي متى متى؟!!

الله يسلمك.. معلى سرحت شوية..

- بيسألونى الأولاد عن حلاوة المولد النبوى.. قلت لهم ان  
حالة بابا المزاجية لا تتبأ بأية حلاوة.. دا كتر خيره إنه  
فسحنا..

طبعا.. حلاوة إيه وأولادنا اللي اندبحوا غدرا فى بورسعيد لسه دمهم  
أحمر!

میں ..

مين على التليفون يا نهلة؟

- دكتور نزار..

الله يسلمك يا دكتور.. ميرسي خالص

وأخبار إيناس وأسماء ومازن إيه

نتمنى تشرفونا والله..

أكيد؟ وعد يعنى؟

خلاص فانتظاركم..

معاك يا دكتور اتفضل.

أهلا حبيبي.. الله يسلمك، هو انا لحقت!

دى كانت كلها مناقشات للرواية

عيب.. والله ما قطعنا فروتك

كفاية اللي عمله فيك الشيخ يوم الجمعة

أيوا يا سيدي النهاردة وبكرة المكتب أجازة

كل سنة وانت طيب

أفضالك ازاي، يعنى مش نطل حتى على التكميية شوية

الناس زمانهم زعلانين

نسهر معاهم شوية الليلة دى، ونكمل كلامنا بعدين براحتنا

خلص عيادتك وكلمنى.

- إيه النور ده، حمدا لله على السلامة، التَّعْبِيَّةُ كان ناقصها  
حاجة من غيرك والله يا سيدي..

دا نورك يا حاج توفيق ونور الدكتور شوقى والأستاذ ضياء وطبعا  
دكتور نزار، كل سنة وحضراتكم جميعا بخير، وانت كمان يا نيازى  
كل سنة وانت طيب، لكن مش شايف الأستاذ فخر يعنى، خيرا..

- فخر اتصل واعتذر عن الحضور الليلة عنده واجب عزا،  
طولة العمر لك.. هيه.. يارب تكون انبسطت فى العين  
السخنة..

ما انت عارف يا حاج توفيق انى كنت مضطر أروح علشان  
خاطر الأولاد، رغم حزنى الشديد على الأوضاع وتأثرى من توالى  
الأحداث المأساوية والانتكاسات الصادمة، إلا إنى برجع وأقول  
الأولاد ملهمش ذنب ومفيش داعى للضغط عليهم، لكن المشوار  
قلب عليا المواجه والله..

- المواجه! وأى مواجه.. أهو الجماعة فى مجلس الشعب

بيحاولوا من خلال لجنة التحقيق أو تقصى الحقائق اللي بعثوها  
بورسعيد، إنهم يوصلوا لأى خيط للجناة، ولكن يبدو ان مهمتهم  
شبه مُستحيلة، وفيه جهات بتسعى لعرقلتها من البداية!

- عرقلتها بس يا ضياء! طيب إيه رأيك إن الدور فى الدبح  
هيكون على مجلس الشعب نفسه، ولن يُنقذه من أيديهم أحد، ولا  
شعب ولا ثوار ولا بطيخ..

- معقول الكلام ده يا دكتور شوقى.. طب ازاي؟ انت ناسي  
ان ده أول مجلس شعب مُنتخب من الشعب انتخاب حر نزيه شهد  
به العدو قبل الصديق، والناس وقفت فى الطوابير ساعات من  
الصبح لحد نُص الليل علشان يَنجَحُوا أول خطوة فى الديموقراطية  
اللى بيحلموا بيها واللى قدموا الشهداء فى سبيلها!

- والله انت طيب يا دكتور نزار.. أول مجلس منتخب إيه  
اللى بتتكلم عنه بعد ما العصاية دست فيه أفاعيها السامة من  
فلول وأمنجية وشيوعيين ودقون عيرة وطائفيين وانتهازيين ممن هم  
كفيلون بهدم المجلس الموقر على رؤوس الإخوان والثوار ودفنهم  
تحتة كمان هما وحلمهم الديموقراطى إلى الأبد، وجعل الشعب  
يلعن اليوم الذى خاض فيه هذه التجربة.

بصراحة يا جماعة أنا من البداية لم أكن موافقا على فتح الإخوان  
صدرهم بهذا الشكل فى انتخابات مجلس الشعب، لدرجة وضعها  
على رأس الأولويات والتعامل معها باعتبارها واجب الوقت..

لدرجة استخفافهم بشق الصف الثورى من أجلها وإصرارهم على الاستحواذ على الأغلبية ورئاسة المجلس.. كنت حاسس إنهم بيُستدرجوا إلى فخ خطير للأسف.

- ويا ليتة يكون خطيرا عليهم وحدهم، بل على الثورة والبلد ويمكن الأمة والمنطقة كلها بدون مبالغة، ويبدو أننا سننظر فى هذه الدوامة حتى يكف الإخوان عن اندفاعهم ونرجسييتهم وتمثلهم الخاطئ لقولة طرفة بن العبد:

إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا مَنْ فَتَىٰ خِلْتُ أَنَّنِي

عُنَيْتُ فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَلَّدِ

فهى لا تعنى إطلاقا تصدر المشهد واقتحام النيران عمال على بطال، واعتبار أنفسهم أنهم فقط من يصلحون لكل شئ والآخرين قاصرون! لكن دعكم من هذه السيرة الآن، على الأقل علشان الضغط تاعبنى والمدام الله يشفيها سهرتتى جنبها للصبح..

المشاريب يا نيازى..

والله الواد نيازى دا جدع وابن حلال، وانا أقول يارب أنا ناسي إيه.. اتفضلوا حلوة المولد، كل سنة وانتوا طيبين..

حلاوة! طب دا أنا ما رضيتش أجيب للأولاد حلاوة السنة دى حدادا على المذبحة.. المذبحة؟! قصدى المذابح.. بما ان المذابح أصبحت زى المواسم!

- وليه تحرمهم وتتكد عليهم.. هات لولادك وللاصطاف اللى

عندك فى الشركة حلاوة المولد النبوى زى ما اتعودت كل سنة، بالغیظة فى القتلة ولاد الحرام، ولأ احنا انكتب علينا نصنا يندبحوا والنص الباقي يموتوا كمدا! لكن ما قولتليش يا دكتور نزار، إيه رأيك فى خطبة الجمعة؟ كنت شايفك بتضحك بعدها وعايذ تقول حاجة..

- خطبة الجمعة! ما لها خطبة الجمعة؟! كان فيها إيه يا حاج توفيق؟

- كان فيها أهوال يا دكتور شوقى، كانت عايزاك بصراحة..

- سبحان الله، الخطبة دى بالذات فاتتنا أنا والدكتور شوقى، كنا بنجيب مسز كارول من المطار.. إيه الحكاية؟!

- اتفضل يا سيدي والمهندس ضياء كمان عايز يعرف الحكاية.

الحكاية..

الحكاية ان خطيب الجمعة أراد على ما يبدو أن يُطلق صيحة تحذير من خطورة شيوخ العلاقات بين الجنسين خارج الاطار المجتمعي الشرعى وخاصة بين المتزوجين عبر مواقع التواصل الإجتماعى على الإنترنت..

بيتهياً لى يا دكتور نزار ان الشيخ تناول الموضوع من جانبه الدينى والأخلاقى بشكل اساسى، من حيث الحلال والحرام والعيب يعنى، لكننى أعتقد أن الموضوع أعقد وأعمق من هذا بكثير، فهذا الموضوع تتداخل فيه عوامل نفسية واجتماعية، وربما سياسية أيضا..

- دا صحيح، تناول الشيخ للمشكلة كان فعلا من زاوية الدين والأخلاق بقدر كبير، فلتحدثنا يا دكتور شوقى عن الجوانب أو الأبعاد الأخرى إذاً..
- بالنسبة للبعد السياسى فسبق وأوضحت ولن أمل من

تكرار التأكيد على مدى مسئولية المناخ السياسى السلبى أو الاستبدادى عن كل البلاوى والمشاكل التى تُصيب المجتمع وتطال سلوك أفرادها، وخصوصا فيما يتعلق بالجانب الخلقى والعاطفى والجنسى، فالاستبداد السياسى بخنقه للحريات ووأده للديموقراطية..

فهو بذلك يُكسر سلوكيات الجبن والخوف والكذب والخيانة والغش، ويفتح روافداً للرغبة السرية ويساعد على شيوع ظاهرة العلاقات الموازية بين الجنسين في الواقع أو على السوشيال ميديا..

- بس يا دكتور شوقى، مفيش دولة فى العالم خالية من السلوكيات الغربية والشاذة بين أفرادها، مهما بلغت من حرية وديموقراطية!

- دا ممكن يا حاج توفيق، ولكنه لا يرقى إلى مستوى

الظاهرة المنتشرة أو الآفة المتمكنة، وإنما يظهر هذا السلوك فى قطاعات ذات تكوين ثقافى وأخلاقى يسمح لهم بذلك، أما هنا فنحن بصدد ظاهرة بدأت تطال نُخب اجتماعية وعلمية وثقافية، سيدات ناضجات فى مكانة مرموقة ماديا واجتماعيا وبعضهن متزوجات ومُعظمهن مُتدينات، يتواصلن مع من يصغرن سنا أو يقل عنهن مكانة، ويدخلن معهم فى ممارسات مراهقة وشاذة ومهينة! ورجال مُحترمون، مُثقفون، وربما مُتدينون، ومعظمهم متزوجون أيضاً، يدخلون فى علاقات خطيرة وبالغة الجراً مع سيدات متزوجات أو مطلقات أو أرامل بل حتى آنسات، ويتصرفون بأشد الغرائز بدائية! وده ممكن يكون فى جزء منه رد فعل لا إرادى للشعور بالانسحاق تحت أقدام الديكتاتورية وما تمارسه من انتهاك يومى للكرامة بين تروس دولاب..

دولتها المُستبدة المُسيطرة المُتحكمة المُتوحشة، التي تُرسخ لدى الناس مشاعر الخداع والخوف والجبن وتدفعهم للتعامل مع مشاكلهم من وراء جُدُر! بالإضافة إلى هذا الخليط الجهنمي من الفهم الخاطئ للدين، والتربية القمعية في الأسرة التي لا تعرف سوى المنع والكبت، والموروثات والتقاليد والعادات الفاسدة، سواء فيما يتعلق بالحب والزواج والطلاق أو في الاضطراب والارتباك في فهم العلاقة بين الجنسين بوجه عام! وكل هذا في كفة والبعد النفسي لاسيما المتعلق منه بالبرمجة في البدايات أو أسلوب التنشأة منذ الطفولة في كفة أخرى، فالتصرفات اللامنطقية والعلاقات العارضة التي يُقدم عليها البالغون تحت ضغط ما، تكون في الغالب ناتجة عن خلل في نظام البرمجة التي تأسس عليها البناء العقلي والفكري والوجداني والسلوكي للفرد من بداياته الأولى، ولعل السر يكمن في جزء كامن في دماغنا هو عبارة عن نتوء لوزي موجود في وسط الدماغ يسمى الأميغدالا (amygdala) وهذا الجزء هو المسؤول عن تخزين الانفعالات والعواطف أو لنقل أنه يعتبر مُستودعا للشحن العاطفي الذي تُخزن فيه كل صغيرة وكبيرة في حياتنا منذ أن تُتنفخ فينا الروح، بالصوت والصورة والألوان والروائح وكافة عناصر الزمان والمكان، ليُعاد إطلاقها وبنها في أي وقت من عُمرنا بسبب حادث صادف انفعالا قابعا مخزونا فيها!

علما بأننا نُولد وهذه الأُمجدالا مُكتملة لدينا، مما يعني أن نُموًا العاطفي يكون قد تشكل مبكرا جدا! الخُلاصة وبدون الدخول فى تفصيلات علمية، هى أن خبراتنا الانفعالية التى تنمو غالبا بمعزل عن قيود الثقافة والكلمات، تترك بصماتها منذ الطفولة وحتى آخر العمر مُختبئة فى اللاشعور فى شكل تجارب غير ناضجة وذكريات عاطفية غير مُكتملة تقبع فى الأُمجدالا كمقاطع صامته دون كلمات، كمقاطع الفيديو الصامته، لأنها خُزنت أصلا فى وقت كنا فيه لم نزل أطفالا لم نعرف الكلمات التى تُعبر عن خبراتنا فى تلك المرحلة المبكرة من العمر، وعندما تُثار تلك الذكريات فى حياتنا نجدُ أن كُلَ الأفكار المنطقية والعقلانية قد بدأت فى الاختفاء فى حومة انفعالاتنا، فننتصرف كالذي تتخبطه الشياطين من المس، وفي مُعظم الأحيان يكون شُعورنا مُتسِمًا بالحيرة والارتباك وشاذا وغريبا ومُبالغا فيه، ومُناقضا لما نُبديه من ثقافة ومُثل ومبادئ! لذا تكون الخصوصية التى تُوفرها مواقع التواصل الاجتماعى هى البيئة المثالية للتعبير عن حالاتنا الانفعالية الجامحة المُنفلته التى فجرتها إشارة من الأُمجدالا نكأت جُرحا أو هيجت ذكرى فدفعتنا إلى سلوك اللامنطقى واللامعقول!

- للدرجة دى يا دكتور شوقى مخزون انفعالاتنا وتجارينا المُتراكم فى هذه الأُمجدالا من الممكن أن يطفو..

على السطح في ظروف معينة ويدفعنا لإتيان تصرفات  
غريبة أو شاذة؟!

- بالضبط يا نزار بيه، ودعنى أضرب لحضراتكم مثالا يدل

على ذلك، ومع أنه حدث في عالم الواقع الحقيقي وليس في عالم  
الإنترنت الافتراضى، إلا أنهما يتشابهان في عنصر التخفى  
والغربة والشذوذ عن المعقول والخروج عن المألوف! وهذا المثال  
الحقيقي الذى عايشته بنفسى، ربما يُجسد فكرة أن الصُّور  
والانفعالات أو التجارب والذكريات المخزنة فى الأُمجدالا منذ  
البدايات عندما تطفو على السطح فإنها غالبا ما تكتسح فى  
طريقها كل القيم والعوائق ما لم تعترضها أو تعطل انطلاقها مكابح  
تربوية أو دينية أو أخلاقية قوية وحقيقية وكافية!

كَانَ لِي صَدِيقٌ<sup>٢٤</sup> ..

كان لى صديق وزميل دراسة يعيش قصة حب طائشة وعنيفة مع فتاة من أشد جارائنا جمالا وعُفوانا حتى بلغت هذه العلاقة حدا من الانفلات جعل التقاءهما فى شقته التى خصصها له والده لدراسته بالإسكندرية أمرا عاديا! على أساس أنهما كانا يعتبران مسألة زواجهما مَحسُومة، بالنسبة لهما على الأقل، إلا أن الرياح أتت بما لا تشتهى السفن وعندما تقدم لها رسميا فوجئ بأهلها وقد غيروا موقفهم منه ويرفضونه بشدة ودون إبداء الأسباب، بل وأصروا أن يزوجوها، ولو عُنوة، من أحد أقاربها الأثرياء وقد كان! وتحت وطأة الطعنة القاتلة التى خيبت آماله غادر صديقى هذا إلى أوروبا نهائيا قاطعا علاقته بمحبوبته وبأهلها وبأهله وبكل شئ فى مصر، وبعد خمسة وعشرين سنة عاد إلى مصر ليتسلم عقارا ورثه عن أبيه، وبينما كان يَمْرُ بسيارته بالقرب من إحدى كنائس مصر الجديدة إذا به يجدها بشحمها ولحمها لم تنزل تتألق رونقا وشبابا وجمالا وتبدو عليها أمارات الثراء، خارجة بصحبة إحدى السيدات من حفل زواج بالكنيسة.. ما إن لمحته وهو يندفع من سيارته نحوها حتى ارتفع صوتها:

- مش معقول! مش ممكن! أنا مش قادرة أستوعب ولا  
أصدق..

هو الآخر لم يصدق عيناه حتى فوجئ بها ترتمي فى حضنه، لتبدأ الأמידالاً فى إعادة إنتاج المشاهد المٌخزنة المٌتراكمة والغير مُكتملة بكل تفاصيلها بالضبط كما كانت تحدث قبل صدمة الفراق، إيذانا بإعادة تكرارها واستكمالها! فتتصل بسائقها المنتظر خلف الكنيسة لتأمره بالانصراف لأنها ستبقى بصحبة مدام دانييلا وعندما تحتاجه ستتصل به ليعود لاصطحابها، وتُمسك بيد صاحبنا وكأنهما عادا لأيام الجامعة، وتتعلق بعينيها بعينيه بلهفة تحمل فى طياتها ألف سؤال:

- ليه اختفيت؟ وانت فين دلوقت؟ اتجوزت؟ إيه دا معقول لم تتزوج من بعدى؟! وتعمل إيه هنا؟ وساكن فين؟ هتستقر ولا راجع؟

ووسط دهشة مدام دانييلا، تُزاحم أسئلته أسئلتها:

- وانتى ساكنة فين؟ وجوزك بيشتغل إيه؟ طبعاً أسمع عنه دا راجل أعمال معروف.. ومعاك أولاد؟ أعمارهم كام؟ وأسمائهم إيه؟ إنتى احلويتى أكثر، وبقيتى أجمل من القمر.. وبعد أن يلحظ ارتباك مدام دانييلا، يُبادر:

اتفضلوا ناخذ حاجة فى مكان هادى، ولا أحسن تشرفونى فى شقتى الجديدة، أهو تباركوها ونحكى براحتنا، القعدة عندى هادية وتهجىكو خالص..

تتعلق بذراعه كطفلة لتهمس في أذنه:

- يا ريت تطير بينا على هناك!

وعندما أبدى استغرابا من عدم ممانعتها في وجود مدام دانييلا، أفهمته أنها صديقتها المؤتمنة التي تُعطيها في كل المواقف، فانطلق بالسيارة كمن يخوض سباقا نحو جائزة كبرى قد ضمن الفوز بها، وما أن وصلا حتى تركا مدام دانييلا تتجول في أرجاء الشقة المترامية الأطراف ذات الطابقين مُعبرةً عن إعجابها بأناقتها الأوروبية وفخامتها المُتميزة، وإذا بصاحبتنا تجذب صاحبنا من يده صُعودا إلى غرفة نومه وتُغلق الأبواب ليعودا إلى نفس الحالة التي كان يلتقيان عليها قبل افتراقهما مع فارق مزيد الحنكة والخبرة، فيسبحا بأقصى ما بهما من شوق ولهفة وجموح وظمأ وعنف وعنفوان في بحر بلا قاع ولا شطآن لثلاث ساعات متواصلة! كلما امتطيا ذروة انعشا جسديهما النهمين بِغسلٍ وفاكهة وشراب لينطلقا إلى ذروة أشد وأعتى، ولم يُخرجهما من هذا السباق المحموم المجنون لاجتياز حواجز الذروات المتتابعة إلا رسالة قصيرة من مدام دانييلا، كتبتها على استحياء بعد أن كادت تتهار من سماع صوتيهما المدوى:

- امتى هتنتزلوا؟ أنا تعبت واتاخرت!

ليظلا على هذه الحال طوال إقامته في مصر أو كلما نزل إلى مصر، ينتقلان بين شقته في القاهرة وشقته في الإسكندرية، وغالبا في حضور مدام دانييلا، لأنها أفضل من يوفر لهما غطاءا أمنيا!

- دكتور شوقى، هل أنت مُتأكد من صحة ما تقول؟ هل

تحكى عن أناس يعيشون بيننا؟ لن أقول لك أين الدين، ولكن على الأقل أين الفطرة الإنسانية، أين الضمير؟! هل من الممكن أن يفعل الإنسان أى شئ مهما كان وضيعا أو مُنحطا لمجرد أنه يَشتهيهِ، أو لمجرد أنه أُتيح له بلا حساب، أو لمجرد أن أحدا لا يراه؟! كيف لسيدة متزوجة ولديها أولاد أن يُطاوعها ضميرها لتُمارس الخيانة بهذا الإصرار المُرعِب والبرود الفاجر؟! أنا هتجنن، انتو ناويين تجننوني، أخشى ألا أثق فى أحد بعد اليوم مهما كان مظهره فخما أو مُحترما أو حتى متدينا، أخشى أن أفقد احترامى حتى للحجاب نفسه ما دام لم يعد كافيا للتدليل على عِفة المرأة واستقامتها وقوة دينها، لا يا جماعه لا، أكيد دى حالات فردية جدا وشاذة جدا، مجتمعنا لسه بخير، وسيداتنا وبناتنا زى الفل، لا حول ولا قوة إلا بالله!

وحد الله يا حاج توفيق، الموضوع ما يوصلش لحد انك تبكى، طيب خلاص علشان خاطرى أرجوك مفيش داعى للبكاء..

أکید طبعاً مُجتمعنا وبيوتنا بخير والأصل فيهم الاستقامة والوفاء والعفاف، لكننا نتكلم عن رقعة سلوكية شاذة بدأت تتسع، سواء بسبب العزلة الاجتماعية المُتفشية التي جعلت المجتمع غابة من الجدران الخرسانية المُستقلة المُغلقة على ما يدور وراء حوائطها الصماء أياً كان كُنْهه أو طبيعته، فلا دخل لأحد ولا تواصل بين الناس أو تزاور ولا سؤال ولا تفقد ولا تكافل، أو بسبب السوشيال ميديا التي أصبحت توفر مناخاً غير مسبوق من الخصوصية المُناسبة لاتساع تلك الرقعة، والتي ستواصل اتساعها كلما واصلنا نحن كمجتمع تجنب الحديث عنها خجلاً، وتقاعسنا عن مواجهتها وتجفيف منابعها تَأْفِفاً، وهذه الرقعة السلوكية الشاذة تحتضن نماذجاً يفرزها خليط من الأزمات النفسية، وضعف التربية، وإغفال بناء الضمير وتثبيته في النفوس، والانشغال والاكتفاء ببعض المظاهر الاجتماعية أو الدينية الشكلية للأسف!

طَبَعًا..

طبعاً أنا متأكد إن الدكتور شوقي لم يكن يقصد أن يقلبها دراما وبُيكنى ويُبكى الدكتور نزار، لكن حضرته نبهنا لأمر خطير جداً وهو: أن الرواسب النفسية المتراكمة كنتيجة للتأثير السلبي للبرمجة الخاطئة للشخصية من البداية، إذا صادفت البيئة المناسبة لانطلاقها ولم يكن ثمة وازع من دين أو ضمير، فإنها تكتسح في طريقها كل الأصول والقيم وترتكس بطرفيها سواء الرجل أو المرأة إلى الهاوية، ما يجعلنا ننتبه لأهمية تثقيف أولادنا والتأكد من متانة فكرهم وتماسكه، والاهتمام بسلامة لياقتهم النفسية، قبل أن نخترل تعاملنا معهم في مجرد الحرص على التزامهم ببعض المظاهر الدينية أو تحقيقهم لبعض الأهداف المرئية كإحراز المجاميع العالية أو الفوز بالوظائف المرموقة أو ما شابه! ثم إن إظهار البعض للصبغة الدينية أو إبداءه لمظاهر التدين الشكلى التى يحرص عليها معظمنا، لاسيما من المشاركين والمشاركات على مواقع التواصل الاجتماعى الآن، لا ينفى عنه طبيعته البشرية، ولا يحوّل بينه وبين الانحدار والابتذال والأخطاء أو الخطايا المبررة، ولكن يبقى الأصل وهو أنه لا رُقَى للإنسان ولا احترام ولا سمو ولا استقامة إلا بالتثقيف والتربية، بل التثقيف قبل التربية، لأن التثقيف يكون بمثابة جُهد علمي قائم على الفهم والإقناع.. وأقول الفهم، لأنه لا قيمة لفكرة أو مبدأ بلا فهم.. وأقول الإقناع، لأنه لا استقامة على خُلُق أو مسلك بلا إقناع..

وكلاهما، الفهم والإقناع، أساسيان لبناء الحائط العقلي والفكري للفرد والأسرة والمجتمع.. أما التربية فتأتى للتدريب على تطبيق ما فهمناه واقتنعنا به فى جو من الحرية واحترام العقل، جو مَنزوع التسلط وَخَالٍ من القهر، فبالحرية نستكمل بناء هذا الحائط النفسى والخُلُقَى أيضاً.. ثم يأتى بعد ذلك التَّدْيُن، يأتى على أساس من الفَهم والإقناع والتربية أيضاً، وليس على أساس من التقليد التلقائى الساذج الأعمى والمُحاكاة العاطفية السطحية، فالله تعالى يقول: " لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ " التوبة 108.. فالمسجد يُؤسس على قاعدة من التقوى قبل أن تُرصُ لبناته وتُقَامُ جُدرانُه، وكأن التقوى أساسٌ أو قَاعِدَةٌ تتكون من خرسانة الإيمان وحديد الفهم والإقناع! فلو اتبعنا منهج القرآن فجعلنا الأولوية لتعميق وتثبيت وترسيخ قاعدة التقوى المكونة من الإيمان والفهم والإقناع ثم أقمنا عليها بناء التدين والالتزام لما وصلنا إلى تلك الحالة المُزرية من التفسخ والتناقض والانفصام بين صورتنا وحقيقتنا، بين مظهرنا المُتدين الملتزم وبين جوهرنا المُتسيب المُنفلت!

الله الله .. إيه الجمال ده يا حاج توفيق، وحشتنا مُحاضرناك القيمة، لكن لو سمحت لى، أو ليست القدوة سابقة على الإقناع فى التأثير والتربية!؟

- كيف وقد جعل الله الإيمان بالله واليوم الآخر..

عن علم وإقناع شرطاً للاقتداء بنبيه محمد، عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: " لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا " الأحزاب 21.. فلا بد أن نسمع ونقتنع، لنتعلم ونفهم ونقتدى ونلتزم.

- يعنى أنا كأب مُطالبٌ ألا أكتفى بفعل ما أراه صحيحاً أمام أولادى ظناً منى أن هذا فى حد ذاته كافياً لاقتدائهم بى تلقائياً، ولكن علىّ أن أعمل على تثقيفهم فيه وإقناعهم به، أليس هذا هو ما تقصده يا حاج توفيق؟

- بالضبط يا باشمهندس ضياء، لأن اقتداءهم بك ربما يكون

فى بعض الأحيان مسألة ظرفية تتعلق بوجودهم معك، أو عاطفية تتعلق بحبهم لك، أما فهمهم للفكرة واقتناعهم بها فَيْرَسَاخُ فى وجدانهم حتى يصعب زحزحته بتغير الأشخاص أو الزمان أو المكان، لكن من المهم أيضاً قبل أن أنهى كلامى أن أنبه إلى خطورة تجاهل الاحتياجات العاطفية والحسية للزوجة والخشونة معها ومجاافتها، فالإحسان إلى الزوجة والإغداق عليها من الحب والاهتمام والاحترام، يقيها الفتن والمزالق ويحميها من مثل هذه الانتكاسات العاطفية والأخلاقية، وليس مجرد الحجاب أو النقاب كافيان شكلياً لتحقيق ذلك.

- الله يفتح عليك يا حاج توفيق.. كلامك ريح قلبي والله..
- ربنا يريح قلبك وقلوب الجميع يا دكتور نزار، والله الواحد

بيصعب عليه ان ناس تقدر تعيش مُحترمة وراقية وتعمل فى نفسها كده من أجل نزوة ساعة! لو يعرفوا السعادة التى أعيشها ولذة الوفاء والحب التى أجد طعمها فى قلبي وأنا متفرغ لرعاية الست مراتى حبيبتي، والله ملذات الدنيا كلها بما فيها الجنس تتواضع أمامها، لكن نقول إيه فى ابن آدم الغبى القصير النظر! ووالله ما أنا عارف هيصعب علينا إيه ولا إيه، بلدنا ولا شبابنا ولا بناتنا ولا ديننا.. ياالله.. ليس لها من دون الله كاشفة... يا نيازى.. هات لنا يا بنى حاجة خفيفة ناكلها، وشوف البهوات يشربوا ايه..

طيب يا جماعة اسمحو لى أستاذن بعد أن اجتمع على إرهاب السفر، وإرهاب حوارنا الساخن الليلة..

- وأنا كمان، خدنى معاك الله يخليك..
- الله.. وانت كمان يا دكتور نزار! الأمر لله، إذنكم معاكم، بس نشوفكو بكرة ان شاء الله..
- أكيد بإذن الله.. تصبحو على خير جميعا.



رغم تأخر الوقت..

رغم تأخر الوقت ورغم إرهاقى الشديد، لكننى لا أستطيع مقاومة الرغبة فى معرفة تطورات حكايتك مع الدكتورة سوزان، فى ضوء ما سمعناه من تحليل قيم قدمه الدكتور شوقى للمسألة وما أعقبه من كلام مؤثر للحاج توفيق، فلتفضل يا نزار بيه..

- ما حدث أننى أفقت من سقطتى على الأرض يجتاحنى

شعور بالخجل والاشمئزاز، أحسست وكأننى سكير عرييد تافه ألقاه المارة فى مكب للنفايات.. ما هذا؟ ماذا فعلت بنفسى؟ وماذا فعلت بى هذه المرأة؟ وأين كان عقلى؟ وما دخل الحُب الذى هو أرقى وأنبى شعور أفاء الله به على الإنسان ليرتقى به، فى هذا الارتكاس فى حَمأة الحيوانية الرخيصة؟! يا أخى، ما أبشع أن تُدنس الحُب ونسيئاً إليه بأن نجعله مَطِيَّة نركبها حتى تصل بنا إلى كباريه الجسد! لا تتخيل كيف مر علىَّ هذا اليوم، كنت حزينا جدا من هؤل الصدمة والشعور بالإهانة، وكنت متأكدا أن ايناس لاحظت اضطرابى..

ولكن ماذا فعلت بعدها؟

- طبعا قطعت صلتى بها فورا ولم أستجب لأية محاولات أو توسلات منها للاستمرار، فضلا عن عروضها للزواج..

ولو سرا، ولم أشعر بأى تعاطف معها ولم ألتمس لها أى عذر، فقد أهاننتى بتصرفها معى كعاهرة تُغوى أو تُغرى أحد زبائننا من المبتدئين! فكيف لسيدة تُصنف اجتماعيا كمحجبة بِنَاء على الطَّرحة التى تُلْفها على رأسها، ومُتدبنة بِنَاء على كتاباتها الحافلة بالآيات والأحاديث والمواعظ على تويتر والفيس بوك، وطبيبة شهيرة وأم ومن مستوى اجتماعى راقٍ ومستوى مادى مرتفع، وتتصرف بهذا الشكل وكأنها من فتيات البورنو المحترفات على الإنترنت؟! للأسف، بعد أن استعدت تَوازنى وأُفقت من سَكرتي تأكدت من خلال حكاياتها وتصرفاتها أننى لست أول من فَعَلت معه هذا! وأنا والله مذهول، هذا الجمال والثراء والوضع الأدبى والاجتماعى كان كفيلا بأن يحقق لها السعادة فى حياتها والاستقرار والهناء مع رجل محترم يُحبه قلبها ويختاره لو أرادت، لكنها بكل أسف تتكبت الطريق واعتبرت أن الفشل المأساوى لزواجها الأول هو نهاية العالم، وأنه لم يعد أمامها إلا العبث والنتيه فى صحراء الرغبة اللامحدودة، ولو أن كل امرأة فكرت بهذه الطريقة وسلكت هذا المسلك، لصرنا أمة من المومسات المتتأقات الشيك..

لكن الكلمة الأخيرة دى قاسية جدا يا دكتور نزار!

قاسية؟! لماذا؟! أو ليس هذا هو الواقع؟!!

القائلة والخائنة والعاهرة واللصة والساحرة وحتى الراقصة، كلهن يَضَعن على رُؤوسهن طَّرحة يُسمونها حِجابا ويُحسبن على المُحجبات، وكأن ديننا ومجتمعنا لم يعد يعنيه إلا أن تغطى المرأة شعرها ولو عَرَت كل شئ، حتى ضميرها وشرفها واحترامها لنفسها! يبدو لى أحيانا أن مُجتمعنا قد بلغ حَدًا من تَشْوهِ الفِكر والتناقض بين الجوهر والشكل لدرجة أن كل ما يهمله أن يحضر الفرد، رجلا كان أو امرأة إلى أرض الطابور كل صباح وهو ملتزم بالشكل أيا كان هذا الشكل، ثياب فخمة، سيارة فارهة، منصب كبير، أو لحية أو علامة صلاة متضخمة متورمة أو جلاباب أو حجاب، ثم ليفعل بعدها ما يشاء.. يتباغض، يتطاحن، يغش، ينافق الحكام، يرضى بالظلم، يسرق، يرتشى، يملأ الإنترنت كلاما عن الدين ووجوب اللحية والنقاب وحرمة الموسيقى والغناء، والأحاديث الضعيفة والموضوعة، والأخطاء الشائعة فى الكلام والتصرفات، وينتقد هذا ويحكم على ذاك وهو أسود القلب، مثلون رعديد جبان، لا تهتز من لحيته شعرة لِشعب يُقتل ولا لِحرَمات تُداس ووطن يُنهب ويُستباح!

كُنْتُ أعرف يا دكتور نزار أن لديك انطبعا سلبيا من أيام الجامعة تجاه التدين الشكلى أو السطحى أو المغلوط، لكن لا تؤاخذنى إذا قلت لك أن انطباعك هذا قد تحول إلى عُقْدَة!

- هي فعلا عُقدة، لكنك قريبا ستجدها انتشرت بين الكثيرين

بعد أن يكون المجتمع قد اكتوى بنار هذه الأكذوبة الكبرى والخدعة الصادمة، أكذوبة اللحي الطويلة والوجوه العابسة والأشكال الفضة الغليظة المُنفرة، التي طالما استسلم السُدج لابتزازها وإرهابها، وهم لا يعرفون أو يتوقعون أن أصحابها في حقيقتهم بثيابهم البيضاء والسوداء، مجرد قطع شطرنج تُحركها وتستغلها جهات ما، داخلية وخارجية، لا تريد خيرا لهذا البلد..

دعنا من هذا وقل لي: ما هو تفسيرك للسلوك الشاذ والغريب الذي صادفته من الدكتورة سوزان، أهي صور لتجارب وذكريات سلبية أو غير ناضجة مخزنة عندها في الأُميجدالا وطففت على السطح مكتسحة في طريقها أي أصول أو منطق أو قيم أو كرامة، كما يقول الدكتور شوقى.. أم ماذا!؟

- ربما تكون صورا أو تجاريا غير مكتملة مُخزنة فعلا في

الأميجدالا عندها، وعندى أنا أيضا، لكنها تبقى جزءا من المشكلة، أما أصل المشكلة فأنا أعتقد أنه الأب، الأب الذى لم يصنع منها سوى القشرة الخارجية البراقة التي هي عبارة عن طبية لدرجة الطفولية والسذاجة وهذوء ومسالمة لدرجة البرود والسلبية، وتفوق دراسي ومادى لدرجة العُزلة، أما اللب ففراغ روحى..

وضحالة خبرة بالحياة! لم يكن على لسانها إلا بابي بابي بابي، وعندما غاب عنها بابي ونزلت إلى مُعترك الحياة تاهت بين أرجل الرجال وأضحت كلما أسمعها أحدهم كلمة حُلوة صاحت: بابي بابي، إنت بتفكرنى برقة بابي وبحنية بابي، ولو إن بابي مُستحيل يتكرر تانى أبدا، علما بأن الأب نفسه كان مشغولا بقشورته الخارجية هو الآخر، من وجاهة اجتماعية وتحقيق للثروة وتمتع بالسفر حول العالم، أما اللبُّ التربوى والثقافى والروحى فلم يكن ثمة وقت للاهتمام به!

الأب! كُلهن مُتماهيات مع الأب ومع تأثيراته وموروثاته الثقافية حتى ولو كانت سلبية.. لا سيرة لهن إلا الأب والتفاخر به وبتميزه وتفرده وبشدة محبته والتعلق به، والتاثر بوصاياه، وحكمه وكلماته والحزن الشديد على غيابه و فقدانه، وهن يَمضين فى الحياة مُخَالَفاتٍ لكل ما رباهن عليه!

- لأن الأب عندما يضع ابنته فى قوقعة يُوفر لها فيها أعلى

التياب وأحدث اللعب، لكنه يعزلها عن العالم، ويُلح على ذهنها بمطلب واحد أو بهدف واحد يصور لها من خلاله أنه أكسير حياتها وسعادتها: أن تتقن اللغات وأن تكون الأولى فى دراستها دائما، وبالفعل عاشت سوزان فى قوقعة أبيها، فلم تعرف غيره..

ولم تتعامل مع أحد سواه، ولم تتلقى من أى أحد أية قيمة أو خبرة، نعم تلبس أفخم الثياب وتلعب بأعلى اللعب وتطوف عواصم العالم وتتقن اللغتين الفرنسية والانجليزية، وربما الألمانية أكثر من ناطقيها، وتكون الأولى على مدرستها فى جميع المراحل وكذلك على دفعتها فى الكلية، وحياتها كلها فُسح مع الأب وهدايا من الأب ورضا تام من الأب، ما دامت ملتزمة بالقوقعة.. لا تعرف أحدا، وتتقن اللغات، وتكون الأولى!

لكنك تقول أنها مُتدبنة.. تَضَع إشارات، ولن أقول حجابا لكى لا أَعْضَبُكَ، وتُصَلِّي، وتَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وأنا أقول لك : كلنا يا سيدى مُتدبنون ونقرأ القرآن ونسابق على رحلات الحج والعمرة ونتزاحم فى صلاة القيام فى رمضان، وعلامات الصلاة عندنا أكثر من النجوم فى السماء، حتى الخونة القتلة عملاء الصهاينة لصوص الأوطان لهم علامات صلاة! ومن ينافقونهم ويمالئونهم ويسكتون على ظلمهم، بل وبيروهم ويُشرعنوه، أيضا فى جباههم علامات صلاة أكبر من حبة الدوم، وعندنا لِحى أكثر من شواشى الذرة وسنابل القمح، وبياض ثيابنا أنصع من الشمس، وسواد نقابنا وحجابنا أحلك من سواد الليل، لكن أين الفقه فى الدين، و"من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين"؟! أين التربية الحقيقية والتنقيف المتين؟! أين التعامل مع القرآن كمنهج لتعديل مسارتنا..

وتقويم حركتنا فى الحياة، وليس مجرد كتاب يُتلى رحمة ونورا  
على مقابر الآباء!

- وهذا بالضبط ما تفعله الدكتورة سوزان عندما تقضى آخر  
كل أسبوع جالسة على قبر أبيها تقرأ القرآن، ثم تستأنف  
سيرها فى الحياة الافتراضية دون أى تأثير أو تغيير!

إذاً فالخلاصة التى تتأكد فى كل نقاش هى: أن مُصيبة مُجتمعنا،  
ومصيبة سيادتك كجزء منه، هى التمزق بين الشكل والمضمون،  
الصورة والحقيقة، المظهر والجوهر، أعتقد أننا فى أمس الحاجة  
لسد "الفجوة الواسعة بين القول والفعل" تلك الآفة التى وصفها  
"شكسبير" فى "King Lear" "ب"الحالة البشرية"! ولن ننتق من  
هذا الضياع إلا إذا أسعفنا الله بقيادة وطنية قوية راشدة وعادلة،  
تكون مُنتخبة انتخاباً حراً لتضع منظومة تنقيفية وتربوية مُحكمة  
ومُتكاملة وتُنفذهما بحزم وعدل، لتُعيد بناء كينونتنا النفسية والثقافية  
والأخلاقية على مستوى الفرد والمُجتمع من جديد.. تعرف يا  
دكتور نزار إن حديثك المتكرر عن تماهى الأبناء، وخصوصاً  
البنات، وتوحدهم شكلياً وعاطفياً مع شخصية الأب المُستحوذ  
المُسيطر، يُذكرنى بأبناء العالم والمُعلم ورجل الأعمال الثرى السيد  
"جراد جريند" فى قصة "Hard Times" التى جسد فيها "شارلز  
ديكينز" هذه المأساة ببراعة..

حيث حجب الأب أبناءه عن المجتمع ليتفرغوا للتحصيل الدراسي والعلمى ويتعلموا "الحقائق المادية" باعتبار أن لا شيء فى الحياة يَفوقُ فى أهميته تحصيل الحقائق المادية، فلما جاء دور الأبناء ليخوضوا غمار الحياة العملية، فشِلت البنت فى حياتها الزوجية وتورط الابن فى جريمة سرقة بنك، ولم يجد الأب من يساعده فى إخراج ابنه من الورطة إلا رجلا بسيطا يعمل فى السيرك، لتشاء الأقدار أن يكون "سليري" عامل السيرك البسيط هذا هو من يُلقن الأب العالم المرموق السيد "جراد جريند" الدرس الرئيس فى خبرة الحياة وهو: أن الحياة ليست هى "الحقائق المادية" فقط! ليتغير السيد "جراد جريند" ويقدم الحُب والأمل على الوقائع والأرقام، بعد أن فعل كل شيء لأبنائه لكنه لم يُعلمهم صنعة الحياة، خبرة الحياة، ولم يتقنهم ثقافة الحياة العملية! أيضا حكى لى الدكتورة نهلة عن قصة مأساوية لوالدة إحدى زميلاتها، كانت متأثرة بوالدها جدا لدرجة أنها دخلت فى أزمة نفسية عنيفة بوفاته، ضاعفت من أزمتهالناجمة عن فشلها فى حياتها الزوجية، هذا الفشل الذى أوصلها إلى حافة الانتحار أكثر من مرة! حتى صادفت أحدهم على الفيس بوك ورأت فيه شخصية أبيها فتعلقت به وأحبتة، لأن كل حاجة فيه بتفكرها بابا! وكأنها وجدت فيه مهريا من مأساتها وأحست معه بالحنان والأمان المفقودين مع زوج فظ غليظ يسيئ معاملتها!

لكن لا تنسى يا دكتور نزار أن تجاوبك مع سوزان ومجاراتك لها قد شجعها على ذلك، فأنت للأسف شريك لها فيما أقدمت عليه من أخطاء بالتأكيد..

- وأنا لم أنكر هذا، بل أحاسب نفسي عليه طوال الوقت،

فأنا أيضا مثلها نشأت لأب لم يكن يعنيه إلا أن يصحبنى إلى المسجد لأصلى دون أن يكلمنى كلمة واحدة، وما دمت أتبعه إلى المسجد فأنا من الفائزين وسيحفظنى الله! حتى ولو كنت لا أتلقى أى شكل من أشكال التنقيف أو النقاش، وحتى لو كنت أقضى وقتى بقية اليوم فى مجتمع نسائى صِرف بكل ما يحمله ذلك من تأثيرات على شخصيتى وسلوكى، فإن كانت سوزان تبحث عن أبيها فأنا كنت أبحث عن نفسى!

لست وحدك من يبحث عن نفسه يا صديقى، فكلنا مثلك.. حتى مصر هى الأخرى تبحث عن نفسها.. هيا بنا..  
- انتظر لنتعشى، وعلى العشاء أكمل لك جزئية مهمة..

حرام عليك، ستكون سببا فى طردى من البيت..

- زمانهم رجعوا من العين السخنة وناموا.. إيه رأيك فى  
انتين "شباب امرأة"؟

وهو كذلك.. ويا ريت سلطة زيادي.. وصودا..

- يا محمود.. اتنين "شباب امرأة" \* وسلطة زيادي  
وطحينة.. وهات للبيه صودا.. وهات لى أنا أى عصير  
فريش..

- هتاخذ شوربة؟

لا لا.. كدا كفاية.. شكرا يا محمود..

اتفضل يا بيه.. كمل الجزئية المهمة..

-----  
\* أحد أصناف الأطعمة التي يقدمها مطعم "استوديو  
مصر" الشهير، في مركب على نيل الزمالك.



هَيَفَاءٌ..

هيفاء.. تلك المفاجأة المذهلة التي زادت من وطأة التجربة على نفسي، فقد فوجئت بإحدى المتابعات الخليجيات عندي على تويتر تكتب لى على الخاص طالبة منى رقم تليفونى لمشورة طبية هامة! سيدة أعمال فى أواخر العقد الرابع وأم لشابين من رجال الأعمال وقد أصبحت جدة للتو بعد وصول أول حفيدة لها منذ أسبوع، حديثها الرصين يُعطيك انطباعا مبدئيا بأنك تتحدث إلى سيدة هادئة وقورة ومتدينة جدا، وطبعا كالعادة اسمعتنى هى الأخرى وصلة طويلة عن سعادتها بمتابعتى على تويتر منذ فترة وإعجابها بشخصيتى وثقتها بأننى سأكون طبيبا كفىً لمساعدتها فى مشكلة تؤرقها، رفضت الإفصاح عنها فى التليفون واكتفت بأنها من صميم تخصصى! حتى استيقظت يوما على رسالة منها تقول فيها:

- سوف أحضر إلى القاهرة مساء الخميس القادم بإذن الله، وسأتصل بك فور وصولى..

فرددت عليها: يحصل الشرف أهلا وسهلا.. وأملت عليها عنوان العيادة وتليفون فاطمة لتتفضل بالحجز، لتفاجئنى مساء الخميس باتصال تدعونى فيه بالإحاح على العشاء فى شيراتون المطار! وبعد محاولتى للاعتذار لارتباطى بمواعيد العيادة..

وتكرار التأكيد على أن العيادة مفتوحة ويسعها أن تشرفنى فيها،  
إلا أنها أصرت أنها بانتظارى حتى أنتهى من العيادة فى أى  
وقت.. وأردفت:

- اعتبره كشف مخصوص يا دكتور..

وبعد تردد حسمه غياب إيناس عن البيت فى زيارة لوالدتها كالعادة،  
انطلقت سيارتى فى طريقها نحو شيراتون المطار فلم أجد سيدة  
الأعمال الخليجية الجدة ذات الأحفاد التى رَسَمْتُ لها صورة فى  
خيالى بجسمها السمين المترهل وعباءتها السوداء الفضفاضة، بل  
وجدت فى انتظارى ما يجعل الحليم حيرانا! غَاةٌ حسناء تتألق  
جمالا وتتوضع عطرا باريسيا آخاذا، اسمها هيفاء وهى هيفاء  
القامة فعلا، ممشوقة القد، ذهبية الشعر، فُستقية العينين، كرزية  
الشفنتين، ثُفاحية الخدين، دقيقة الأنف، ناضحة الفتنة، طاغية  
العُنفوان، تنهادى فى فستان أنيق يُبرز ثديان منحوتان كأنهما لأحد  
تماثيل روما المرمرية، ويكشف عن ذراعين بيضاويين يضيوان  
كالكريستال وينحسر عن ساقين مصبويتين لا تقلان بياضا وبريقا!  
من هذه الإيطالية الشقراء التى تُقبل نحوى فاتحة ذراعها لتستقبلنى  
بالأحضان مُمسكة بيدي لم تُقلتها.. باسمه تهمس:

- هلا دكتور، أنا هيفاء.. كنت أخاف ما تشرفنى..

لكنك كريم وما خبيت ظنى.. وصلت اليوم بعد الظهر  
وما حبيت أضيع وقت من غير ما اتشرف بمقابلة  
حضرتك.. تفضل.. تحب نجلس هنا ولا تشرف فى  
جناحى فوق؟

وقبل أن ابتلع ريقى لأرد.. هَمَسَتْ:

- تفضل.. جناحى فوق على فيو رائع، بالتأكيد ستكون  
مرتاحا أكثر..

تُشير بيدها، مبالغة فى الحفاوة والترحيب، وهى تتقدمنى فى سيرها  
خطوات لتكشف مشيتها عن قوام إغريقي يتدلى منه رداف لهما  
اهتزازات خبيرة مُمكنة تكفى لإحداث هزة أرضية، كلما اقتربنا من  
جناحها أشعر بصوت دقات قلبى يتعالى.. ترتدى قُبالتى على  
مقعد الصالون الوثير لتغطس فيه على راحتها تماما وقد وضعت  
ساقا على ساق على طريقة "شارون ستون" فى فيلم "غريزة  
أساسية" لتُكمل رسم لوحة أنوثتها الطاغية الفاتنة المُغرية حتى  
آخر ضربة فرشاه! أخذ مُنحنى إثارتى فى الارتفاع حتى كاد يبلغ  
ذروته لولا إضاءة كشافات التوجس والقلق بقلبى، وانبثاق أشواك  
التأنيب فى ضميري، وهجوم دبابير الأسئلة على رأسى، لأنهُض  
من مقعدى مُتحدثا بجديّة..

مُشيحا بوجهي ناحية أفق القاهرة الشاحب القلق الخائف، المُمتد عبر التراس: عفوا سيدة هيفاء لأنى مرتبط بمواعيد، وقد لبيت دعوتك الكريمة وتشرفت بالحضور إلى جناحك، مع أن هذا ليس من عادتي، والآن: ما هو المطلوب منى؟ ما هي شكوى حضرتك؟ كيف أستطيع مساعدتك بصفتي طبيب تجميل وعلاج سمنة ونحافة، وقد لاحظت أن حضرتك لا هذه ولا تلك، بل رشيقة بشكل نموذجي.. لترد بهمس كأنه ذبذبات كهرومغناطيسية:

- أوه.. رفقا بى يا دكتور نزار، أنا ما صدقت قابلتك وجياللك من آخر الدنيا.. ثم اننى فخورة بثنائك على رشاقتى، ما شاء الله عليك كما توقعتك، جميل وخبير فى الجمال، أنا بعترد منك لكننى وجدتها فرصة ذهبية لأشرح لك حالتى بهدوء..

- وها أنا ذا تفضلى حضرتك..

- ليس قبل أن نتعشى..

- شكرا جزىلا لحضرتك، أرجو أن تُعفينى لتأخر الوقت، سأكتفى بأى مشروب مُثلج وندخل فى الموضوع..

صح النوم يا نزار بيه.. تدخل فى الموضوع فىن يا دكتور حرام عليك، شكلك ناوى تخلص عليا ، أنا كفاية عليا كده الليلة دى، قوم بينا ونكمل بكره بإذن الله.



شُفْتُ..

شُفت حضرتك الإخوان عملوا إيه!

خير يا باشمهندس طارق..

- بعد ما صدعونا بأنهم مش طمعانيين فى الرئاسة ومش

هينافسوا على الرئاسة جايبين النهاردة ينزلوا اتنين مرشحين من عندهم، واحد أساسى مرعب وشديد اللي هو خيرت الشاطر، والتانى يعنى أهدى منه شوية اسمه محمد مرسى، بالله عليك يا باشمهندس ده كلام! فين المصادقية! أنا لن أثق فى الناس دى تانى أبدا، يعنى سيبناهم يركبوا الثورة وقلنا هما اللي حموها فى موقعة الجمل وبعدين يبيعوا الشباب فى محمد محمود ومجلس الوزرا علشان الانتخابات، وخيرت الشاطر ده نفسه اللي كان تعهد انهم مش هيشاركوا فى مجلس الشعب بأكثر من خمسة وعشرين ثلاثين فى الميه، وزى ما حضرتك شايف اكتسحوه واستحوذوا على رئاسته.. لا لا يا باشمهندس أنا مضايق بجد.

اهدى بس يا طارق واصبر لما الأمور تتضح، انت شايف المشهد مُعقد جدا والأيدى العابثة التى تُحكى خيوط المؤامرة على الثورة على مستوى عالى وعالمى من الخُبث والدَّهَاء، ولا شك أنهم يُدركون جيدا أن الباب الملكى للعبور إلى هدفهم الاستراتيجى لإجهاض الثورة يتمثل فى التحريش بين أبنائها ورموزها..

والإيقاع بينهم وبين بعضهم البعض ثم بينهم وبين الشعب، والإخوان بصفتهم الفصيل الأكبر شعبيا وتنظيميا يقع عليهم العبء الرئيسى فى الحفاظ على الثورة، وإن كنت أخشى أن يكون حثف الإخوان وحثف الثورة معهم فى ادمانهم لأساليب الموائمة السياسية وسُمتهم التى شاعت فى عقد الصفقات وثقتهم الزائدة فى أنفسهم وفى العسكر، ومع أننى ككاتب أحب الثُرى والانتظار والتفكير قبل الحكم على الأشياء، لكن كمبدأ فأنا لستُ أرى حَرَجًا فى تعديل المسار السياسي لأى فصيل بما يتوافق مع رؤيته للظروف وتقديره للمصلحة، والسياسة تحتاج إلى روح المغامرة أحيانا، ثم ماذا يفعلون وهم يرون مرشح الثورة المضادة ينطلق نحو القصر، مدعوما من الدنيا الكارهة للثورة بأسرهان فى الداخل والخارج؟! أعتقد أنها مغامرة كبرى وسيكون لها ما بعدها!

من فضلك.. هات لى ملف المناقصات وخبلى ياسمين تتصل بالأستاذ على فى شركة السويدى..

- المهندس محمد ضياء الدين على التليفون حضرتك..

شكرا يا ياسمين

آلو ضياء بيه.. يا صباح النور.. مفاجأة جميلة طبعا

إيه ده.. انت كمان! دا لسه المهندس طارق كان منفعل زيك  
وزعلان منهم..

للدرجة دى.. ياه.. دى شكلها هتكون معركة حامية فى التكميية  
النهاره..

الإخوان يترشحوا واللى مش عاجبهم يتترشحوا.. ههههههه..

حاضر.. بس يمكن نتاخر شوية أنا والدكتور نزار.. لا والله لا  
شركاء ولا حاجة، دا بس علشان طريقنا واحد غالبا بفوت عليه  
ونيجى بعربية واحدة..

طيب علشان الدكتورة نهلة على التليفون التانى.. بإذن الله لما  
نتقابل.. يا تقنعنى يا اقنعك.. فى أمان الله.

نهيلو حبيبي، وأنا أقول مالِ هذا الهاتف ينثر عطرا وموسيقى..

بگاش.. هههههه.. طبعاً بگاش، البكش اكسير الحب.. هههههه..

لا والله، هو أنا أقدر برضه، دا المهندس ضياء كان معايا على  
التليفون..

الظاهر القيامة هتقوم علشان الإخوان هينزلوا بمرشحين فى  
انتخابات الرئاسة..

طبعاً حضرتك أروبة وهربتى كالعادة من هرى الفلول فى الكلية..

والله أنا حاسس إن الهرى دا كله بيطلع من مطبخ رئيسى واحد  
وبعدين يتوزع على مصر كلها، والطباخ العجوز الخبير القابع فى  
مكان ما، بره أو جوه، أو جوه وبره مش هتفرق، المهم إن هو اللي  
بيحدد ملامح الطبخة اللي الناس هتهرى فيها، دسمة ولاّ خفيفة،  
حلوة ولاّ حراقة، سخنة ولاّ باردة، كتيرة ولاّ شوية، واهو كله بيتاكل  
والناس شغالة تَلوك وتَجتر ما يُلقيه عليهم أبانا الذى فى المطبخ  
السرى والذى يصل فى كل مرة وحتى الآن إلى مُرادِه!

على رأيك.. طبعاً مش هتعالج من الفلسفة والتريقة أبدا..

لأ اتغدوا انتو.. عندى شغل كتير، وعاييز أقابل نزار علشان أنجز  
معاه جزء مهم من الرواية، وإذا سمح الوقت يمكن أفوت على  
التكعبة..

إزاي يا جميل.. طبعاً جايلك.. أحبك وانت طازة كده والديك بيدن  
كوكو فى الفجرية.. ههههههه.



تَفْتَكِرُ..

تفتكر يا نزار .. إيه أكثر حاجة بحبها فى لقاءاتنا دى؟

- قُل يا صديق العمر ..

المُقبلات التى يقدمها "استوديو مصر" .. هههههه.. وخصوصا ورق العنب ده، لأن نهلة بتطلع عيني علشان تعمله.. حبيت أعاكسك بس.. ما علينا اتفضل كمل.. ماذا تريد منك سيده الأعمال الخليجية الأوروبية الملامح الإغريقية الجسد، ما الذى يجعلها تقطع الفيافي والقفار وتجتاز البلاد وتخوض البحار لتجلس أمامك جلسة "شارون ستون" التى زلزلت أركان "مايكل دوجلاس" فى فيلم "غريزة أساسية" كما وصفت سيادتكم، مما تشكو حضرتها بالضبط!؟

- من الرغبة..

تانى.. الرغبة تانى! مش معقول الناس مفيش وراهم شغلانة إلا حيوانيتهم يا نزار!؟

- لكن هيفاء كسوزان، لا تشكو من مجرد الرغبة بل من

ضغط الرغبة، من فوران الرغبة، من توحش الرغبة، من عذاب الرغبة، فكلتاهما تصطلى بجحيم رغبتها المُستعر، تذوب من الانسحاق تحت سنانك خيل رغبتها البرية السائبة المنطلقة المجنونة!

إنت ايه يا أخی.. إيه حكاية ضحايا الرغبة دول معاك! هو  
حضرتك خبير تخسيس وتجميل، ولأ خبير تحسيس وجنس  
وتنفيس؟!

- أنا نفسى مش عارف حاجة ولا فاهم حاجة، أنا اللي

فتحت على نفسى الباب ده عندما انطلقت على الإنترنت مُنتشيا  
بانفتاح مابعد الثورة بكلامى المُتحرر واختياراتى الشعرية  
والرومانسية والموسيقية المُبهرة التى حازت إعجاب الكثيرات أو  
بالأحرى صادفت هوى الباحثات عن الحُب، وكنت أظن أن زمام  
الأمر سيبقى بيدي ولم أكن أتخيل أن الباب الذى فتحتَه بإرادتى  
سيأتى علىَّ وقت لن أستطيع إغلاقه إلا بإرادة غيرى، وغيرى قد  
دخلن منه ونعمن عندى بدفء الرومانسية والحنان ولن يَخْرُجَن  
بسهولة، فيوم أن كتبت على تويتر معبرا عن معاناتى العاطفية، لم  
أكن أتصور أن طابور الموجوعات المنتظرات بهذا الطول! طابور  
الموجوعات المنتظرات!

سيدي يا سيدي، والله ما أراك إلا دَمَرت نفسك وبيتك يا نزار،  
ولكن دعنا نُكَمَلُ أولا ثم سيكون لنا حديثا آخر بعد أن ننتهى من  
جلسات استماع حضرتك..

- أعدت عليها سؤالي بهدوء: مما تشكين سيدتي؟!!

فردت بهمس أنعم من الحرير وأرق من النسيم:

- شوف يا دكتور، أنا جيت لك بعد فترة كافية تابعتك فيها

وأعجبت بك وأصبحت أفكر فيك ليل نهار وأشعر بارتياح

كبير لك، ولدى قناعة كبيرة أنك ربما تكون الإنسان القادر

على مساعدتى وإراحتى من العذاب الذى أعانيه فقلبى

يقول لى أنك سترتاح لى وستسعد معى ولن تتخلى عنى..

نزار.. انت متأكد ان الست دى عايزة دكتور؟! ولآ...

- اصبر بس..

وقبل أن أنفجر فى وجهها وأسارع بالهروب بادرتنى بمظروف

أنيق، راجية:

- تفضل.. أرجوك لا ترد يدي، هذا مبلغ بسيط عربون

متواضع تحت حساب زيارات حضرتك العلاجية لى

كطبيب، عشرة آلاف دولار..

طبعا أسقط فى يدي.. فواصلت همسها بدلال:

- من فضلك استمع لى فأنا لا أطمع فى أكثر من أن تستمع

لى..

فلم أستطع أن أنطق بأكثر من: تفضلى..

وكان هذا ما حكته لى:

- أنا من أسرة كبيرة وعريقة لها مكانتها فى عالم المال

والأعمال كما أن لها تقاليدها الاجتماعية الراسخة لا سيما فى الزواج والطلاق، ووجود أنثى بمثل جمالى هذا فى مجتمعنا المغلق المحافظ، ولو فى الظاهر على الأقل، يُعد بمثابة قنبلة خطيرة من الممكن أن تنفجر فى أية لحظة، لذا يجب تفكيكها بأية طريقة، أو قل يُعتبر مُصيبة كبيرة يجب التخلص منها فى أسرع وقت! فمِنذ أن كنت طفلة فى السابعة من عُمرى والدنيا كلها تتحرش بى، خصوصا فى المدرسة، أما عندما تساقطت قطرات دماء أنوثتى الأولى فكأن القيامة قد قامت! ومن سخرية الأقدار أيضا أن مُجتمعنا المُتزم هذا لا يعرف عادة خِتان الأنثى، ما يجعل فتاة فى مثل أنوثتى المبكرة المُتفجرة وعنفوانى الزائد تجد نفسها وكأنها أضحت ريشة فى مهب الريح فلا ترد يد لأمس، دُكورا كانوا أم إناثا، ظنا منها أن هذا سيُخمد جَمر رغبتها المُتوهج، ولكن هيهات فقد وجدت نفسها كمن يَشْرَبُ من ماء البحر طلبا للرى فلا يزداد إلا عطشا! لذا طرت فرحا عندما اجتمع أهلى وقرروا أن يتخلصوا من عبئى بتزويجى لأحد كبراء العائلة..

ووجهائها وأكثر أبنائها نفوذا ومالا بعد أن أدركوا أن الاحتفاظ  
بجمرة مُشتعلة مثلى عزباء فى البيت ربما يُنذر باندلاع حريق لا  
قبل لهم به! وكنت قد أنمت السادسة عشرة لتوى ففرحت لأنى  
ظننت أن تلك الفُوهة المُضطربة النهمة بين فخذى ستستريح من  
عبثى اليومي بعد أن تأنس بفارس يُخمد نارها ويرويها ويرضيها،  
وبالفعل زفونى إلى كبير عائلتنا الذى يكبرنى بثلاثين سنة وأنا بعدُ  
فى المدرسة الثانوية! لن أنسى أبدا يوم دخل بى، لم أكن خائفة بل  
كنت كالفرسة متأهبة متوثبة، كنت كلعوب مُتلهفة، بينما تكور هو  
على كنبه فى ركن من عُرفة النوم يتقصد عرقا ويهذى بكلمات تنم  
عن ذهوله من جمالى وانبهاره من أنوثتى وإغراء جسدى ويكلم  
نفسه بصوت مسموع:

- معقول! هذا الجمال كله لى! كيف أفعل مع مثل هذه..  
لا لا.. لا طاقة لى بهذا الطوفان!

جَلسْتُ..

جَلَسْتُ أَهْدَى مِنْ رَوْعِهِ وَأَعَابَتْهُ حَتَّى نَامَ عَلَى صَدْرِي،  
لِيَمْتَلَأَ الْبَيْتَ فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِيِ وَيَنْفُضَ، وَكَبِيرِنَا الْعَرِيْسَ يَنْفُودَ  
بِمَشَايخٍ وَيَتَّصِلُ بِهَوَاتِفٍ وَيَسْتَدْعِي أَطْبَاءَ وَتَنْهَالُ عَلَيْهِ اللَّفَافَاتِ  
وَالْعَبَوَاتِ وَالْوَصْفَاتِ، حَتَّى إِذَا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ اشْتَعَلَ وَتَمَطَّعَ وَزَأَرَ  
وَأَثَبَتْ وَجُودَهُ وَأَبْدَعَ! لِيُظِلَّ كُلَّ لَيْلَةٍ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ، يَزْدَرِدُ مَا يَأْتِيهِ  
مِنْ وَصْفَاتٍ فَيُشَبُّ فِي جَسَدِهِ حَرِيْقٌ يَجْعَلُهُ يَهْجُمُ وَيَطْلَعُ وَيَنْزِلُ  
وَيَزِيدُ وَيُعِيدُ حَتَّى تَنْقَطِعَ أَنْفَاسُهُ وَيَبْرُكُ كَالْجَمَلِ الْمُنْهَكِ وَأَنَا لَمْ أَزَلْ  
بِكَامِلِ لِيَاقَتِي وَعَافِيَتِي وَنَشَاطِي لَمْ أَكْتَفِ لَمْ أَهْدَأْ وَلَمْ أَشْبَعْ بَلْ  
أَجِدُ نَفْسِي فِي غَايَةِ السَّعَادَةِ وَأَنَا أَصْرَعُ هَذَا الثَّوْرَ كُلَّ لَيْلَةٍ مَلُوحَةٍ  
لَهُ بِخَرَقَتِي الْحَمْرَاءِ حَتَّى يَسْقُطَ دَائِخًا وَلَهُ خَوَار! مَشِينَا عَلَى هَذِهِ  
الْوَتِيرَةِ لِسَبْعِ سَنَوَاتٍ تَقْرِيْبًا أَنْجَبْنَا فِيهَا وَلَدِينَا وَإِذَا بِي أَفَاجِيٌّ بَعْدَهَا  
بَانْقِطَاعِ التِّيَّارِ مِنْ جَسَدِهِ، وَنَضُوبِ الْمَاءِ مِنْ وَتَدِهِ الَّذِي صَارَ  
فَجَاءَ كَالْجُورِبِ الْقَدِيمِ الْبَالِي! كُلَّ زِيَارَاتِ الْأَصْدِقَاءِ وَنَصَائِحِهِمْ  
وَمَكَالِمَاتِ الْأَطْبَاءِ وَأَدْوِيَتِهِمْ وَوَصْفَاتِ الْمَشَايخِ وَدَعَوَاتِهِمْ لَمْ تَعُدْ  
تُجِدِي نَفْعًا لِإِعَادَةِ الشَّيْءِ إِلَى أَصْلِهِ أَوْ حَتَّى إِلَى نَصْفِهِ! وَبَعْدَ  
ثَبُوتِ اسْتِحَالَةِ اسْتِعَادَتِهِ لِانْتِصَابِهِ شَعْرَتٍ وَكَأَنَّ زَلْزَالَ مَبَاغِتًا قَدْ  
هَدَمَ بِنْيَانِي أَوْ أَنْ إِعْصَارًا غَادِرًا قَدْ حَطَمَ كِيَانِي، أَحْسَسْتُ وَكَأَنِّي  
حُوصِرْتُ فِي مِثْلِ بَرْمُودَا، فَاسْتِعَادَتُهُ لِرَجُولَتِهِ مُسْتَحِيلَةٌ، وَالطَّلَاقُ  
فِي عَائِلَتِنَا لَا سِيْمَا مِنْ أَحَدٍ رَمُوزَهَا أَشَدَّ اسْتِحَالَةً بَلْ دُونَهُ خَرَطُ  
الْقِتَادِ، أَمَا الْوَقُوعُ فِي الْحَرَامِ بِالنَّسْبَةِ لِي فِدُونَهُ الْمَوْتُ!

وظل هذا المُثلث القاتل يَعْتَصِرْنِي لأوشك على الغرق إثر أول محاولة انتحار أقدمت عليها، بعد أن وصل معدل ممارستي للعادة السرية إلى عشر مرات في اليوم والليلة، حتى كَرِهْتُ نفسي وهممت أن أجتث هذا النصل الصغير اللعين الذي يُطل مُشربًا من أعلى فوهة شهوتي، كَعُودٍ مَحْمِيٍّ إلى حد الاحمرار يكويني ليل نهار، في الحركة والسكون، في الصحو والنمام، في الحزن والفرح، في الحر والبرد، في الفطر وفي الصيام، وحتى في الصلاة وفي القيام، أُصَلِّي وَكُلُّ شَيْءٍ فِيَّ مُنْتَصَبٌ مُتَوَهِّجٌ مُبَلَّلٌ، حتى من رائحة العجين أو الخبز الطازج أثار وأبلل، من المانيكير والباديكير في الكوافير أكاد أُجن، لم أعد أطيق ملابسي من شدة انتصاب أجزائي كلها والتهابها، وكلما ذهبت إلى طبيب وعاین أعضائي دُهل من غناها واكتمالها وجمالها فطمع فيَّ وهمَّ بي، وكلما قَصَدت شيئا يتحاكون عن تقواه وسره الباتع احتال عليَّ وتحرش بي، حتى كان اليوم الذي غرر بي أحد هؤلاء المشايخ وغيبني بتعاويذه وبخوره وفتك بي بقوة لم أر مثلها في حياتي، فلم يكن من بد إلا الإقدام على الانتحار، وبالفعل أقدمت عليه بقطع شراييني..

وكشفت لي عن رسغها وآثار الجروح باقية فيه واستطردت:

- لكن يبدو أنه كان لله حكمة في أن يُنقذوني لأواصل..

العيش فى فُعر جحيم رغبتى المستعرة لخمس وعشرين سنة حتى الآن فى فيلا يملؤها الخدم، خُصصت لى على سبيل الترضية لأتكوم فى أحد طوابقها الثلاث وحيدة أرتعش كالشريد وأتلوى كالمصروع!

قلت لها: لكن هذا غير معقول سيدتى، فقد كان يسعك أن تتفصلى عن زوجك، فمهما كانت العادات والتداعيات لكن الله شرع الطلاق لإنقاذنا من المهالك والفتن.. فردت وهى تمسح دمعة فرت منها:

- ليت الأمر بهذه السهولة، بل يستحيل أن يعرف أحد

بالمشكلة أصلاً، فما دام الظاهر جميلاً وبراقاً، والحاج موجود وبخير ومنور الدنيا بأبهته وثرائه فليس ثمة مشكلة، ثم أننى أبدو دوماً محتفظة برونقى وجمالى واحترامى أمام الكل وفى كل الأوقات والظروف، ولدينا الثروة والفيلات والفُسح والسفر لدول العالم، والكل يحسدنا على ما نسبح فيه من بحار النعم والحمد لله! قاطعتها قائلاً: ولكن لماذا لم تشغلى تفسك بالعمل والأنشطة الاجتماعية والقراءة والصوم والعبادة؟! وبابتسامة لا تخلو من سُخرية قالت:

- أما عن العمل فأنا الآن سيدة أعمال على الورق فقط..

بعد أن جريت النزول إلى العمل ولم أحتمل التعامل مع الرجال، فكلما اقترب منى أحدهم أو نظر لى باهتمام أو كلمنى كلمة رقيقة لا أدرى بنفسى وأشعر أنى مُثارة، حتى كفتت عن النزول! وأما الأنشطة الاجتماعية فتجعلنى مادة مثالية لحسد النسوة وتشفى بعضهن وتشفى البعض الآخر، ما جعلنى أقلل من حركتى الاجتماعية وأحصرتها فى أضيق نطاق، وأما القراءة فأنا بطبيعتى مثقفة وعاشقة للقراءة فى الدين والتاريخ والأدب والشعر بل وأحرص على الحضور إلى معرض القاهرة للكتاب كل عام ما استطعت، وأما القرآن فأقرأ حتى خمسة أجزاء فى بعض الأيام وأصلى فى الليل وأصوم معظم الأيام، لكننى أنهار تماما بمجرد أن أتعرض لنسمة عابرة من إثارة!

نهضت من مكانى إيذانا برغبتى فى الانصراف، معذرا: عفوا سيدتى أنا لم أصادف فى حياتى المهنية لحالتك هذه مثيلا، ولا أعرف كيف أساعدك.. لتنهض هى الأخرى وتقترب منى فى محاولة لإثنائى عن المغادرة فتزلزل كيانى باقتراب صهد أنفاسها العاطرة منى قائلة بجرأة:

- تفضل بالكشف علىّ الآن فرما تُجرى لى جراحة تجميل

تسد بها فُوهُة هذا البركان، عساها تُهدأ من ثائرتى..

التي كنت أظنها ستقل مع تقدمي في السن ولكنها للأسف تزداد اشتعالاً!

أحاول الإفلات من شباكها الحريرية، فأكلمها وأنا مُتجه نحو الباب: مستحيل سيدتي، مستحيل أن نُجرى أية جراحات تجميلية في هذه الأماكن الحساسة وخصوصاً في هذا السن، أيضاً اسمحي لي أن أوضح لحضرتك مبدئياً أن ما تجدينه من فوران جنسي دائم ومتجاوز للحد المعقول لا يُشترط أن يكون سببه راجعاً لعدم الختان أو للاكتمال النموذجي للتكوين التشريحي لأعضائك الأنثوية، مع إقرارنا بأن هذه عوامل مساعدة في تأجيج الإثارة، لكن ليس شرطاً أن كل سيدة لم تُختن أو حباها الله بأعضاء أنثوية مكتملة ونموذجية أن يعترها ما يعتركي من شطط في الإثارة، فهناك كوابح ذاتية تبدأ من المخ ثم من البرمجة النفسية والسلوكية للمرأة من البداية، وهي كوابح كفيلة بضبط انفعالاتها والتحكم فيها لإبقائها عند الحد الذي يحقق لها السعادة ويحفظ لها هدوئها النفسي واتزانها، بمعنى أن السر يبقى في المخ سيدتي، بالتحديد في الخلايا المسؤولة عن إدارة تفاعلات الإثارة والرغبة في المخ، ومع ذلك دعيني أستاذُك الآن لتأخر الوقت وأعدك أن أدرس حالتك وربما أشارك فيها بعض أساتذتي وزملائي.

لكن اسمح لى يا دكتور نزار .. ماذا عن أسرتها، وأين أبيها؟ فأنت لم تذكر شيئاً عن موقفهم من مأساة ابنتهم!

- فالتفتى فى غمرة سخونة السرد لكننى فى الحقيقة لاحظت

تأثرها الشديد بأبيها ربما أكثر من أمها بكثير، وعندما سألتها: كيف تُظهريين هذا الاعتزاز البالغ بأبيك وتتحدثين عن قُربك منه وصادقتك له وتأثرك به ومع ذلك لم تُفاتحيه فى مشكلاتك وتُصارحيه بها من بدايتها؟! اندهشت جدا وقالت بانفعال:

- يستحيل أن أفاتح أبى فى أمر حساس ومُخجل كهذا،

كيف وهو على قناعة تامة أن تزويجى من أغنى رجل فى العائلة وأفضل رموزها هو هدية العمر التى أهدانى إياها؟! ولو كنت فعلت وصارحته لربما كان أُصيب بجلطة ومات فيها، ونفس الموقف ينطبق على إخوتى الشبان، أما أمى فلم أكن على تواصل ولا تفاهم ولا وفاق معها يوماً ولا يمكن أن أُشمتها بى.

هذا جنون، ما تتلوه على مسامعى يا دكتور نزار محض جنون، كيف يفعل المرء بنفسه هكذا، أين العقل والمنطق؟! بل أين الله سبحانه فى حياتنا، ولماذا آمنا به وبشريعته؟! كيف يستقيم أن يُسارع المرء بالشكوى وطلب المساعدة إذا أھمه أمر..

أو حتى إذا شاكرته شوكة في إصبعه، ولا ينبس ببنت شفة إذا ضربت حياته الخاصة صاعقة فهدمت بُنيان عمره؟! وهذه السيدة إذا لم تضع أباهما في صورة مشكلة بهذا الحجم وتطلب عونه ومساعدته فما قيمة وجوده في حياتها؟! ثم يا أخى كيف يفتح الله لنا بابا فيه تسريح بإحسان ونُغلقه نحن في وُجوه أنفسنا بآلاف القضبان وكأنه رُجس من عمل الشيطان، ونُسَدّه بتقاليد ظالمة غيبية ما أنزل الله بها من سلطان! ومع ذلك، ما هي النتيجة الآن؟ إلى أين وصلت أنت مع هذه الحالة العجيبة وماذا قدمت لها من حلول لتُساعدنا على الخروج من حصار "مثلث برمودا" حسب وصفها الذكى: زوج مَيُّوس من شفائه، وطلاق مُستحيل وقوعه، وخطيئة دونها الموت!

- طبعا لم أكن في حالة تسمح لى بالتفكير فى ظل جو

الجلسة الذى لا يخلو من إثارة، ثم إننى لست مؤهلا لتقديم أية حلول فى مثل تلك الحالات المتجاوزة للحد، ولأننى عاجز أصلا عن تقديم أية حلول لِنفسي فقد اكتفيت بالانصراف متأثرا، وبصرف النظر عما تُظهره من تدين وعبادة وصوم، فإن التحرر الزائد الذى يُميز مظهرها ومسلكتها والذى يأخذ طابعا أوروبيا صرفا لا يُساهم فى تهدئة حالتها بل يُوَجِّجها أكثر، ولا يساعد على صد الطامعين فيها بل يُجرئهم أكثر..

وإن كنت أعتقد أنها تجد سعادة كبيرة في هذا الانبهار الذي يُحيطها أينما حَلت، فهي مفتونة بجمالها إلى أبعد حد! وبالرغم من طبعي المُستحکم كإنسان، أننى لا أطيق رؤية أحد يعانى دائخا فى دوامة ولا يجد منها مخرجا أو يعثر لها على حل ويحتاج إلى مساعدتى وأقف ساكنا أو أتخلى عنه، إلا أننى قررت أن أنسى الموضوع وأن أعيد إليها المبلغ الذى دفعته لى وأعتذر عن مساعدتها، فلو زعمت أن لَدَى القُدرة على الصمود أمام إغرائها أكون كاذبا، ولا أعتقد بعد ما رأيته منها أن أحدا يقدر على مقاومة فتنتها الطاغية، علاوة على أن ضميرى لا يسمح لى أن أورطها مع مركز من مراكز التجميل لبعض الزملاء المُحترفين فى التعامل مع مثل حالتها، فلو طالوا مثلها سيمزقونها بلا رحمة.

عظيم جدا.. والله يا سيدى عين العقل أن تُغلق هذا الملف وتكف عن الرعى حول الحمى كى لا تقع فيما لا يُحمد عُقباه.



يَا لَيْتَ..

- يا ليت.. فقد اتصلت بى فى اليوم التالى، وكنت قد استنفذت كل الحيل لأهرب من الذهاب إليها، وقالت:
- يبدو أنك محرج من الكشف عليّ..

قلت: الكشف السريرى، سيدتى، فى عملى نادر جدا ومحدود وهو فى حالة حضرتك غير لازم بالمرّة.. لتصعقنى قائلة:

- على أية حال أنا التقطت لك صورة لكل شئى وكأنك قُمت بالكشف بالضبط، تفضل راجع الصور على الواتساب وأنا بانتظار ردك..

وفعلا حصل يا نزار!

- اطلعت على الصور من باب الفضول العلمى على الأقل،

لأعرف ما شكل هذا الشئ الذى يفعل بالإنسان هذا كله! وفعلا فاجأنى ما لديها وبدا لى مُذهلا ومُتخطيا للمألوف.. لكننى أفقت على مغزى آخر لإصرارها على معاينتى لها سريريا، أو على الأقل إطلاعى على هذه الصور التى بدت إغرائية فاضحة أكثر من منها تشخيصية واصفة!

وما هو يا دكتور؟!

- فهمت أنها محاولة لمزيد من الإغواء..

فهي نفسها ذكرت أن مُعظم من عاينوها من الأطباء ضعفوا أمامها ومع ذلك فهي لا تتعامل إلا مع الأطباء من الرجال دون الطبيبات بالمناسبة! وبالفعل سرعان ما حرص الحق واستبان قصدها في المكالمة التالية والتي يبدو أنها استعدت لها جيدا، ظنا منها أنها ربما تُفنعني بالذهاب إليها مرة أخرى، فبدأتها بقول الله تعالى " الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ" النجم 32 ، قرأتها بخشوع وتمكن ثم أعقبتها بقراءة نص يُشبه الفتوى، قالت أنه لشيخ ممن تزورهم وتتبرك بهم، وهي محض أضاليل وثُرُعات طبعا، وخُلصتها التهوين من الوقوع في النزوات الصغيرة العابرة لمن استحكمت عليه شهوته، ما دام مُضطرا وفي نيته أنه سيتوب ويستغفر، فذلك خير له من الوقوع في الزنا! ثم بصوت كسحر هاروت وماروت همست:

- دكتور نزار إياك أن تظن أننا كنا مجرد أصدقاء على

الإنترنت بل نحن أحباب في الله والله، فكم أنا مُعجبة بشخصيتك الجميلة وخصوصا بعد أن تشرفت بزيارتك لى والتي أتمنى أن تتكرر قبل أن أغادر، فقد سحرتنى رقتك وانجذبت لك بشدة، ولا أدري كيف ولماذا أثرتنى بهذا الشكل! أشعر بأنك خبير فى إرضاء المرأة وإسعادها، وأشعر أيضا بأن راحتى ستكون بين يديك! فأرجوك يا دكتور ألا تُخيب فيك رجائى..

ثم إننى أشعر أن لديك مشكلة عاطفية مثلى فلما لا تأتى لتتعارف أكثر حتى ننسجم ونتفاهم ونتقارب، ويداوى كل منا جراح الآخر، وأعدك أن أضع جمالى وثروتى بين يديك ولا أطلب منك مقابلا أكثر من فضول حُبك، كما أعدك أن أحاول أن أتحمك بشهوتى حتى نجتنب كبائر الإثم والفواحش، وليغفر الله لنا ما نُسد به رمقنا من لَمَم!

دكتور نزار.. هل هذه السيدة حقيقية أم افتراضية؟! فما تحكيه يا صديقى لن يصدقه أحد، معقول هذه السيدة ذات الشأن فعلت هذا كله بنفسها حفاظا على شكل أسرتها الاجتماعى وصون وجاهة زوجها القبلية أو العائلية! وهل ما تفعله الآن، والله وحده يعلم ما فعلته قبل ذلك، هل حقق لها هذه الغاية؟! أين ضميرها؟ هل أصبح الضمير ضحية الرغبة تسحقه وتفترسه كلما اشتدت واستحكمت، أم أن ما يُمكن ستره لا يُحسب أثره ولا يُعد مُشينا أو مُسيئا لأحد؟! ما تقوله هذه السيدة يا دكتور هو خداع للنفس وتزيين للخطيئة وسير فى ظلامها فى ضوء شمعة من الأوهام والأكاذيب التى ليس للدين بها أية صلة، لكن يبدو أن اغترارها بجمالها وكبريائها ووضعها الاجتماعى قد جعلوها تستتكف أو تستكبر أن تبدو فى صورة امرأة عابثة! فاكر لما الدكتور شوقى كلمنا فى احدى المرات عن التنافر المعرفى أو..

cognitive dissonance theory .. تلك الحالة من الانزعاج التي تعترى المرء عندما تتناقض مُعتقداته مع أفعال لذيدة تُوافق هواه وتُريحه ولو مؤقتا أو تحقق له مكسبا عابرا أو توفر عليه معاناة لا يطيقها، فيهرب من إزعاج الشعور بالتناقض بأن يتحايل على معتقداته ذاتها ليلوى عَنقها ويغيرها لتوافق أفعاله! وهذا بالضبط ما تفعله السيدة هيفاء فتلف وتدور وتتحايل على الدين، وتستعين بشياطين تذهب إليهم على أنهم مشايخ فيسحرونها حتى تغيب بين أيديهم لينهشوا جسدها على وقع هذه الأضاليل، ويصل بها الأمر إلى أن تسافر إلى بلد آخر لتستبدل طبيبا محترما بشيخ دجال، ليُرضى غرورها ويليق بمكانتها الاجتماعية.. لكن أين زوجها؟

- زوج من؟!!

إنت سرحت فى إيه؟ زوج السيدة هيفاء..

- موجود.. زوجها موجود طبعاً.. ولكنه الآن رجل أعمال

سبعيني مشغول بشركاته وسفرياته المالية والسياحية والعلاجية، ويطل عليها فى فيلتها الخاصة من آن لآخر..

أعرف أنه موجود وحى يُرزق ولكننى قصدت أين هو من هذا كله، ولماذا لم يبادر هو من تلقاء نفسه بتسريحها بإحسان من البداية، عندما تأكد له أن ما لديه لن يقوم مرة أخرى من مقامه؟! كيف طأوعه ضَميره أن يُنهي حَياتها الزوجيه أو يَبْدُ رغبتها الشرعيه وهو يَعلم حُصوصية حالتها وجموحها ونهمها المُتجاوز لِكُل حَد؟! كيف سَمَحَ لِنفسه أن يحبسها إلى جواره، هل يَعتبرها قَديسة أو راهبة مثلاً؟! كيف تعرف أجفانه طعم النوم وقنبلة الديناميت هذه على ذِمته كل هذه السنين؟! كيف استبعد إمكانية انزلاق مِثلها بكل سُهولة إلى دَوامة البحث عن يَهْدَى رغبتها النشطة، لا سيما وهى تَدخل وتُخرج وتُسافر وتُقيم فى الفنادق وتعيش فى فيلتها بِمفردها وبالشكل البالغ التحرر والإغراء الذى وصفته سيادتكَ! لذا فأنا أعتبر هذا الرجل هو المسئول الأول عن مأساة هذه السيدة قبل والديها ومجتمعها الثرى المُغلق المُتخلف، ولكن ماذا كان رد فعلك النهائى معها؟

- للأسف، تورطت معها فى بعض "اللمم" الذى تورطت فيه مع كل من حنان وسوزان، وإن اختلفت درجة التورط وصورته معها عن كليهما، فهى أعتى من تسونامى فعلا، وأرجوك أن تعفينى هذه المرة من التفاصيل ولكن المهم أنها همست مُودعة عقب آخر لقاءاتنا قائلة:

- سأزور القاهرة بانتظام لأتفياً ظلال جنتك وأتسم عبير  
بساتينك الفيحاء، وأى بلد أو مدينة تسافر إليها أخبرنى  
لألحق بك أينما كنت، وفى باقى الأيام نتواصل بالكاميرات  
لنفعل ما نشاء على سكايب.

وحضرتك واصلت السير خلفها على هذا النحو؟

- كِدت أن أفعل ولكن الله سلم، وعلى الفور قررت التوقف

والانسحاب قبل أن أسقط فى جرف هَارٍ ربما ينهار بى فى نار  
جهنم! وبعدما رأيت ما رأيت، وبعدما عَانيت من تَجارب وخُصت،  
عَزمت على أن أعود إلى إيناس لأبدأ معها من جديد، ولم أدر  
بنفسى إلا وأنا أقود سيارتى بسرعة متوجها إلى بيت حماتى  
لأرتمى فى حضن إيناس وأنهال على يديها وجبينها ووجنتيها  
تقبيلًا، وأعود بها إلى بيتنا لأرشف من رحيقها حتى الصباح..  
لكن يبدو أن الألوان كان قد فات، وتلك السُويغات التى ظننت أننا  
سهرناها نستمتع ببعضنا البعض لنعيد توصيل التيار إلى مصابيح  
حبنا التى طال أمد خفوتها حتى أوشكت على الانطفاء.. ما أن  
طلع النهار حتى اكتشفت أنها كانت بالنسبة إلى إيناس مجرد  
شربة ماء بارد صادفها عابر اشتد به الظمأ فشربها وغادر!

مش فاهم يا دكتور.. ماذا تقصد؟!

- يعنى إيناس خلاص لم تعد كما كانت، فقد خمد أوار

نيرانها، وأصبح أداؤها معى مُختلفا وباردا ومنزوع الإحساس، فما أن انتهيت حتى أعطتني ظهرها قائلة بكل هدوء:

- إنما كنت أؤدى ما عَلَى من واجب شرعى وألبى دعوتك

حسب الشرع خوفا من الله، لكننى أتمنى ألا تدعونى مرة أخرى لو سمحت فلم يَعد لَدَى ما أقدمه لك..

تماسكت وأنا أرد عليها بانكسار: حاشا لله أن تكون حبيبة عظيمة مثلك مجرد أداة جاهزة لتقديم المتعة عند الطلب، ثم من قال أن تواصل الزوجة مع زوجها هو مجرد إمضاء فى دفتر الحضور عند البداية ثم توقيع بالانصراف فى النهاية، ربنا جعل العلاقة الزوجية محضنا للمودة والرحمة وإرواء لأزاهير الحب والوئام والانسجام، ومهما كانت الفجوات فى المشاعر، فإن أداء هذه العلاقة بحرارة وصدق وإخلاص كفيل بسدها وإذابة أى جليد تراكم على إثرها.. لتبادرنى وهى لم تنزل مُشيحة عنى بوجهها:

- كم أنت غريب ومتناقض يا دكتور، الآن تتكلم عن العلاقة

الزوجية التى كم استكثرتها ومننت عَلَى بها وجرحت مشاعرى وأذقتنى الذل بسببها واعتبرتتى امرأة شَبِقة لا يعينها إلا الجنس..

لمجرد أننى كنت أريد أن أكون زوجة مثالية لا يراها زوجها طوال الوقت إلا وهى فى أجمل صورة، ليهنأ بها وتهنأ به! كم حرصت أن ألبس لك أجمل الثياب وأتقن لأصنع لك أطيب الطعام، ولم تدخل البيت يوماً إلا وهو يُشع نظافة وورداً وعطراً، طعامك على المائدة وجاريتك فى الفراش! جاريتك التى بُح صوتها وهى تتناديك كما تتادى " أنثى الدولفين " ذكّرها وتُصدر له أصواتاً وتبعث له روائح كلما دعتهما الحاجة إلى حبه وحنانه وتواصله، لشد ما أعبط أنثى الدولفين فهى أسعد منى حالاً وأوفر حظاً، فلم يحدث أن صمّ الذكر أذنيه عن نداءها أو تقاعس يوماً عن إرضائها! أما أنا فأظل أناديك وأحوم حواليك وأحايلك وأداديك حتى أكاد أقبل الأرض تحت قدميك، وأنت تزدربنى وتتمنع علىّ وكأن لسان حالك يقول: معاذ الله أن ارتكس لحمأة الجسد، إنما أنا أرقى من هذا، أنا لا أقنات الجنس، إنما أتغذى على الرومانسية! فما أعجبك وما أغربك من نرجسي مغرور! ثم بالله عليك هل حرمتك يوماً من الرومانسية التى تدعى لها حُباً وتتخذ منها حُججاً؟! وماذا تُسمى تغزلى فيك؟ وماذا تعنى لك كلماتي وورودي وعطوري؟! أى رومانسية تتحدث عنها وتحارب من أجلها وأنا أتسول منك اللمسة والحُضن والقُبلة يا رجل؟! لتتهض واقفة تلم جسدها البارد فى رובהا الحريري، وبنظرة عاتبة وشفاه مرتعشة وعين دامعة، تُواصل جُلدى بسياط كلماتها:

- يا خسارة يا نزار، لقد منحتك أقصى ما تمنحه زوجة

جميلة مثقفة مُحترمة مُخلصة مُحبة لزوجها من روح ومشاعر وجسد، وأحبيتك وأسرفت في حُبكِ وتذلت لك، ولكنك قابلت هذا كله بتعالٍ وغُرور، وأمعنت في إهانتى وإذلالى، ولم تعبأ بحرمانى من دِفءِ فراشى، واستمرأت أن تهجرنى وتُهملنى الليلالى تلو الليلالى وحيدة فى حُضن الظمأ، وتتركنى أتلظى فى براثن الغَيْظ والكمد.. والآن تأتى لتتكلم عن العلاقة الزوجية والمودة والرحمة! للأسف تأخرت كثيرا يا دكتور، وإن كان ثمة إمكانية أو أمل فى ردم الهوة التى لم تزل آخذة فى الاتساع بيننا فاعتقد أن هذا سيحتاج إلى وقت طويل، فلنكمل رحلة بحثك عن الرومانسية يا دكتور، فربما تكون أسهل لك وأقرب.

مَارِيَّة..

مارية تخطت التاسعة فهل مسألة ختانها تُعتبر مَحسومة  
أم أن جديدا قد جد في ذهنك يا زوجتي الحبيبة؟

- بالنسبة لى فأنا لم أزل عند الرأى الذى اتفقنا عليه فى

آخر نقاش لنا حول الموضوع بعدم ختان البنت واحترام  
خصوصيتها وكينونتها والتركيز على بناء شخصيتها وإثراء ثقافتها  
وتعزيز حريرتها وثقتها بنفسها، كما فعل والدى رحمه الله معى أنا  
وأختى، فقد رفض بشدة رأى والدتنا بأن يفعل المعتاد ولا يَشُد عن  
المجتمع ويُعرضنا للمخاطر ويُقلل فرص زواجنا، وكنت أستمع إلى  
نقاشهما أحيانا وهو يقول لها بتفتح ووعى أحسده عليه: المهم تربية  
البنت صح واحترام خصوصيتها لنتق بنفسها فالكنترول أساسا فى  
المخ أكثر منه فى الأعضاء! وكنت أفكر طوال الليل فى معنى  
كلامه حتى قرأت ودرست أن زر تشغيل ماكينة الرغبة الجنسية  
موجود فى المخ بالدرجة الأولى ثم تأتى الأعضاء فى المرتبة  
التالية! أيضا سمعت فى إحدى المحاضرات التى أُلقيت عندنا فى  
الكلية ضمن فعالية نظمها تتعلق بموضوع الختان، وإن كنت لم  
أفهم الكثير، لذا أرجو أن تتحملنى لأن الكلام كان طيبا تشريحيًا  
بحتا، لكن ما استطعت استخلاصه ولا أدرى إن كان كافيا أو دقيقا  
علميا أم لا: أن من الخطأ اعتبار الحافز الجنسي عملية تلقائية  
تأتى من الأعضاء التناسلية ذاتها فقط..

لأن الاستجابة الجنسية تبدأ فى الانطلاق من المخ حيث ترقد الغدة النخامية فى حفرة خاصة داخل تجويف الجمجمة وهى التى تلعب دوراً بارزاً فى تنشيط الرغبة الجنسية من خلال الإشارات التى تبثها عبر الوحدات العصبية الواصلة إلى المنطقة القطنية العجزية من الحبل الشوكى فتحفز المبيض فى الأنثى ليبدأ بإفراز الهرمونات الأنثوية، أو تحفز الخصية فى الذكر ليبدأ بإفراز الهرمونات الذكرية مما يؤذن بتحريك الرغبة الجنسية، فهل هذا يعنى أن عملية الختان تطال النهايات التى هى ثانوية التأثير لا البدايات التى تُعتبر مُولدة التحفيز مثلاً؟ مش عارفة! علاوة على إنى بسمع من بعض الصديقات والزميلات شكاوى سلبية مكبوتة عن معاناتهن فى الفراش بسبب الختان الذى أُجرى لهن لمُجرد التقليد الأعمى أو بناء على فهم ديني خاطئ ودون مراعاة للصورة التشريحية للحالة وإن كانت تحتاج إلى تهذيب من عدمه أم لا!

ولكن يا نَهْلي.. إذا كنتى تقولين أن زر التشغيل فى المخ فما الفارق إن أبقينا العضو على حاله أو استبعدنا ما قَلَّ منه أو كَثُرَ، ما دامت كيمياء المخ أو نسب الهرمونات هى التى تحدد مستوى الرغبة الجنسية وتتحكم فيها؟!

- لا طبعا فهناك فرق بين أن تصل إشارات المُخ إلى عُضْوِ

سَلِيمٍ مُكْتَمَل الحساسات العصبية..

وبين أن تصل إلى بقايا هزيلة عصبيا وغير قادرة على تنفيذ الإشارات، فالأعضاء التناسلية مثلها مثل بقية أعضاء الجسم تصح بصحة الحالة العامة للجسم وتضعف بضعفه، فكيف تقطع أو تبتتر أو تستأصل من الأنثى جزءا من أعضاء أساسية عاملة ناشطة وغنية عصبيا وبالغة الفعالية والإحساس، وليست مجرد زوائد جلدية لا وظيفة لها، مثل تلك التي تُستأصل من رأس العضو الذكري في ختان الذكور؟! وبالتأكيد كلما كانت المرأة جيدة اللياقة البدنية والنفسية والوجدانية ومُفعمة بالشباب والرشاقة والحيوية، كلما انعكس ذلك على لياقتها الجنسية، والعكس صحيح! الخلاصة يا حبيبي، ولكي نحسم هذا الأمر وضميرنا مُستريح: أن الحل ليس في البتر من خلال عادة الختان بقدر ما هو فيما اتفقنا على تسميته بالبرمجة، البرمجة النفسية والثقافية والأخلاقية للبنات وضبط إيقاعها الوجداني من البداية بحيث تكون شخصيتها متوازنة بين الحرية والثقة بالنفس، واحترام الذات والقدرة على التحكم فيها.. لكن لما هذا الجدل "الفسولوجي" الجديد!؟

أبدا، اكتشفت أنني محتاج لبحث مُعمق في بعض الموضوعات من هذه العينة لتأصيل فكرة محورية في الرواية..

لذا أخذت أجازة لأظل عاكفا على هذا الجزء الهام من الرواية حتى أنهيه، والبركة في حضرتك طبعاً..

- الرواية.. الرواية.. أما لليل هذه الرواية من آخر؟! ثم هل

ستدور أحداث رواية حضرتك فى عيادة لأمراض النساء أم فى منزل إحدى الدايات، لتُغرق القارئ فى هذه التفاصيل التحتية بهذا الشكل؟!

هههههه.. التماسى العذر لكِ فى عدم استيعاب أهمية ما أريد التعرض له فى هذا العمل من قضايا.. يجعلنى أحتمل سخريتك وشقاوتك، ولكن ولأننى مُرهق جدا دعينا نستريح الآن ونكمل فى الغدِ إذأ يا فيلسوفه.



انت..

- انت صحيت امتى؟ لحقت تنام! وكتبت دا كله إمتى!  
ومين قالك إن قارئ اليوم مُستعد يوجع دماغه فى المشاكل  
الشائكة والتفاصيل المُرهقة دى؟! إنت....

رفقا بى يا قطتى الشقية وكفاك قرصا وعضا.. هههههه.. طيب  
قومى من فوقى علشان أعرف أتنفس.. طيب صباح الخير  
الأول..

- صباح الشغل يا حبيبي.. حضرتك ضُبطت مُتلبسا سايب

سريرك وغطسان فى القراءة والكتابة.. وبناء عليه.. زى الدكتور  
الكتاتى ما بيخشط بعصبية فى البرلمان.. هههههه.. ويعد أن  
استمتعت بحمامى.. سأجلس الآن للتلصص على أجندتك  
ومُسوداتك وقراءة ما كتبته الليلة من أفكار، كما تتلصص أنت  
على أجندتى ومُسوداتى، وتكون حضرتك صَحيت الأولاد وعملت  
لنا فطار من إيديك الحلوين دول، وأدى بوساة لايديك الحلوين  
والباقى لما تعمل الفطار، اتفضل انجز على ما اشوف حضرتك  
كاتب إيه وسيني أركز..

من محاضرة د. شوقى، الخميس 2011/4/14

الرغبة الجنسية!!

يا لطيف.. إيه ده..

من أولها ضرب نار كده!

## • الرغبة الجنسية في الإنسان ليست حتمية قاهرة ولا

اضطرابية نازلة، وليست كخاصية الجاذبية الأرضية التي تُجبر الأشياء على السقوط بحيث لا يستطيع الفرد أن يتحكم فيها، فالثابت أن الهرمونات التي تُنظم عمل الجهاز التناسلي يتم التحكم فيها عن طريق غدة أو مكان مُهم يقع بين سقف الفم وقاع المُخ، أو تحت سرير المخ، ويعرف باسم المهاد التحتي أو الهيبوثالاموس Hypothalamus وهذا المكان يُمثل النَّفس ويكوّن مُحتوياتها من تفكير وإدراك وانفعال وسلوك، حسب د. عادل صادق، فهو جهاز استقبال وإرسال، يستقبل الشُّحنات الانفعالية من النفس، ومن ضمنها شُحنات الإثارة الجنسية، ثم يرسلها إلى أجهزة الجسم المختلفة، ومن ضمنها الأجهزة التناسلية، لتعبر عنها، كُلُّ بطريقتها! وما يَهمنا هنا أن هذه الغدة تخضع لسيطرة الفص الأمامي من المخ أو Frontal Lobe والذي يُمثل التفكير والأفعال الإرادية، ما يعنى أن الرغبة الجنسية في الإنسان خاضعة للإرادة والوعي فى النهاية، وليست كالأنشطة غير الإرادية أو التلقائية التى لا تحتاج إلى تفكير من الإنسان ولا يمكنه التحكم فيها كحركة المعدة والأمعاء وانقباضات القلب، مما يُخالف الاعتقاد السائد بأن الرغبة الجنسية في الإنسان قدرية حتمية أو مُلحة واضطرابية! ولو كانت رغبتنا الجنسية مسألة لا إرادية..

خارجة عن إرادتنا فما الداعي للأخلاقيات ومجاهدة النفس من خلال منظومة القيم والضوابط الإنسانية والدينية والاجتماعية؟! لكن الحقيقة أن الإنسان هو الذي يضع نفسه في ظروف معينة تجعل المسألة تبدو له لا إرادية، في حين أنه يستطيع أن يتحكم في هذه الظروف حتى لا تكون الرغبة قاهرة لديه ومُسيطرة عليه.

• إذا اتفقنا أن الجنس في الإنسان ليس حتمياً فهل معنى

هذا أننا نستطيع أن نُلغيه تماماً من حياتنا؟ والإجابة: بالطبع لا.. فالجنس يُعتبر جزءاً أساسياً في كيان الإنسان ولا يُمكن استبعاده نهائياً وإلا أصبح الإنسان ناقصاً، لكن التحدي يكمن في إحداث التوازن في حياة الإنسان بوضع الجنس في مكانه وحجمه الطبيعي كحاجة ضمن الحاجات الإنسانية الفطرية التي تُغني وجوده.

• ولكن التحكم في الرغبة الجنسية والسيطرة عليها ألا يُعد

سبباً للكبت؟ والإجابة: أن هناك فرق بين الكبت وضبط النفس، فالكبت هو عملية ناتجة من خوف أعمى يجعل الإنسان يُنكر حقيقة مُعينة ويتصرف كأنها غير موجودة فيه، مع أنها تكمن في جزء من كيانه ولكنها تنتظر الفرصة لتظهر على السطح، إذاً فالكبت هو: "رفض الاعتراف بحقيقة موجودة بالفعل"، وإذا طبقنا هذا التعريف على الطاقة الجنسية سنجد أن كبت الطاقة الجنسية..

لا جدوى منه، لأنه من غير المعقول أن تكبت طاقة هائلة موجودة بداخلك لفترة طويلة، لأن النتيجة التلقائية أن هذه الطاقة المكبوتة ستنفجر فجأة وبطريقة عشوائية إذا ما وجدت الفرصة المواتية، وبالطبع سيكون الحال أسوأ بكثير مما لو كنت قد تصرفت تجاهها بحكمة من البداية وضبطت نفسك وتحكمت في رغبتك بدلا من أن تُنكرها وتكبتها، علاوة على أن الصراع الداخلي الناتج عن الكبت يسبب الكثير من الأمراض النفسية! أما ضبط النفس فهو: عملية تصالحية بين الإنسان وبين رغباته يبذل من خلالها جهدا لإرضائها دون أن تَبغى إحداها أو تَطغى على الأخرى، فالإنسان هنا هو من يُقرر كيف يتحكم في طاقته الجنسية ويوجهها ويصرفها تصرفا سليما يحفظ إنسانيته وسلامته النفسية والبدنية، وبالتالي ضبط النفس هو سلوك ناتج عن وعي وإرادة.

• لماذا يكون أحدنا شبقاً وكأنه صار عبداً لصنم يُسمى

الجنس؟! ذلك لأن الشبق الجنسي يعود سببه غالبا إلى ما يُشبه الخلل في الهرمونات، فالهرمون المُذكر عند المرأة مثلاً، موجود بنسبة 1 إلى 10 في الحالة الطبيعية، فإذا ارتفعت هذه النسبة لدى إحداهن فإنها تشعر بتضخم البظر واحتقانه، ويكون شعورها هذا مماثلاً لشعور الرجل بالانتعاض، ما يدفعها إلى الإلحاح في طلب تهدئة الثورة الجنسية المشتعلة جراء هذا الخلل الهرموني!

## نقاط مُهمّة للنقاش في التكعيبة:

- مُشكلة بَرَمجة البنت على الجُبن وفُوبيا العاطفة والحُب والخجل من الجسم والخوف منه وتجاهله ولو على سبيل التجميل أو التنظيف! وبَرَمجة الولد على أن أخته الأنثى إنما خُلقت لِخدمته وهو جَالس، وتَلبية أوامره وتَحمل تَسَلطه وإهاناته.
- أهمية ممارسة البنات للتمرينات الرياضية وخصوصا لمنطقة الحوض، لما لها من أهمية لمستقبلهن الجنسي والإنجابي، وكذلك اكتشاف مواهبهن وإشباع هواياتهن واهتمامهن بالموسيقى والرسم والثقافة واللغة والأدب والفنون لما له من تأثير على البنت وعلى ثقنها بنفسها واستجابتها العاطفية.
- خُطورة ترجمة التّدين إلى عُقدة جنسية ذُكورية، بالمبالغة في الرعب والهلع من مجرد رؤية الأنثى أو ذكر سيرتها واختزالها في كونها مَصدرا للإثارة والفتنة، ومصادرة إنسانيتها وتكفينها بالسواد خوفا من رغبة شاذة في الاستمتاع بها، أو تفكير شاذ في استكشاف جسدها.
- خطأ تأثر البنات الأعمى بميراث الجِدات والأمهات دون إدراك مُنهن للتغييرات والمستجدات الزمنية التي تعترى..

شكل العلاقات الإنسانية العاطفية والجنسية من جيل إلى جيل، وأهمية تشجيع البنت على إعمال العقل والتصرف تجاه حياتها العاطفية والزوجية عن علم وفهم واجتهاد وجرأة ووعى وفكر.

- خطورة التأثير السلبي للخلافات الزوجية والحرمان من الحب والجنس على الحالة النفسية والعضوية للزوجات والأزواج، كذلك تأثير الوحدة والخوف والقلق لدى المطلقات والأرامل ومن تأخر زواجهن على الصحة والمزاج والجو الاجتماعى العام.

- غرور الأزواج والزوجات وغفلتهم، واعتبار كل منهم الآخر قديسا بلا رغبة، أو خشبة بلا مشاعر أو صخرة بلا إحساس، أو مجرد جسد بلا احتياجات، وافترض أنه سيصبر على النكد وسوء المعاملة والخصام والحرمان إلى ما لا نهاية وأنه لن يفكر أو يبحث عن مُتنفس يلتمس من خلاله تلبية احتياجاته الفطرية الأساسية والمُلحة والضاغطة، كذلك خطورة تجاهل الآباء لاحتياجات بناتهن العاطفية والجسدية والاكتفاء بحبسهن وقهرهن والتعسف والتقصير فى تزويجهن!

- ماذا نحن فاعلون فى بيوتنا التى أضحت بلاسلطان ولا جدران؟! فجدران بيوتنا السميكة المُصمتة..

التي كنا نظنها حصينة مانعة، ها هي هجمة العولمة تباغتتها فثُصار ما بقى لنا من سلطان على أبنائنا وبيوتنا، وتستبدله بجدران وهمية شفافة من الشات والواتساب وسكايب!

● الاستبداد، والموروث القديم شبه المقدس، والفهم الخاطئ للدين أو فرض تفسير وحيد له أو حصره فى مذهب أو وجهة نظر، والمجتمع والأصول والحياء الكاذب، والثقافة الضحلة أو الدخيلة المشوّهة أو الثقافة الغائبة أصلا، لماذا يقف هؤلاء جميعا فى وجه المصارحة بالمشاكل، وتشخيص الداء والإعلان عن الوباء، وطرح كل شيء للنقاش وطلب المساعدة ووصف الدواء؟! على قول العقاد فى "عبقريّة أبى بكر الصديق": ليس أصعب ولا أعضل فى الحقيقة من التغلب على عُرف ترتبط به مصالح السادة وغباوة الدهماء وتراث الأجداد والآباء!

ثرى ما هو سر التناقض الصارخ بين التدين والخجل والحياء الذى يدعيه المجتمع من جهة، وبين ما نراه حولنا فى كل مكان وليل نهار وبمناسبة وغير مناسبة من حديث مريضى عن الغرائز والجنس من جهة أخرى، بالضبط كالتناقض المريضى أيضا الذى نراه بين ادعاء تقديسنا للأُم وتغنيينا بها ولها، وشتائمنا بالأُم تكاد تحجب الشمس!

- التنشئة الدينية للبنات وارتداؤها الحجاب أو الخمار أو النقاب والتزامها الأخلاقي الظاهر، إذا لم يكن كافيا للحيلولة بينها وبين العلاقات العاطفية الموازية، وخصوصا على الإنترنت، فما الذى يحول إذاً يا ترى؟! وما هو الدافع الذى يكتسح هذا كله ويستبعده أو يُلغى تأثيره على الشخصية ويدفع المتشددين فى الظاهر، المُجوفون من الداخل، نحو هاوية الغرام والعشق الإلكتروني؟!
- يبدو أننا أصبحنا فى حاجة إلى تعريف جديد للخيانة الزوجية.

- الفطار يا مامى، مشغولة فى إيه، بابى عامل فطار تاريخي..
- حاضر يا عُمر .. جايه..

إيه دا كله يا حبيبي! فعلا لابد للمكبوت من فيضان، عمال تكتب عن الكبت لما طلعتة فى الفطار .. هههههه..

- هيا مامى بتتكلم عن إيه يا بابى؟

لا يا مارية، دى بس فرحانه إنى ريحتها النهاردة وعملت الفطار.

- وانت أجازة النهاردة زينا يا بابى علشان عيد تحرير

سيناء!؟

بس أنا فى أجازة علشان ورايا كتابة محتاجة وقت وتركيز مش  
علشان عيد سيناء التى لم تُحرر، ولكن فقط تغيرت الوجوه التى  
تحتلها..

- إحم إحم.. يلاً يا مارية، وانت يا عمر.. اتفضلوا حضراتكم  
على المذاكرة..

وأنت يا حضرة الكاتب الراديكالى اتفضل انت كمان على المذاكرة  
والكتابة، كان الله فى عونك أيها المثالى الحالم.. قرأت أجندتك وما  
تحويه من مُسودات ونقاط مُثيرة للجدل كالعادة، وكأنى كنت أمشى  
فى حقل ألغام! معقول كل الموضوعات الخطيرة دى للمناقشة فى  
التكعيبية!؟ أنا بقول تناقشوها فى مجلس الشعب أحسن، علشان  
تجننوا الدكتور الكتاتنى زى الفلول اللى فى المجلس ما بيجننوه..  
هههههههه.

زوجتى الحبيبة..

زوجتي الحبيبة.. اسمحى لى بسؤال بخصوص الدكتورة إيناس؟

- ما لها؟ هى الآن سيدة منتقبة وفى حالها..

يعنى.. بحكم الصداقة الوطيدة التى بينك وبينها والتى كانت تسمح بفتح أدق الموضوعات بينكما، هل عرفتى فى أية مناسبة من المناسبات ما هو موقفها من مسألة الختان؟

- ما أذكره أنها قالت مرة فى نقاش دار بيننا حول ختان

البنات: سأذهب بابنتى إلى الطبيبة كما فعلت والدتى

معى.. ولكن بتسأل ليه!؟

أولا وقبل أن أنسى فأنا أميل إلى فكرة الذهاب بمارية إلى الطبيبة لأخذ رأيها فى الحالة التشريحية أو الظاهرية للبنات على الأقل.. أما عن سبب سؤالى فقد كان للتأكد من فكرة فى ذهنى، فكونك غير مختونة ومع ذلك مُتزنّة ومُعتدلة فى رغبتك، طبعاً باستثناء جنان موضوع التدخين ده.. هههههه.. وفى نفس الوقت نجد إيناس التى قالت أن والدتها ذهبت بها إلى الطبيبة ولم تقل هل فعلت لها الطبيبة شيئاً أم لا! ولكن دعينا نُخمن أنها مختونة طبيياً على الأقل، ومع ذلك تعانى من اتهام نزار لها بالشبق الزائد والرغبة المتأججة! وهذا معناه أن السر يكمن فى مدى ضبط كيميا المخ فعلاً، وذلك من خلال سلامة ومثانة البرمجة التنقيفية والنفسية للبنات من البداية وليس فى ترك العضو أو بتره!

فسوزان وهيفاء مثلا، وكتاهما غير مختونات وتجمعهن ملامح نشأة وبرمجة نفسية وتربوية شبه متقاربة كان لها دور فى دفعهن نحو الرغبة فى النهل من نبع الجنس بلا ارتواء! فى مقابل الانضباط الجنسي واللياقة النفسية والفكرية اللذان وفرتهما لك نشأتك فى كنف أب مثقف وغير متسلط وأم واعية ومتفاهمة معكم ومحبة لأبيكم ومنسجمة معه، وقد عَنِيَا مَعًا بتثقيفكم بشكل مُستقل ومتوازن يؤهلكم لخوض حياتكم العملية باستقلالية عنهم وبتقّة بأنفسكم!

- شوف يا روجي.. أنا كنت هناك على روجى منك لأنى مش فاهمة، لكن الأختين الحلوين هيفاء وسوزان دول طيروا النوم من عيني.. ممكن تقولى مين حضراتهم؟! لا ولا حاجة.. دول شخصيات ستقرأينها فى الرواية المُرتقبة..
- ما دام الأمر كذلك.. هيا بنا ندخن أولا..
- ما أروعك الليلة يا صديقى الفيلسوف فقد جعلتني أعشق جولات جدلك البيزنطى وكلما طاوعتك فى جولة منها حصدت بعدها ثمرات لذیذة.. هههههه..
- لكن متى تستمتعى بثمراتك اللذيذة فى هدوء ودون صياح وضجيج وكأنك امرأة طليانية!
- وما لها الطليانية هى الأخرى وما علاقتك بها؟!!

مُجرد معلومة قالها لنا الدكتور شوقى، أن الطليانية لا يطيب لها الجنس دون صياح وصراخ..

- لا يا حبيبي.. أنا مصريه.. يعنى أشطر من الطليانية والأمريكية كمان وحياتك، وبحب أكون على راحتى ومش ممكن أكمل من غير زعيق..

طيب وأولاد حضرتك القاطنين فى الجهة المقابلة!

- الأولاد بعيد، هداهم الله فَعَلَّقُوا أبوابهم وناموا فى سلام، والحمد لله الذى جعل ليلنا طويلا طويلا وجعل نومهم ثقيلًا ثقيلًا.. هههههه..

لم تقولى لى رأيك فى المسودة التى كتبتها.. هل تبدو جافة أو مُملة أو متجاوزة؟

- بالعكس هى قوية مُركزة وجريئة وأوضحت لى أمورا لم أكن أعرفها، ولكن من أين استقيت هذه المعلومات مع أنها بعيدة تماما عن تخصصك واهتماماتك!؟

هى خلاصة أو تلخيص لما فهمته من بحثى فى موضوع الرغبة الجنسية وآلية عملها من بعض القراءات هنا فى مكتبتنا هنا، ومن نقاشنا فى التكميلية، وأيضا من خلال الإنترنت..

- لهذه الدرجة يُعتبر هذا الموضوع عنصرا أساسيا فى موضوع روايتك!؟

أکید لأننى لاحظت أن اضطراب الحالة العاطفية والجنسية بین الكبت والانفلات يُعدُّ قاسما مُشتركا بین الحالات التى عانت بسبب أخطاء فى برمجتها الأساسية من البداية، وأنه يقف خلف الكثير من أمراضنا ومشاكلنا وخسائرنا المتفاقمة!

- نفسى أعرف سر استمتاعك بالتأمل فى كل شئ وفلسفته والنقاش حوله مهما كان حساسا أو مُحرجا أو مسكوتا عنه أو ممنوعا أو جالبا للمشاكل!

فعلا أنا أجد ذاتى فى أعمال الفكر وإثراء النقاش وأشعر بحيوية عقلية ونفسية فى هذه الأجواء ولا أتردد فى دفع ثمن ذلك.

- تعرف ان حيويته الثقافية والوجدانية دى هى أكثر حاجة

شدتى لىك لما اتقدمت لى، فبمجرد ما قعدت مع بابا ووافق تفكيره تفكيرك، بعد أن رآك تُحلق فى آفاق عالية فى اللغة والشعر والأدب والدين والسياسة، أدهشتنى ونستنى موضوع الخطوبة وفضلت أسمعك بانبهار شديد، حتى بابا طلع يقول لماما: دا مش مهندس بس، دا كاتب وأديب وموسوعة! ساعتها شعرت بزهو شديد، أنا عارفة إنك هتقول لى: إنتى حكيتى الحكاية دى كثير قبل كده، بس أنا بحب أقولها علشان يفضل طعمها فى قلبى، كنت أحلم بزواج مثقف، كنت مقتنعة تماما من خلال معايشتى لتجربة بابا وماما الناجحة ان الزوج المثقف المتفاهم..

وخصوصا إذا كان يتمتع بمظهر رجولى ينم عن صحة جيدة ونجاح فى حياته العملية، هو حجر الزاوية فى حياة زوجية سعيدة! لا تتخيل مدى امتنانى لله، مع تأثرى طبعاً، وأنا اسمع بعض الصديقات يتهامن مُختنقات من أزواج تتدلى كروشهم فى الأكل، وتخرس ألسنتهم فى البيت، وتتبدل مشاعرهم فى الفراش، ومع ذلك يأمرّون وينهون ويتذمرون ويهددون بالزواج من أخرى! وأنا أقول اللهم لك الحمد يا رب أن أهديتى زوجاً حبيباً بموت فى شياكته واهتمامه بنفسه وجسمه الرياضى الجميل، وأفضل أعدد النعم فى نفسى، سواء الأكلات الجميلة التى تتفنن فى صنعها لنا كل جمعة لتُدلّنى وتُرّيحنى فى آخر الأسبوع، أو تعاملك الإنسانى الراقى معى ومع مارية وعُمر، أو تدينك الواعى الجميل وتثقيفك لنا فى كل شئون الحياة، حتى الثقافة الجنسية درّستها لى حبيبي تدريسا! تقرصنى فى خدى كعادتها:

- آه يا شقى يا خبير الخبراء، فاطر محاضرة G-spot؟

منك لله، لن أنساها لك، جننتى ليلتها! ليلتها عرفت منك لأول مرة فى حياتى أن فكرة الختان التى اخترعوها منذ العصور السحيقة لتهدئة الشهوة أو لوأدها، قد تعرضت لهزة عنيفة باكتشاف العالم الألمانى Ernst Grafenberg موضعاً فى جهاز المرأة الأثنوى سنة 1950 سماه G-spot إذا تم الوصول إليه..

فإنه يمكن أن يُحقق المُتعة الجنسية بقوة، مؤكداً أن هذا المكان أو هذه النقطة ربما تُمثل مُفتاح تحريك النشوة الجنسية القوية لدى المرأة، مما ساهم في تبيد وهم البعبع المُسمى بالبظر، والمُستهدف دائماً بالبتر أو القطع ابتغاء قمع الرغبة، بعد أن ثبت أن ال"جى سبوت" أهم وأقوى منه.. وأسألنى أنا.. ههههههه..

وده صحيح لكن لازم ناخذ بالننا إن اكتشاف G-spot أو "نقطة جى" يُعتبر إضافة أو رافد جديد للإرواء إلى جانب البظر وليس بديلاً عنه، لأن بعض الإناث لديهن "نقطة جى" وبعضهن الآخر ليست لديهن هذه النقطة، ما يؤكد أن من الواجب في كل الحالات هو الحفاظ على البظر وعدم المساس به، فهذه مسألة مهمة جداً بالنسبة لمستقبل الفتاة ولياقتها النفسية وحياتها العاطفية والجنسية! أيضاً بالنظر في مشكلة الشخصيات النسائية التي سأتناولها في الرواية من خلال ما سمعته من حكايات، سواء منك أو من الدكتور نزار أو من مناقشاتنا في التوعية، وجدت أنهم حُرمن من الزوج المُتماسك أو المُتوازن نفسياً! فالزوج إما ظالم مُتسلط فظ كما في حالة السيدة الضحية التي انتهى بها الأمر في مصحة نفسية، وإما عاجز عن القيام بواجباته الزوجية لأنه مُعتل كما في حالتى سوزان وهيفاء، أو شهوانى مُتوحش كما في حالة حنان، أو يعانى من أزمة نفسية عميقة كحالة نزار مع إيناس..

وفى كل الأحوال يكون اللوم على المرأة إذا فكرت فى نفسها  
كإنسانة أو حاولت أن تعيش كزوجة حقيقية!

- يا حبيبي فى قصص الفشل الزوجى فتش عن غياب

الرجل فى جوانب كثيرة، إذا لم يكن غيابه كله! فبالخبرة صرت  
أرصد مدى وجود الرجل وحضوره وفعاليتته فى ابتسامة وجوه بعض  
زميلاتي وإشراقها وتوردها وفى هدوئهن وسلامهن النفسى وثقتهن  
بأنفسهن، أو أَلحظ غيابه وثقل جِبلته فى وجوه زميلات أخريات  
يشوش فيها غبار التعاسة وخيبة الأمل على المكياج الصارخ! فإذا  
أردت أن تعرف مكان الرجل فى حياة المرأة فانظر فى وجهها ولا  
تدع المساحيق والابتسامات المصطنعة تخدعك.... تعتدل من  
نومتها العارية وتسحب القطعة العلوية من بيجامتى المُلقاة على  
مقعد بجوار فراشنا لترتديها مفتوحة الأزرار، وتجلس قبالتى جلسة  
اليوجا وقد تحفرت كمن سَيُفجر مفاجأة مُدوية قائلة:

- طيب إيه رأيك إنى اكتشفت إن العادة السرية اللي كنا

فاهمين إنها مجرد تصرف طائش يُقدم عليه المراهقون خلسة بدافع  
الفضول والرغبة فى التجربة، هذه العادة التى كانت أقل انتشارا  
بين الإناث لاعتبارات تتعلق بتنشئتهن على الهلع من كونهن إناثا  
والخوف على بكرتهن والرعب من مجرد لمس أجسامهن..

وهذا هو الانطباع النمطى الذى كان سائدا فعلا عن العادة السرية  
يا دكتورة..

- لا يا حبيبي.. هذا الانطباع كان هو الانطباع التقليدى

الساذج وليس السائد، أما الآن فالعادة السرية أصبحت كأنها نمط  
حياة لدى بعضهن، تستغنى به عن رجل إما مُقرف ومُفزز وهمجى  
فى حياته وتصرفاته أو غبى ومُتسلط فى معاملته أو فاشل فى  
الفرش أو كثير التغيب عنه أو مُقاطع له تماما!

لم يعد هذا جديدا يا نهلة، فبعضهن يعوضن دور الرجل الآن ليس  
حتى بطريقة الأرنب جاك المُعدل التى فعلتها "كريس" فى رواية  
"شيكاجو" لعلاء الأسوانى، ولكن بالصوت والصورة عبر سكايب  
مع إنسان من لحم ودم، ومع أن الأمر يبدو افتراضيا إلا أنهما  
يعيشان الأجواء والتفاصيل كما نعيشها نحن فى غرفة نومنا الآن!

- وأنا اللى كنت فاكركه نفسى اكتشفت مَجرة جديدة فإذا بك  
تأبى إلا أن تسبقنى كعادتك! هل تعلم أن إحداهن  
صارحتنى بجرأة وجدية قائلة:

أنا إنسانة يا دكتورة ولى احتياجاتى الجسدية البيولوجية  
needs body التى من دونها أموت، ولن أقتل نفسى  
فى انتظار ما لا يجيئ من رجل جبلة عديم الإحساس!

وأنا أسمعها وأتساءل تُرى لو أن كل زوج أحسن عشرة زوجته واحترم إنسانيتها واهتم بمشاعرها وأدى حقوقها بحب وإخلاص، فمن أين كانت ستأتى المشاكل والعلاقات الموازية سواء كانت واقعية فى أماكن العمل أو افتراضية على السوشيال ميديا؟! فمتى يفهم الزوج أن صبر المرأة على الحرمان من الحب والإرواء الجسدى ليس بلا نهاية، وأنها غالبا ستبحث عن مصدر له فى زمن العولمة وثورة الاتصالات والتواصل الاجتماعى المفتوح.. ألسنت معى فى هذا الرأى؟

بالتأكيد، ولكن مع تطبيق نفس النموذج على المرأة أيضا، فهى لو أحسنت اختيار شريك حياتها وحرصت من البداية أن يكون.. اختيارها عن عقل ووعى، وعلى ألا تدخل بيت الزوجية إلا بعد الاطمئنان إلى تحقق درجة كافية من التعارف والتفاهم والانسجام، ولا أقول الحب، وبعد أن تكون قد تزودت ولو بالحد الأدنى من الثقافة فى الأمور الزوجية والجنسية، وأن يكون واضح فى ذهنها تماما أنها ستتزوج بشرا وليس حجرا، وأنها إذا لم تحتويه وتحافظ عليه فالعالم كله الآن قد أصبح بين يديه، لو حدث هذا من المرأة لما رأينا كثيرا من المآسى أيضا!

- لكن تفتكر ما هو السبب الرئيسى وراء اللجوء للممارسات السرية للتعبير عن أنماط المعاناة العاطفية أو الزوجية؟!

القهر يا دكتورة.. نعم أعتقد أنه القهر بكل صورته، فالقهر هو من يتركس بالإنسان ويجعله جباناً يُعبر عن مُعاناته فى الخفاء ويجد لذة فى اختلاس النظرة والكلمة والفعل، قناعتى أن القهر وراء كل خَطايانا.. قهر الحاكم المستبد على الشعب، والأب المستبد على أبنائه، والأم المستبدة على بناتها، والزوج المستبد على بيته، والعسكرى المستبد على المُستضعفين، والقاضى المستبد على المظلومين، والموظف المستبد على المواطنين، وحتى المُعلم المستبد على تلامذته، والشيخ المستبد فى المسجد، والقسيس المستبد فى الكنيسة، وهكذا.. فالنفوس الغارقة فى القهر حتى صارت تتنفسه مع الهواء وتتجرعه مع الماء تتوقعين منهم أى شيء مهما كان شاذاً أو غريباً أو حتى مُحرمًا، ولو صرخة مُدوية أو آهة مكتومة يُعبرون بها عن انسحاقهم فى دولاى القهر الذى أصبح بحجم الكون!

- لكن بالتأكيد ليس بحجم قهرى أنا من دوامة المناقشات التى أدخلتنا فيها روايتك والتى احتلت حتى غرفة نومنا.. فمتى سترحمنا من قهر روايتك هذه!؟

أهلا يا حاج توفيق.. يا صباح النور معلش سامحنى غصب عنى  
والله المهم طمنى عليك وعلى صحة المدام

الحمد لله.. وأخبار شلة التَّكْعبية إيه؟

تانى.. ايه الحكاية.. المهندس طارق كلمنى فى الموضوع امبارح  
وكمان المهندس ضياء كلمنى وكانوا زعلان جدا، وكل الناس لم  
يعد لها سيرة غير قرار الإخوان بتقديم مرشح للرئاسة!

تحاملوا عليك! والدكتور شوقى كمان! طب وانت مالك! يعنى انت  
يا حاج مش عارف ان أى حد بيحاول يكون منطقى..

وخصوصا فى موضوع الإخوان ده، ويُحجم عن مهاجمتهم  
وشتهم، بيُصنف على أنه منهم وَيَسرى عليه ما يسرى عليهم من  
نَبذ ورفض وتُصب عليه اللعنات حتى ولو كان يهوديا أو نصرانيا  
أو من رُهبان التبت أو من قبائل المايا!

نزار فى سوما باى فى الغردقة.. فى مؤتمر طبي..

حاضر لما نتقابل.. فى أمان الله.

لا يا جماعة..

لا يا جماعة ما تحاولوش تبيضوا وشهم دول كدابين  
ورحمة أبويا من يومهم وهما كدابين وعمري ما هرتاح لهم ولا  
هحبهم ولا هصدقهم أبدا، هي دي المبادئ اللي علمها لهم حسن  
البناء؟! خلاص يعنى استعجالهم على الحكم خلاهم ميكيفيليين  
والغاية عندهم تبرر الوسيلة! اللي اعرفه إن اللي طالع بنفسه  
السما زيهم يكون على مستوى الصورة اللي رسمها لِكِيانه الضخم  
العريق المُتفرد المُنظم ولما يقول كلمة يلتزم بها، قال مش هرشح  
حد للرئاسة يبقى ميرششش.. هو احنا مش ماليين عينيهم.. هو  
الشعب ده مش هامهم! والله أنا شكلى هرجع ألمانيا نهائيا تانى  
بسببهم ويسبب أساليبهم المستفزة دي..

- الله ينور عليك يا دكتور شوقى وأنا معاك فى كل اللي  
قولته، خد من قلبى وصر من الإخوان المسلمين دول،  
بس مش معاك فى حكاية انك تبيعنا وتخلع على ألمانيا  
بصراحة..

اسمع بس يا ضياء بيه.. يا دكتور شوقى، المفروض إن حضرتك  
رجل ليبرال واقامتك الطويلة فى أوروبا أكيد أعطتك فكرة كافية عن  
أساليب السياسة والعمل الحزبى هناك وما يميزهما من برامجاتية  
وموائمة تبعا للتطورات على الأرض، فقد تعلن قرارا ثم تُفاجأ  
بتطورات خطيرة تدفعك للعدول عنه لما هو أفضل منه..

والأمثلة التاريخية على ذلك لا حصر لها، والإخوان ورغم اختلافي المعروف عنهم ومعهم، لم يُقدموا شهادة وكذبوا تحت القسم، ولكنهم بحُسن نية أو بسذاجة سياسية فكروا بصوتٍ عالٍ ثم عدلوا عما أعلنوه، بصرف النظر عن مبرراتهم، فاصطادهم المُتريصون اليقظون المُتلمظون ليُصوروا الأمر وكأنهم ضُبطوا متلبسين بالجُرم المشهود في حق الله والوطن! لذلك أرى أنها ضجة مفتعلة تُصبُ في خِطة قديمة ومُستمرة وطويلة الأمد لشيطنة الإخوان وتأجيج نار كراهية الجماهير لهم وغضبهم منهم ورفضهم لوجودهم، لكنني ما زلت مُصرًا على أن تترك الإخوان يَعْمَلُوا وَيُصِيبُوا وَيُخْطِئُوا هو خير لهم ولمصر لأنه يَضْعَمُهم في حجمهم الحقيقي ويُدِدُ الهالة المرسومة حولهم والفزاعة المحبوكة بهم من جهة، ومن جهة أخرى يُثْرِى تجربة مصر الديمقراطية ويُحْفِزُ قيم التنوع والمُشاركة، فما من شيء ضيعنا مثل الحرمان من التنوع والمشاركة.. ولا إيه يا حاج توفيق!؟

- مذبذب، وبعدين دا حتى في الدين يا جماعة ممكن ترجع في يمينك لو استبان لك أن الخير في العُدول عنه، والنبي رجع في دخول مكة وقَبِلَ بِصُلْحِ الحُدَيْبِيَّةِ، وبرضه كان هناك من هاجموه لأنهم لم يكونوا قادرين على استيعاب الموقف في حينه..

- يعنى لما ننتقد الإخوان نبقى مش فاهمين يا حاج توفيق..  
- حاشا لله يا دكتور شوقى، طبعا أنا لم اقصد هذا على الإطلاق.. يبدو أنكم ستضطرونى أن أفسى لكم سرا لم أكن أحب أن أتورط فى إفشائه..  
اتفضل قول يا حاج توفيق.. لو فيه مصلحة لازم تقول وكلنا هنا مؤتمنون..

- سر إيه يا حاج توفيق! بعد الثورة لم يعد هناك أسرار على الشعب، واحنا الشعب.. قول.. ولا اقولك انتظر..  
يا نيازى..

طقم قهوة يا بنى خلىنا نصحح فى الليلة دى..  
- الحكاية إنى بالمصادفة وأنا راجع البيت قابلت أحد

أعضاء مكتب الارشاد من رفقاء الصبا الذين لم ألتقهم منذ زمن، وبعد أهلا وبالأحضان ومش معقول ويجمع الله الشتيتين بعدما.. إلى آخر هذه الديباجة الإخوانية المعروفة عند اللقاء، دعوته للدخول وبعد إلحاح شرفنى بالزيارة وطبعا موضوع تقديمهم لمرشحين فى انتخابات الرئاسة فرض نفسه على حديثنا فورا، أنصت الرجل وسكت ملياً ثم نظر إلى نظرة عشم وثقة وقال:

- هل تصدق يا حاج توفيق إن المعافرة اللي بنعافرها دى، من برلمان لدستور لرئاسة ليست لأى مطمع فى الحكم..

- أو السياسة ولا لعَرَضٍ من الدنيا زائل؟! .. وقبل أن أُبدى له دهشتي، استطرد وكأنه يعرف رد فعلى المتوقع قائلا:
- كل الحكاية يا سيدى أننا نعاقر لنؤجل ساعة الذبح!
  - ذبح! ذبح إيه؟! انت بتتكلم فى إيه يا حاج توفيق..
  - أى والله زى ما بقول لحضراتكم كده، بيقولك يا سيدى إن

الإخوان بعد موقفهم البطولى فى موقعة الجمل وإصرارهم على استكمال الثورة ووقوفهم فى صف الداعين لرحيل مبارك لتحقيق مطالب العيش والحرية والعدالة الاجتماعية، وصلتهم عدة رسائل مباشرة وصريحة وجادة وساخنة وغاضبة ومتزامنة من جهات نافذة دوليا وإقليميا ومحليا تُخبرهم بأن قرار إعلان الحرب الدولية الشاملة والحاسمة عليهم بغرض استئصالهم قد صدر وأنهم لا محالة مذبحون، عملوا أم لم يعملوا، استمروا أم توقفوا، أكملوا أم تقاعسوا، ظلوا فى الشوارع أم اعتكفوا فى الجوامع، فسَيُذبحون ويُساقون إلى المشانق والسجون، فقط هى مسألة وقت وتهيئة للظروف ليس إلا..

- بس يا حاج توفيق..
- صبركم عليا بس.. خلونى أكمل.. طبعا الرجل الفاضل لم يَقُل لى مَنْ هم هؤلاء أو من هى هذه الجهات، لكنه قال إنهم فى حالة غضب جُنونى..

بعد أن أخذوا على غرة وأفاقوا على الإخوان وهم على وشك السيطرة على حكم أكبر وأهم دولة محورية في الشرق الأوسط، وخصوصا بعد سيطرتهم على البرلمان، لذا فهم مُحْتَشِدُونَ الآن لاستئصالهم حتى لو تراجع الإخوان ولزموا ببيوتهم!

بالتأكيد لم أقتنع بسهولة وإن كانت معرفتى الجيدة بالرجل وصدقه ورَجَاحَة عقله جعلتني أكمل معه حتى النهاية فبادرته متسائلا:

وما علاقة هذا بتغييركم لموقفكم الذى سبق أن تعهدتم فيه بعدم تقديم مرشح للرئاسة!؟

فرد قائلا:

أنت تعرف يا حاج توفيق أن آلية اتخاذ القرار فى الإخوان مُعقّدة وتستغرق وقتا وتحكمها ظروف وموائمات، وفى ضوء هذا التهديد الإجرامى الجاد، والذى أخذت ملامحه تظهر بترشيحهم لشفيق والتلويح بحل برلمان الثورة المُنتخب، وبعد مشاورات مُكثفة ومُضنية، قرر الإخوان أن يسلكوا طريق الهجوم بدلا من طريق الدفاع، وأن يقدموا الإقبال على النّقاعس والإدبار، وإن كُتِبَ عليهم أن يُذبحوا فليُذبحوا وهم واقفون ثابتون فى الميدان بدلا من أن يُذبحوا كالنجاج وهم مُستسلمون نيام، بل عزمت الجماعة على أن تُكثف من جهودها وتستنفذ طاقتها وتبذل أقصى ما فى وسعها..

لتغطي كل الاستحقاقات وتشارك في كافة الفعاليات وتخوض غمار أية تحديات متوكله في ذلك كله على الله ومُستعدة لتحمل أى ثمن فى سبيل الله ومن أجل نهضة هذه الأمة وحريتها وحفظ بيضة ثورتها الواعدة، وأن تُظهر لأعداء الثورة أنها غير عابئة بتهديداتهم، لأن الأمر كله بيد الله وهو سبحانه القاهر فوق عباده وبيده مقاليد كل شيء، لذا قررت الجماعة أنها ستعمل على أن تُرهقهم وتستنزف جهودهم حتى ترفع كُلفة مؤامرتهم وتقلل مكاسبهم، وعسى أن تكسب هى وقتنا تحقق فيه إنجازا للأمة وتقدم فيه القدوة والمثل وتُثير الطريق للشباب ليحملوا الراية ويكملوا المشوار بعدها، وإن قُدر لها بعد ذلك أن تُذبح فلنُذبح بشرف.. لذلك رأى الإخوان أن نزولهم انتخابات الرئاسة يصب فى هذا الاتجاه، إتجاه مناكفة العصاة المحلية الإقليمية الدولية وإرهابهم، وزلزلة أركانهم، وإهدار وقتهم، وعدم ترك الثورة وإرادتها لُقمة سائغة لهم ينفردون بها!

والله يا سادة هذا ما حصل وقد قُلته لكم بالحرف كما قاله ضيفى القيادى الإخواني هذا الذى أرجو أن تعفونى من ذكر اسمه.

- وانت بالله عليك يا حاج توفيق.. مقتنع بالكلام ده؟!
- بصرف النظر يا دكتور شوقى عن تصديقنا لكلام الرجل من عدمه، لكن كل الشواهد لحد الآن ليست بعيدة..

عن هذا السيناريو، فمن بعد تتحي مبارك والبلد فى دوامة من التخريب والتعطيل والتآمر والتقتيل والتحريش بين أبناء الشعب والإيقاع بينهم، وعزل الإخوان بالذات ونشويهم بغرض شيطنتهم تمهيدا للانقضاض عليهم واستئصال شأفتهم، وكذلك التريص بكل استحقاق انتخابى ناتج عن الثورة بدءا من تعطيله لكى لا يتم، ووصولاً إلى نسفه وتدميره إذا تم! فهذا هو مجلس الشعب على وشك الحل بالعافية وقوة واقتداراً، بسكين العسكر المسنونة الرعناء وقفازات القضاء الحريرية السوداء التى تُخفى مخالبتهم الطويلة، والتى يبدو أنها ستكون أداتهم المفضلة والناعمة والناجزة، مدعومة من إعلامهم طبعاً، لخنق الثورة والثوار والحرية والأحرار، والربيع العربي أينما كان، حتى آخر نقطة دم فى وريد، أو آخر نبضة روح فى قلب، أو آخر صرخة احتجاج فى صدر حر، أو آخر آهة شكوى على لسان مظلوم، أو آخر ومضة حلم فى وجدان شعب، أو آخر زفرة غضب فى ضمير إنسان! فهذا هى الثورة المضادة، بمكوناتها الخشنة والناعمة، تضع ألف عقبة وعقبة فى طريق ثورة يناير، وليس آخرها حكم محكمة القضاء الإداري ببطلان تشكيل الهيئة التأسيسية المنتخبة لوضع أول دستور جديد تفرزه الثورة، هذا غير ألف سكين تُسن لذبح أى رئيس مدنى تُفرزه الثورة، وأنا شخصياً متأكد تماماً أن آخر سُريان سيُذبح من سُرايين الثورة لإتمام الإجهاز عليها سيكون سُريان الإخوان!

- ممكن يا دكتور نزار.. والآن دعونا من الحديث فى السياسة كى لا نعكر صفو التكميية، وتعالوا إلى عشاء خفيف.. يا نيازي.. هات لنا يا ابنى لقمة ناكلها.
- إلا بمناسبة الكلام عن تعكير صفو التكميية بسبب الحديث فى المواضيع السياسية المثيرة للجدل اليومين دول يا حاج توفيق، انت مش ملاحظ ان بوادر التعكير قد بدأت ملامحها؟!!
- ليه بتقول كده يا ضياء!
- يعنى انت مش ملاحظ إن فخر بدأ يكش وشكله قطع رجله تقريبا من هنا، من بعد ما بدأنا نكثر الكلام عن تمدد الدور السياسي للكنيسة على أسس طائفية وما يمثله من خطر على الثورة والوطن؟!!
- صحيح بس أنا كل ما أكلمه يتعلل بأى عذر، ومرة بنته ترد وتقول لى مش هنا، وأنا والله نيتى سليمة ومش واخذ بالى، لاحول ولا قوة إلا بالله والله زعلتتى يا ضياء..
- ولا تزعل نفسك ولا حاجة يا حاج توفيق ما هو أنا كمان بفكر أرجع ألمانيا تانى والمرة دى بشكل نهائى لحد ما أموت واندفن هناك كمان..
- الله الله.. ايه الحكاية يا دكتور شوقى.. مالكو يا جماعة..  
يا لطيف.. هى عين وصابتنا ولا إيه!



اسمعونى..

اسمعونى يا بهوات.. التكعية اللى بتجمعنا دى مش مجرد مكان وأكل ومشاريب، دى الرثة اللى بنتنفس منها وطنيتنا وصادقتنا، لكن لا تؤاخذونى أنا مش متفائل بالفترة اللى جاية خالص، بصراحة كده يا جماعة لو مرشح الإخوان نجح فى الانتخابات دى، وان كنت شخصيا وعلى أسس استقرائية منطقية بحتة وفى ضوء الجهد الجبار والحشد الرهيب للإخوان ومرشحهم والذى لا يضاويه أى جهد على مستوى المرشحين مجتمعين شايف إنه ممكن ينجح، وساعتها لن يكون البقاء فى مصر سهلا أو ممكنا فى ظل معركة وجودية ذات طابع كوني بل أتوقع أن تكون معركة صفرية وحاسمة ولا أستبعد أن تصل إلى حد الدموية! وهذه المعركة الحتمية ستتدلع بين المعسكرين اللدودين أو الفسطاطين المتناحرين الذين انقسمت إليهما المنطقة منذ منتصف القرن الماضى بالنزامن مع الرحيل الشكلى للاستعمار بعد أن مكن للعسكر وسلمهم مقاليد حُكم البلاد، فى مقابل رعاية مصالحه فى المنطقة وضمان ديمومة تدفق الثروات باتجاه الغرب والغلبة المطلقة لميزانه التجارى، وحماية إسرائيل، وتكريس العلمانية وتجفيف منابع أو الروافد التى من الممكن أن تغذى فكرة إحياء المرجعية الإسلامية فى الحكم والسياسة والتشريع أو ما يسمى بالإسلام السياسى!

فأما المُعسكر الأول: فهو مُعسكر ثورة يناير ومن خلفها ثورات الربيع العربي التي أصبحت تُمثل الطموح إلى التحرر والنهضة وبناء وطن جديد، وهذا المعسكر يحظى بدعم شعبي عربي إسلامي كبير ويتقدم صفوفه الآن الإخوان المسلمون ويحاولون استثمار زخمه الثوري وتقويته وتوسيعه لتحقيق طموحهم لبناء كيان عربي إسلامي قوى وحدوى مُتكامل ذو طابع ديموقراطي بصبغة إسلامية، بمعنى إعادة إنتاج للخلافة الإسلامية ولكن بشكل أقرب إلى نموذج الاتحاد الأوروبي مثلا! لذا سيكون الإخوان أكثر المستهدفين بالاستتئصال في هذه الحرب الدموية لأنهم، شاءوا أم أبوا، فهم قُطب الرُحى وحجر الزاوية في المشهد الراهن! وأما المعسكر الآخر: فهو مُعسكر الثورة المُضادة لثورة يناير ولثورات الربيع العربي ولأى ثورة ولكل ثورة، والرافض أهدافها والمُتمسك بقوة وعنف وشراسة بمكتسباته وامتيازاته وهيمنته السياسية والاقتصادية والنخبوية التي وفرها له الغرب الاستعماري عندما سلمه مقاليد الحكم في البلاد إبان رحيله، وهذا المُعسكر يتقدم صفوفه الجنرالات بدباباتهم وبطشهم الدموي العاتى، وتقف خلفه أمريكا بكل ثقلها الإجرامى وتدعمه بكل قوة ومعها بعض القوى الإقليمية والدولية وإسرائيل!.. لذا لا أستبعد أن يُظهروا قدرا غير مسبوق من القسوة وربما الدموية فى سبيل حسم هذه المعركة لصالح مُعسكرهم.

- أبشروا يا سادة.. فما هي قنبلة تنفجر في وجوهنا ومجزرة

تُصور لنا! أنا من البداية قلت إن نشوفية دماغ الإخوان وفتحة صدرهم دى هتودينا فى داهية وهتغرق الجمل بما حَمَل.. بقولك إيه يا حاج توفيق وأنا كمان سامحنى هرجع اشتغل فى المقاولات فى الكويت، بلا هم وغم.

- على كذا يا جماعة أنا أولى واحد بالهروب من هنا من

المقطم دا أنا جار المقر الرئيسى والعالمى للإخوان يعنى سأكون أول المذبوحين، لا حول ولا قوة إلا بالله، يعنى عليه العوض فى التكعية! لكن لأ.. مش معقول يا جماعة كده، أى نعم ممكن يكون جزء كبير من كلامكم واقعى وصادم لكن الأمل فى ربنا كبير يُلطف بتكعبيتنا الصغيرة ويقى صُحبتنا الحلوة شر التفرق والهجر، ويحفظ تكعبيتنا الكبيرة مصر ويُتخذ أهلها الطيبين من التشردم والهدم، ويُنجى الثوار والإخوان المسلمين وكل من يُجاهد ويجتهد من أجل مصر والعروبة والإسلام، وإن أخطأ فى اجتهاده أحيانا، من برائن الأذى والذبح، اللهم آمين حقق يارب.

- آمين.. لكن تفكر ممكن يفلتوا يا حاج توفيق!؟

- مصر هتقلت وتتعافى ومن يعمل لرفعته ويخلص لها

سيُختبر فى إخلاصه وسيُمتحن إمتحانا شديدا جدا..

ولكن على قدر إخلاصه ستكون النتيجة، وعلى قدر الثبات والصبر سيكون التمكين والنصر، وبإيمانٍ مش يمكن مُرشح الإخوان الدكتور محمد مرسي يفوز ويسوق الله على يديه الخير لمصر وينقل ثورة يناير المجيدة لمرحلة الحرية الحقيقية والكرامة ويُحقق لمصر النهضة والتحديث والبناء والتقدم والرفاهية..

- معقول يا حاج توفيق! إزاي الكلام ده!! واضح إن تعاطفك مع الإخوان ومرشحهم بيخليك تحلم!
- ليه لأ يا دكتور شوقي، لا حرج على فضل الله، ثم إن

الرجل ده شرقاوى زَيِّ وأعرف الكثير عن جدارته ورجولته وإخلاصه ونزاهته وحبه لوطنه وتفانيه في خدمته والكل يشهد لأدائه في البرلمان وخبرته النقابية والحزبية والسياسية والشعبية الكبيرة..

- لا يا حاج توفيق، أنا كده هزعل منك، مش معقول ده يكون رئيسا لمصر!
- ما هو اللي قبلنا قالوا كدا على طالوت برضه: "قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ" .. الآية .. ومع ذلك .. "وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ"! البقرة 247- 251.



مساء الجمال..

مساء الجمال على عيون نهيلو الجميل حبيبي.. الولاد ناموا؟

- مساء الحُب والبكش الأزلى، طبعا حضررتك اتأخرت  
وطول اليوم بره وفضلوا منتظرينك لحد ما ناموا.. شُفت  
المؤتمرات الرهيبة لمُرشح الإخوان؟!

جهد مُبهر طبعا فى مواجهة إعصار عارم من المحاربة!

- تفنكر الإخوان ممكن يعملوها؟!

والله دا اللى كنا بتكلم فيه من شوية فى التوعية والكل قلق  
ومتشائم، إلا الحاج توفيق طبعا فهو كعادته متفائل دائما!

- لكن قول لى.. صحيح نزار مسافر وسايب إيناس؟!

نزار فى مؤتمر طبى فى سوما باى.. ليه فيه حاجة؟

- أبدا.. بس قابلت إيناس وفوجئت إنها خلعت النقاب  
ورجعت للإشارب!

مرة واحدة كدا! لم أكن أعرف أنها متقلبة إلى هذا الحد!

- لا أعتقد أنها مُتقلبة بطبعها، لكنه تأثير أزمته العاطفية  
على تصرفاتها.. قابلتني بحفاوة طبعا وما شاء الله وشها

منور وكأنها صغرت كام سنة! بسألها بهزار وبقولها:

حمدا لله على سلامة دكتور نزار.. لقيتها بتقولى:

- نزار خلاص طار..

قلت لها: سافر يعنى؟!!

هزت راسها وضحكت وقالت:

- عندى محاضرة تكمل بعدين..

وسابنتى وأنا مش فاهمة أى حاجة!

مش عارف.. بس اللى اعرفه إن اللى صغر كام سنة واحلو ووشه

نور هو انت يا جميل.. ههههههه..

- يا خوفى من أنثى الدولفين اللى عمالة تبعد معاك على

توتير

أنا بريء والله، دى سيدة فاضلة وواضح إنها مثقفة أو أكاديمية..

- وحضرتك عرفت منين إنها مثقفة وأكاديمية?!!

من المستوى العلمى لتغريداتها ومن عمق مناقشاتهما، لذا أستفيد

من مُداخلاتها أحيانا فى صياغة بعض أفكارى فى الرواية..

- زى إيه?!!

تناولها للمشكلات النفسية والعاطفية ومدى تأثيرها على الحياة

الزوجية يُنم عن خبرة وتجربة.... أقفز من مكانى فجأة صائحا:

نهلة.. مش مُمكن!!..!

- هو إيه اللى مش ممكن?!!

دلوقت بس أخذت بالى، ففى آخر جلسة لى مع نزار..

لم أنتبه وهو يقول إن إيناس كانت تصف نفسها بأنثى الدولفين  
التي تدعو ذكراً فلا يُجيب!

- يا سلام! يعنى حضرتك عاوز تقول إن أنثى الدولفين هانم  
اللى على تويتر دى، هى الدكتورة إيناس؟ والله! طب ازاي  
تعمل كده! معقول متعرفكش!؟

الله اعلم.. بس هتعرفنى منين وأنا مسمى نفسي طائر الفينيق!  
- أنا مذهولة ومش ممكن أصدق إنها مش عارفك، انت  
لازم تحل لغز الموضوع ده، أنا هفضل أكلم نفسي لحد ما  
اعرف إذا كانت هى ولا لأ.. إيه رأيك تسألها مباشرة؟  
نهلة.. انتى جري لعقلك حاجة؟! خلاص.. أنا هحاول أعرف  
بطريقتى وأتمنى تكون هى إيناس وأنا شبه متأكد إنها هى،  
وسأكون سعيدا جدا إنها على هذا المستوى من الفكر والثقافة  
والرؤية الذى يفوق نزار بكثير!

- ودى حقيقة فعلا.. شخصية إيناس أقوى من شخصية  
نزار، وثقافتها ورؤيتها وتفكيرها أعمق منه، وما يَخْتَلِقه من  
مشاكل وما يُثيره من زعابيب وما يَخوضه من تجارب، ما  
هو إلا رد فعل لغيرته الدفينة منها وإحساسه العميق بهذا  
الفارق بينه وبينها فى الشخصية، وهذه هى وجهة نظرى  
التي قلتها لك من البداية وسأظل مقتنعة بها.

هيام!

هيام!

انت متأكد انك كنت فى مؤتمر طبي فى "سوما باى"

ولأ فى "هيام باى"!

وايه الجمال ده ما شاء الله، هى هيام باى، قصدى سوما باى  
ومؤتمراتها بتخلى الناس حلوين كده!

عيني علينا يا بتوع العين السخنة.. هههههه..

ازيك يا دكتور نزار، حمدا لله على سلامتكم..

- حبيبي لك وحشة كبيرة والله..

كان نفسى نكون سوا، لازم نرتب مرة ناخذ الولاد ونروح،  
الدنيا هناك غير خالص..

وان كان الغم الحاصل فى البلد مسمع هناك يرضه  
وفارض غيامة داكنة على الأجواء للأسف..

بصراحة يا نزار باين فى عينيك تأثير أكبر من المكان وجماله،  
شكلها كده المقرر اللي فى المؤتمر كان جامد.. ههههههه..

- أروح منك فين يا أخی..

بس نوصل استوديو مصر واحكى لك.

- هيه.. هتاخذ إيه؟

بما أن الحكاية فيها هيام، فأنا مش هطلب أقل من "أمير الانتقام" \*..

- بس كده.. محمود.. هات هنا " أمير الانتقام" و"العزيمة"\*

هيام هي آخر حكاية سأحكيها لك، وهي أغرب حكاية.. فبقدر ما رأيت في هيام الإنسانية التي تُمثل ما كنت أبحث عنه من حيث وضعها لنورانية الروح والوجدان وإنسانية الإنسان في المرتبة الأولى قبل طينية الجسد وشهوات الحيوان، بقدر ما أصرت الأقدار أن تُبقينا في دائرة الصداقة المُنزهة عن الغرض وتجعل أى شيء غير هذا مُستحيلاً! هيام مهندسة ديكور تعرفت عليها على تويتر أيضاً واستعنت بها في عمل تحديث لديكورات العيادة والبيت فاعجبتني موهبتها الهادئة المتميزة، ولفت نظري تَمكُنُها من عمَلِها وحادثة تفكيرها، وإن كنت توقفت أمام مسحة شجن تختبئ خلف كلامها وتصرفاتها وحتى ضحكاتِها! ومع أنها زوجة وأم في العقد الرابع من عمرها إلا أنها لم تنزل تحتفظ بنفس ابْتِسامتها ورقتها وطيبة قلبها منذ الطفولة..

---

\*من أصناف الأطعمة التي يُقدمها مطعم "استوديو مصر".

معقول هي اللي عملت ديكوراتك الجديدة؟! ذوقها راقى جدا، على كده لازم تتوسط لي عندها لما أقرر أجدد المكتب والشقة..

- طبعا أكيد.. بكل سرور..

بس قول ربنا يهدي نهلة وتوافق، وكمان لما نشوف موضوع الرئاسة ده هيرسى على إيه.. المهم اتفضل كمل.. حضرتها عملت لحضرتك شغل وعجبك شغلها وشخصيتها وكنتم أصدقاء من فترة على تويتر.. فما الذي جمعكما في سوما باي؟!

- والله هي جت كده، صادفت اننا كنا نتكلم في مشكلتها مع زوجها وكانت مُنهارَة جدا فاقتрحت عليها تغير جو حتى تهدأ، فلما عرفت بذهابي إلى سوما باي قالت فرصة أتابع شغل ومتأخرات لي في الغردقة وبالمرّة نتقابل هناك.. وجاءت بمفردها؟!

- عادي هي إنسانة كول بحكم شغلها بتتحرك وتسافر بمفردها لكنها سيدة عاقلة جدا ومحترمة، اطمئن..

لكنها سيدة متزوجة وأم وعلى خلاف مع زوجها يكاد يصل إلى حافة الطلاق كما تقول، فكيف تُسافر بمفردها إلى منتجع سياحي بعيد نائي مُتحرر لتلتقي صديق لها، أي كان هذا الصديق، فما بالك إذا كان هو كمان زوج وأب وطبيب معروف وله سمعته!

- يا سيدي هي خلاص طُلقت، وبعدين نحن فى القرن الواحد والعشرين وفى زمن العولمة، كما أننا بصدد سيدة أعمال راشدة وناضجة تعمل وتتحرك فى المجتمع مثلها مثل أى رجل، فهى ليست قاصر ولا ساذجة ولا رعناء ولا بلهاء، وأعتقد أنك متأكد أننى أيضا لست كذلك!

متأكد والله، لكن ترضى ان الدكتورة ايناس تروح مشوار زى ده؟! -

....

سَكَّتْ ليه؟! يا نزار يا حبيبي، المهندسة هيام وأنت وأنا وكل من يرمى فى حظيرة مجتمع كمجتمعنا الذى لم يزل يرسف فى أغلال الانغلاق والتخلف والتعصب لعادات وأفكار بالية ورثها كابر عن كابر وأحاطها بسياج حديدي لا يعترف لا بالقرن الواحد وعشرين ولا بالقرن الخمسين ولا بالقرن الإفريقي ولا بالعولمة ولا بالأسلمة، لا يعترفون إلا بشئ واحد فقط هو: المظاهر.. ولا يعبأون إلا لشئ واحد فقط هو: كلام الناس! فمن لزم حدود هذا السياج وحافظ على الحد الأدنى من المظاهر الاجتماعية وتحسب لكلام الناس، فلا لوم عليه ولو نافق الناس أجمعين، ومن حاول أن يتخطى هذا السياج أو يقفز عليه فهو من المفضوحين الخاسرين المنبوذين ولو كان من القديسين!

- متفقون تماما، لكن هذا ما حصل والتقيت السيدة هيام على مدار ثلاثة أيام فى وسط الناس..

ولم أنفرد بها فى خلوة ولو للحظة، وكانت فرصة تعرفت من خلالها على انسانية رقيقة تعيش محنة نفسية وعاطفية شبيهة فى بعض جوانبها بمحتى.. فهيام نشأت فى هليوبوليس بمصر الجديدة بين أب موظف كبير بوزارة التربية والتعليم وأم ربة منزل وأخوة وأخوات قضوا حياتهم فى جو عائلى بحت تغلب عليه سيطرة الأم وثقافة الأم وتوجيه الأم التى كانت محافظة إلى أبعد حد وكأنها مُنحدرة من أصول صعيدية أو ربما لأن أصولها تركية! فقد حرصت من أول يوم على ألا تتخطى حياة أبنائها حدود نادى هليوبوليس، والأقارب ومن فى حكمهم من الأصدقاء والجيران، أما ما عدا ذلك فكل الأبواب لأية علاقات أو تجارب خارج هذا الإطار مُوصدة وتحت سيطرة الأم تماما. تخرجت هيام فى كلية الفنون الجميلة ولم تخطط لمُستقبلها، وكيف تخطط له والتخطيط قاصر على الملكة الأم! ولم تفكر فى الحب، وكيف تفكر فيه ولم يجرؤ أحد على ذكر سيرة هذا الشيء فى البيت يوما! كيف تفكر فى الحب وهى لم تعرفه ولا حتى تجرأت أن تقترب منه أو تحوم حول حماه، لا فى مرحلة المُراهقة كبقية زميلاتها فى المدرسة الثانوية ولا فى مرحلة الشباب كزميلاتها فى الجامعة، ولم تحاول أن تفتح أذنيها لالتقاط ما ينتشر من فم زميلاتها عن الحب وحلاوته وسنينه أو الجنس وأسراره وبلاويه، حتى الكتب والقصص والأفلام التى تتناول أو تتضمن أى شئ له علاقة بالعلاقات الغرامية..

والقبات والأحضان كقصص إحسان عبد القدوس وقصائد نزار  
قبانى فممنوع ممنوع ممنوع! لتُصبح بصدد منتج غاية فى الجمال  
والرقة والأنوثة والذوق ولكن كالقطة المغمضة، بالضبط كمن تلبس  
ملابس الخواجات وهى لا تعرف الانجليزية، أو كمن تحضر  
حفلات السواريه وهى لا تجيد الرقص.. إنها الأنسة هيام التى لا  
تعرف ماذا تُريد، ولماذا تعرف ما دامت ماما تعرف وبابا يعتمد  
ويقول آمين! لم يَطُل المقام بهيام فى هذا الأنبوب المُعقم حتى بدأ  
دبيبُ أرجل الخُطّاب يُسمع على سلالم عمارتهم العريقة، خُطّاب  
وعرسان منهم من تعرفه سطحيا كزميل أو جار أو قريب، ومنهم  
من لم تره من قبل ولكن رأته إحدى الجارات أو القريبات وأدرجته  
فى قائمة الخُطّاب لأنه ابن ناس ومُناسب ومن عيلة وجاهز  
وريتش، ما رسخ فى ذهن هيام أن المرحلة الفطرية التالية من  
حياتها بعد أن أنهت تعليمها الجامعى ستشهد تطورا يتلخص فى  
أنها ستعيش تحت سقف واحد مع ذُكر يكبرها بعشر سنوات من  
نفس الطبقة أو الحى الراقى، شكّله مُحترم ولديه وظيفة مرموقة  
ودخل كبير يسمح له بتأثيث بيت أنيق وتوفير حياة كريمة، ما  
يعنى أن الصورة الذهنية عن الارتباط والزواج فى فكر هيام لم  
تتعد هذه الحدود الفطرية أو البيولوجية أو المعيشية المادية، ولم  
يخطر ببالها أكثر من ذلك، ولم تفكر أن تسأل عن شىء غير  
ذلك، ولم يفكر أحد أن يُضيف لها أية تفاصيل أخرى غير ذلك!

حتى العريس الذى وقع عليه اختيار الأسرة، أمضى معها سنة الخطوبة دون كلمة حب واحدة، بعد أن استنفذ نصف كلامه فى مناقشة ومساومة الباعة فى محلات ومعارض الموبيليا والستائر والنجف والفايزات، واستنفذ النصف الآخر فى محاولات الصلح معها فى المرات الخمس التى حاولت فيها فسخ هذه الخطوبة التى خيبت أملها فى أن تذوق طعم اختراع إسمه الحب، هذا الاختراع الذى طالما سمعت عنه ولكنها لم تصادفه يوماً! إلى أن أنهت الأسرة، بقيادة الأم طبعاً، آخر جولات قمع الابنة لتتعقل وتستمر مع خطيبها بدلاً من أن تجعلهم عرضة لكلام الناس، كلام الناس الذى تفضلت أنت بالإشارة إلى أنه يُعدّ الهَمّ الأكبر لأى مجتمع مظهري مُناقق، حتى وجدت صاحبتنا نفسها ملفوفة فى فستان أبيض وثُرْف فى ممر من زغاريد وشموع وورود على إيقاعات أغنية اتمخبرى يا حلوة يا زينة الخالدة، إلى بيت الزوجية المُزدان بأحدث الديكورات وأرقى التحف وأثمن الثريات..

مش عارف يا دكتور نزار أنا ليه حاسس أن هذه المقدمات التى أسهبت فى عرضها لا تُبشر بنتائج إيجابية .. لكن اتفضل كمل..

- فعلاً، فقد أقسمت لى أنها دخلت من باب شقتها بفستان الزفاف الأبيض وكل ما كانت تتوقعه من العريس أن يُلاطفها ليحظى ببعض الأحضان والقبلات لا أكثر!

تقول بالحرف:

- وهو فستان الزفاف أبيض ليه؟ مش علامة على الملائكية والطهر والنقاء برضه؟ يبقى إيه لازمة الإحراج والتعري والقذارة وامتهان الجسد؟!

انتظر يا دكتور نزار، تريد أن تقنعني أن هيام كبرت وتخرجت في الجامعة في هذا الوسط الراقى ووصلت إلى بيت الزوجية وهي تعتقد أن العلاقة الزوجية لن تتعدى الأحضان والقبلات، وأن ما جاوز هذا الحد فهو قذارة وامتهان للجسد؟! دعك من الأم وأسلوبها المُعقد الغريب ودعك من الأفلام والكتب والقصائد والصدقات، يا أخی ألم تقرأ القرآن أو تسمعه فضلا عن أن تقرأ أو تسمع شيئا من الفقه لا تخلو منه صحيفة أو راديو أو TV؟! لا لا..

- والله هذا ما حصل وما حكته لى ، ومن ناحيتى سألتها نفس السؤال فقالت:

- طبعا أقرأ القرآن واسمعه، ولكن من شدة تخويفنا وتنفيرنا أنا وأخواتى من أية كلمة أو سيرة عن العلاقة بين الرجل والمرأة صرنا بكل أسف نخجل من تلاوة أو سماع بعض آيات القرآن الكريم ونحاول تخطيها بسرعة ونتحاشى التدبر فى معناها أو السؤال عن مغزاها أو البحث فى تفسيرها، كقوله تعالى:

( أَجَلَ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٍ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٍ لَهُنَّ ) البقرة 187 وقوله: ( وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ.... نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ..)..  
 الآيات، البقرة 222، 223 ، وكذلك الآيات التي تتحدث عن مراودة امرأة العزيز ليوسف أو عن الزنا والزاني والزانية في سورة النور أو في غيرها من سور القرآن الكريم.. تقول:

- هل تصدق أنني كِدت أصل إلى حافة الإغماء بمجرد أن استدرجتني إحدى صديقاتي لحضور محاضرة لإحدى الطبيبات تتناول فيها مشاكل الجنس والعلاقة الزوجية بشكل كان بالنسبة لي صريحا وصادما جدا ولم أكن أتخيله، لدرجة أنني سارعت بالهروب فورا لأبكي في حضن ماما دون أن أجرؤ أن أحكى لها ما حدث!

أعتقد..

أعتقد يا دكتور نزار أن ما قالته السيدة هيام إذا صح بهذه الصورة المُتجاوزة للمعقول فإنه يُجسد حالة فوبيا مُستعصية من الجنس ومن كل ما يتصل به أو يؤدي إليه، وهى حالة تَجذرت وتَأصلت بتراكم القهر الفكرى والكبت النفسى والإلحاح المستمر والضغوط على الوعى بالتخويف والتنفير من هذا الشيء من بدايات التنشئة والبرمجة، لدرجة أن الضحية أصبحت تجعل أصابعها فى أذنيها وتستغشى ثيابها فى مواجهة أى نسمة ترف من هذا الجانب! فقد أراد الأبوان أو بالأحرى أرادت الأم أن تُحكم إغلاق خزانة العفة على بناتها وهى لا تدرى أنها تخنقهن وثؤئدهن! ألم تجد هذه الأم من يُعرّفها أن دورها ليس أن تُنكر رغبات وغرائز فطر الله بناتها عليها كما فطر عليها بقية البشر حتى تكبتها وتسحقها، وإنما دورها هو التنقيف والتوعية والتدريب على ضبط هذه الغرائز والرغبات ليكون إشباعها فى الإطار والوقت المناسبين وبالقدر المناسب أيضا، ولن تجد أى أم ولن يجد أى مُعلم أو مُربى أفضل من القرآن الكريم لتوصيل مثل هذه المعانى والمفاهيم وضبطها، فكيف أوصلت هذه الأم بناتها للمبالغة فى الخجل المرضى لدرجة أن يخجلن حتى من كلام الله؟! وما دام الأمر كذلك فماذا فعلت العروس فى ليلة زفافها؟

- طبعا أُصيبت بصدمة عارمة بعد أن حاول العريس نزع

فستان زفافها ودَس يَدَه فى أماكن بجسمها وهى التى لم تكن تتخيل أن يمسها بشر، فما بالك أن يُعْرِئها! فأخذت فى الصراخ بوجهه مُعربة عن رفضها لتلك البداية الهمجية من رجل حسبته جنّلمان، وتوقعت منه أن يَحْتويها بحنان فى ضوء الشموع.. ويُسمعها كلمات أرق من همس الورد، ويُبئثها مشاعر رقيقة حاملة دافئة، هى فى أمس الحاجة إليها بعد طول حبس فى القيود، كانت تنتظر منه أن يُقدم بين يَدَيّ رغبتة دفقة ملاطفة وغزل، أو أن يُظهر لإنسانيتها وكرامتها وأنوئتها شيئا من التقدير، أو أن يُؤجل رغباته الحيوانية حتى يفرش بساطا من احترام ذاتها وكيونتها ووجودها، لكنه للأسف كَأى ذكر شرقى لم يفعل! وبعد أن يأس من استجابتها لهياجه المُتَعجل وضاق ذرعا برفضها وبكائها، جذبها من يدها بعنف غاضبا صائحا:

- نعم يا روح ماما.. إحنا هنهزر.. هو حضرتك مش داخلة عش الزوجية على سنة الله ورسوله وعارفه ان فيه بنى آدم هنا له حقوق شرعية لازم يحصل عليها ومجتمع لازم يثبت وجوده قدامه، ولاّ كنتى لابسة الطرحة والفستان الأبيض ورايحة محاضرة فى جمعية مكارم الأخلاق! اتفضلى يا ماما اقلعى خيلنا نخلص فى ليلتك دى..

وبلاش فضايح، بدل ما أخلص أنا غضب عنك! وبالطبع لم تستطع ولم تستسلم بل همت بالفرار من البيت والعودة إلى بيت أبيها بفستان زفافها، ليحاول هو من ناحيته أن يمنعها بالقوة فيرتفع صوتيهما وينزل الجيران من أعلى ويصعدون من أسفل بصحبة أُسرتيَّ العروسين الذين وصلوا للتو على إثر اتصال غاضب من العريس الذي لم يتوقف عن الصراخ بقوله:

- خليهم ييجوا يشوفوا بنتهم!

لنتسع المشكلة بفشل كل المحاولات وعلى رأسها محاولات الأم لإقناع ابنتها العروس بما يجب أن يكون في هذه الليلة من طاعة للزوج وتجاوب معه لتمكينه من حقه الشرعي في هدوء وانسجام لتحقيق فرحة ليلة العمر، لتهمس هيام لأمها والدموع تكوى خديها: الآن فقط يا أمي تذكرين ما يجب على فعله في هذه الليلة، وجئتي خصيصا لتُخبريني به وتعلميني إياه! الآن يا أمي بعد أن جففتي ينابيع أنوثتي وعاطفتي وجعلتيني أتمنى في كل لحظة أن لم أكن أنثى، وأن أكون ذكرا يفعل ما يحلو له دون أن تراقبوه أو تخافوا عليه أو تشكُّوا فيه! الآن يا أمي تحاولين القيام بدورك الذي طالما أنكرتيه! ويا ليتكِ تفعلين هذا من أجل سعادتي، ولكنكِ تفعلينه من أجل شياكتكم الاجتماعية وخوفكم من كلام الناس! الآن يا أمي تطالبيني أن أفتح خزائن أنوثتي لهذا الحيوان الفطرى..

وكأنك لا تعرفين أن خزانتي فارغة! للأسف يا أمي خزانتي فارغة، فلو كنتي وضعتي لى فيها شيئاً من ثقافة أو تدريب، أو أثارة من معلومة أو توجيه، أو حتى لو كنتي تركتيني أفعل وأكُون لنفسى ثقافة إيجابية كأية فتاة.. أو لستُ فتاة يُفترض أنها راشدة ناضجة متعلمة ومتحضرة؟! لو كان هذا حصل يا أمي لكنت وجدت فى خزان أنوثتى ما أخرجه للبيه العريس الآن، ولكن ها أنا ذا اكتشف فى ليلة عُرسي أنى راهبة.. أليس هذا ما أردتى يا أمي، أن أكون راهبة فى محراب تعصُّبك القاهر المُتسلط، وخوفك المَرَضى المُتأصل من جسد الأنثى ومن رغبة الأنثى ومن سعادة الأنثى؟! وظلت رحى المعارك دائرة قرابة شهر بين جلسات الضغط العائلية، واتصالات النُصح الودية، ومحاولات التدخل الطبية، حتى اقتحم العريس العقبة، غافلا عن أنه فى سَكْرَةِ نَشوته وفى عَمْرٍة زَهوه قد كَسر الرقبة إلى الأبد.. كَسر رقبة الحب!

آه يا نزار شاكر.. ذكرتتى بقول نزار قبانى فى "يوميات امرأة لا مبالية":

أنا أنثى..

وجدتُ قرار إعدامى

نهار أتيت للدنيا

ولم أرَ وجه حُكّامى!

ولم أرَ بابَ محكمتى



غَطَّتْنَا الْكُبْرَى..

غلطتنا الكبرى يا صديقي تكمن في توهمنا أن حفظ الأنثى يكون بوأدها معنوياً، بلِفيها في أسمالِ خَلقةٍ من عَقْدنا النفسية المُستعصية، بِدسِها في ثرابِ جَهالاتنا السوداوية الظالمة المَوروثة.. والمُصيبة أن الأنثى ذاتها، سَواءً كانت أماً أو جِدّة أو خالة أو عمة أو زوجة أب أو أخت كبرى، فهي نفسها من تحمل على عاتقها مهمة تنفيذ هذا الوادِ المعنوي لنبات جنسها بحماس وتشدّد وتعصب يُحير الألباب! .. تفضل يا دكتور.. أكمل..

- هيام وبِحكم بِرمجتها السلبية من البدايات بدأت تُمارس

لُعبة الصبر والصمت والتعايش بعد أن أدركت أنها لم تُعد تَمكك تَرَف الاختيار وبعد أن وجدت حق الزوج في الفراش الذي تمقته من أمامها ورفض والديها القاطع للطلاق الجالب للفضائح من خلفها، رغم ما تواجهه من أفعال تبدو في نظرها حيوانية ومثيرة للقرف والاشمئزاز من آلة ذكورية غاشمة تُشحن بوقود من المنشطات، لتظل تُقرمها وتَسحق عظامها المرة تلو الأخرى صعوداً وهبوطاً، بلا كلمة حب ولا إثارة مشاعر ولا قُبلة تمهيد ولا لمسة مودة، ولا حتى فرصة لالتقاط الأنفاس وهي نصف ميتة في الظلام لا تتطق ولا تُشارك ولا تتجاوب، كَمفعولٍ بهِ مُضطرّ للاستسلام! بقيت على هذه الحال ستة عشر سنة أنجبت فيها أطفالها الثلاثة بنفس منطق أداء ضريبة الواجب الشرعي..

اضطرارا وعلى مضض وبراء للذمة وخوف من الله! ولكن مع الوقت ومع بأسها التام من أن يعاملها زوجها كإنسانة لها روح ووجدان وعقل وفكر وكيان، إنسانة رقيقة تحتاج إلى الحب والحنان والاحترام، وليست دابة يحرمها من وظيفتها لتدور في ساقية شئون البيت والعناية بالأولاد، ثم يأتي ليركبها أنى شاء ووقتما يعنُ له، لدرجة أنه يُوقظها من نَوْمها لِيَفْتَرِسَها على عَجَل قبل ذهابه إلى عمله، ويَنْتَزِعها من مُذاكرتها للأولاد لِيَسْتزِيدَ بَعْدَ عَوْدَتِهِ مِنْ عَمَلِهِ، حتى كرهت ساعة ذهابه إلى عمله وساعة عودته من عمله وساعة مُكثه بالبيت، وكرهت الليل والنهار، وكرهت أيام الدراسة لانفراده بها بعد خلو البيت بذهاب الأولاد إلى مدارسهم، واجتياحه لها بلا توقف بفعل إسرافه في المنشطات فلا يتركها إلا طريحة الفراش، وكرهت أيام الأجازات التي يترك فيها الأولاد في البيت ويصحبها لأحد الفنادق الكبرى وكأنها عاهرة استأجرها ليقتنص حقه ويكون على راحته، وكرهت المصايف والرحلات لأنه لا يعرف فيها أنسا ولا سَمرا ولا سباحة، ولا ترويجا ولا تمشية أو تنزُّها، بل يقضى الليل مع منشطاته وحقه الشرعى ويقضى النهار في النوم وفي التهام السى فود وفي اتصالات متابعة البنزنس، بينما تتكور هي في الغرفة أو الشاليه تجرع الصمت وتُعالج آلام الاجتياح بالاستلقاء وضم ساقها، وتتحايل لتدارى آثار العدوان عن الأولاد..

وتعدّ الكلمات التي تسمعها منه على مدار اليوم واللييلة على أصابعها الرقيقة: جهزى الأكل، مستعجل ورايا شغل، أنا رجل ولى الكلمة هنا ولى حقوقى الشرعية!

المكان الوحيد الذى أحبته هو.. الكعبة! نعم الكعبة المشرفة، فهى المكان الوحيد الذى ترتاح فيه من اجتياحاته الشرعية وقت الإحرام للحج أو العمرة، فتنتهزها فرصة لراحة الجسم بالتححرر من احتلاله الغاشم، وراحة الروح بالطواف حول الكعبة والتعلق بأستارها والدعاء والتوسل إلى الله بالخلاص منه! كما تحب سفره وانشغاله وتتجول فى البيت ترقص وتغنى فرحا بحريتها فى غيابه، وتحب فراشها إذا خلا منه، وتظل تنمرغ فوقه وتقبل فرشته الحريري حتى تنام ملء جفونها فى براحة الفسيح الآمن! ومع الوقت وبعد فشل صبرها عليه وفشل هروبها منه وفشل جهودها معه ليفهم ويتغير ويحاول أن يجرب الحُب وأن يعيش الحياة كإنسان، إنسان يمشى ويتنفس فى الهواء الطلق أو يتجاذب أطراف حديث رومانسي عذب، أو يقرأ كتابا أو يستمع إلى موسيقى، فضلا عن أن يتابع أخبارا أو أحداثا أو يهتم بدين أو وطن! وبعد فشل مشاويرها إلى العيادات النفسية التى لم تُغير شيئا من كُرْها لأنوثتها واشمئزازها من الرجل والفراش والجنس، وبعد عقوبة الخصام والحرمان التى أصبحت مقررة عليها..

كلما نجحت فى الهروب من حفلات التعذيب فى فراشه والتي كانت تتمثل فى مخاصمتها تماما أمام الأولاد، والامتناع عن شراء أى شيء تحتاجه لنفسها، قررت العودة إلى العمل وأصرت على ذلك وظلت تضغط حتى رضخ لها طمعا منه فى أن تعود إلى غرفة نومه! عادت إلى العمل وهى فى أشد الحاجة لكلمة اهتمام أو همسة حنان تُشعرها أنها إنسانة.. ولم تتأخر عليها بل جاءت لها ساخنة ومُلتاعة من مُديرها المهندس الشاب الأنيق الرقيق الذى أسرها بشدة اهتمامه ورقة كلامه وسحر ابتسامه، فلم تدرى بنفسها إلا وهى مُرتمية فى بحر حنانه! وبعد نظرات وابتسامات واجتماعات عمل ولقاءات وسفريات وهدايا ومجاملات وعزومات شَرِبَتْ فيها من نَبْعِ الرُّومانية حتى ارتوت وتَغذت من كعك الاهتمام والحب والاحترام حتى شَبعت، ولكن دون أن تنزلق إلى شئ من المحظورات الكبرى أو تتجاوز خطوطا حمراء رسمتها لنفسها قبل أن تبدأ، وعندما شعرت أنها تُحوم حول الجِمْى وأنها تُوشِك أن ترتع فيه، لا سيما والزوج غافل لاه فى عمله لا يعنيه منها ولا من الدنيا شيئا ما دام عمله مستقراً وطعامه مُعدا وحقه الشرعى فى ركوب الدابة لم يزل مكفولا وإن قل! توقفت فورا وتركت العمل وقطعت صلتها تماما بمديرها، وخصوصا بعد أن لاحظت تردى الحالة النفسية للأولاد وتراجع تحصيلهم الدراسي وانفلات من بلغ المراهقة منهم..

فى غمرة انشغال الأب بعمله وطعامه وغرفة نومه، وانشغال الأم فى العمل والسفر فى غيابها، واكتئابها وشرودها وصمتها وحزنها فى حضورها، إلا أن تركها للعمل وعودتها للبيت لم يغيرا من الأوضاع شيئاً! لذا وبعد تفكير طويل وتأمل فيما آل إليه شبابها الذى كان ريانا، وما حاق بأولادها من مرارة وإحباط وكُره لها ولأبيهم وللبيت، قررت أن تتحدى أمها التى هدها موت الأب، واستشارت أحد علماء الدين فى مُشكلتها فأكد لها أنه إذا استحكمت البُغض بين الزوجين وترسَخ وتَأصل ودَخَلَ نَفَقاً مُظْلِماً لم يَعُدْ ثَمَّةَ ضَوْءٍ فى نهايته، فهنا يَكُونُ فى الطلاق مندوحة لهما ورحمة بأولادهما، فالطلاق فى هذه الحالة رحمة من الله وليس عذاباً، وإراحة لقلبين متنافرين متباغضين، وإنقاذاً للأبناء من أجواء الشقاق والشجار ومرارة البعاد والبُغض والخصام.

أَلَا تُلَاحِظُ..

ألا تلاحظ يا دكتور أننا نلّفُ وندور ونرجع إلى أصل الداء، إلى عاداتنا وأعرافنا وتقاليدنا التي صوّرت الطلاق على أنه مُصيبة أفدح من مُصيبة الموت! وليس هذا حُباً في الزوجين وحرصاً عليهما، فالله سبحانه أكثر حُباً لعباده وأرحم بهم وأحرص عليهم.. ولاخوفاً على الأبناء وحفاظاً على مصالحتهم، فالله سبحانه أعلم بهم وأحفظ لهم.. ولكنه رياء الناس وخوفاً من كلامهم، وجهلاً وتَحكُّماً وضيقُ أُفق، وسوء استقبالٍ لأوامر الله، وقلة فهم لها، وعدم فقه فيها، وخَجَلٍ من تطبيقها، ونزول بها إلى مرتبةٍ أدنى من تقاليدهم البالية، مع أن الله سبحانه كما قال: فإمسك بمعروف، قال أيضاً: أو تسريح بإحسان! ثم ماذا يُفيد الأبناء من تنشئتهم في جو عدائى مُستحکم ملؤه البغضاء والشحناء؟! ألا يجعلهم هذا الجو السلبى عُرضة للإصابة بالأمراض النفسية كالفصام والاكْتئاب وما ينتج عنها من صعوبات في التخاطب وسمنة مفرطة وتبول لا إرادى وقضم للأظافر وتراجع في التحصيل الدراسى إلى آخر هذه التداعيات المأساوية، علاوة على تكوّن عُقدة لدى الأبناء من الزواج كتجربة وتزايد احتمالات تآثرهم بتجارب آبائهم فى المُستقبل، بل ربما يكررونها فيلاحقهم الفشل فى حياتهم العاطفية والزوجية!

- أنا مُتفق معك تماماً فيما قُلْت، فالجُهلاء المُكابرون..

بأفكارهم الخاطئة لا يعينهم أن تعيش المرأة ذليلة حبيسة لدى رَجُلٍ  
فَظ جاهل لا يَرعى فيها إلا ولا ذمة بِحجة أن تبقى وتصبر كي  
تُربى أبناءها، وكأنها مجرد خادمة أو خُلِقَت لتكون خادمة، وكأن  
الأبناء لن يتربوا إلا وأمهم مَسحوقة مَقهورة بلا احترام ولا كرامة ولا  
مودة ولا رحمة ولا حب، ثم ماذا سَنُقدم أم هذه حالها؟ هل ستقدم  
شيئا ذا نفع إلى أبنائها؟ وعلى ماذا ستربيهم؟! للأسف كارثتنا  
سببها قطاع عريض من مجتمعنا مُراءٍ مُناقض لنفسه، قطاع لا  
يعنيه إلا المظاهر الطبقية ولو كانت زائفة، ولئن تخطى المرأة  
خِلسة أو تُقيم علاقة في الخفاء بعيدا عن أعينهم، فذلك أهون  
عندهم من مجرد فتح سيرة تطليقها لتتقذ ما يمكن إنقاذه من  
صحتها وشبابها وعفتها وشرفها ومستقبل أبنائها! المهم أن كلام  
الشيخ شجع هيام على أن تتوجه بثبات وإصرار نحو ثور  
المنشطات الجنسية طالبة الطلاق، وظلت تناضل بإصرار حتى  
حصلت عليه بعد أن جُردت من كل شيء، البيت والأولاد والسيارة  
وكل شيء، لتعود راهبة في دير تقاليد الأم وبرمجتها أو تنشئتها  
الخاطئة من البداية، فتجلس إلى جوارها وكأنها كانت في حلم  
زواج واستيقظت منه!

يعنى ما تزال المُغنية الصلعاء صلعاء يا دكتور، وما زلنا ندور في  
نفس الدوامة..

دولة تخلت عن دورها فى توعية المجتمع وتثقيفه عبر مؤسساتها الدينية والثقافية والإعلامية والتعليمية، وحتى إن فعلت فهى تفعل ذلك من خلال رؤية يسارية علمانية أو مُلحدة مُتماهية مع المكارثية الطائفية ومُتصادمة مع ثقافة المجتمع ومرجعياته العربية الإسلامية الحضارية الرائدة الخالدة، فتضر أكثر مما تنفع، وحتى إن نفعت فقليل نفعها تذروه رياح الفساد والاستبداد والقمع! وأسرة شغلت نفسها بالتحصيل الدراسي وحصول الأبناء على أعلى الجامعات وضبط المظهر الاجتماعى أو الدينى والتأرجح بين ترك الحبل على الغارب للأبناء حتى يتحللوا من كل قيد ويتمردوا على كل قيمة، أو قهرهم وكبتهم وبرمجتهم على أفكار وموروثات خاطئة أو شكليات دينية سطحية حتى يُصبحوا فريسه للمشاكل النفسية والتشوهات الفكرية ويعانوا من ضحالة أو انعدام خبراتهم العملية، وهكذا يتعامل أبناؤنا مع الحياة بشكل مجرد، فيدرسوا بالتحصيل والحفظ ومكتب التنسيق، ويتزوجوا كحتمية بيولوجية للتناسل وحفظ النوع، دون أن يدركوا أبعاد ما هم مُقدمون عليه ومسئوليته، ودون أن يتزودوا بيزاد من الثقافة العاطفية والجنسية والخبرة الحياتية اللازمة لخوض تجربة العيش المشترك بما يلزمه من تفاهم وصبر وتضحية، ودون تأسيسهم من البدايات على حد من الذكاء الاجتماعى يسمح لهم بالقدرة على التعايش، ويوفر لهم رؤية واضحة ومقاييس لاختيار من سيمُضون معهم العمر!

والآن.. ماذا بعد يا سيدي!؟

- لا شيء، فما بينى وبين هيام مجرد صداقة إنسانية نزيهة  
لا أكثر ولا أقل، بل دعنى أصارك أننى لم أجد أية  
مشاعر حب لا لهيام ولا لغيرها، فقد أثبتت لى كل  
التجارب التى خُضتها أننى لم أحب ولن أحب إلا إيناس!  
ما أروعك.. أكمل.. أكمل.. لا تتوقف..

- فهذه التجارب العاصفة المتسارعة المتلاحقة جعلتنى

أكتشف إيناس من جديد منذ أن عُدت من رحلتى ورأيتها زهرة  
تتفتح وقد لمعت عيناها وتورد خذاها بعد أن خلعت السواد وأشرفت  
كشمس الربيع، أشعر الآن برغبة صادقة فى العودة إليها بقوة،  
وأعرف أن الأمر لن يكون سهلا، فإيناس حساسة جدا وشديدة  
الاعتداد بنفسها، وأعترف أيضا أننى خدشت مشاعرها وجرحت  
كبرياءها وأذيتها بصلفى وغرورى وتقلبى ومزاجيتى.. إلى آخر  
صفاتي السلبية التى أعمتتى عن إدراك أن كل ما أبحث عنه فى  
نساء الأرض أستطيع أن أجده فى زوجتى الحبيبة لو أردت، لو  
استقمت، لو التزمت، لو أخلصت، لو صدقت، لو صبرت، لو  
رضيت، لو تواضعت، لو فهمت، لو تعقلت، لو وجدت نفسى، لو  
حققت ذاتى..

ومتى تعود إلى عُشك يا نزار؟ متى تجد نفسك؟ متى تحقق ذاتك؟! -  
متى أجد نفسي؟ متى أحقق ذاتي؟ ما هذه الأسئلة؟ وكيف  
لم أسالها لنفسي طوال تلك المدة؟! بالتأكيد سأجد نفسي  
عندما تجد مصر نفسها وتسترد عافيتها وتستعيد هويتها  
وتبُرُ أبنائها، سأحقق ذاتي عندما تُحقق ثورة يناير ذاتها  
وتقتص لشهادتها وتُقيم دولتها على أسس الحرية والكرامة  
والعدل.. سأعود نزارا عندما تعود مصر منارا...  
سامحك الله، فقد أبكيتني على بُكائك.

مصر..

مصر تَحْبِسُ أنفاسها بعد أن سَكَتت أجراس الكنائس  
بنهاية صلوات الأحد الرابع والعشرين من يونيو، وصدحت  
ميكروفونات ميدان التحرير لتُلهب حماس أنصار الدكتور محمد  
مرسي مرشح الإخوان المسلمين وحزب الحرية والعدالة لرئاسة  
الجمهورية، الذين احتشدوا بالميدان بمئات الآلاف منذ الصباح  
الباكر غير مبالين بلهب حرارة أواخر يونيو التي لامست سقف  
الأربعين درجة، حائرون بين الاحتفال بنتائج أول إنتخابات رئاسية  
حرة وحقيقية بعد ثورة يناير تأكدوا من نجاح مُرشحهم فيها بعد أن  
أحصوا هم نتیجتها بكل سرعة ودقة بمجرد مغادرة آخر مواطن  
أدلى بصوته فيها، وبين ترقب الإعلان الرسمي من اللجنة العليا  
للانتخابات بالفائز النهائي فيها! منهم من جاء مُحبا لمرسي مؤيدا  
له ولمشروعه النهضوى مقتنعا بشخصه وأفكاره، ومنهم من جاء  
مضطرا لمرسي مُستقلا لشخصه غير مقتنع به وقد عصر على  
نفسه ليمونا، فقط ليهرب من الوقوع فى فخ شفيق وعساكره ونظام  
المخلوع مبارك وقلوله!

أعود إلى البيت عبر شوارع خالية إلا من صهد الظهيرة، بعد أن  
تفرق المصريون أجسادا مُكدسة تتقرب فى الميادين وتلهج  
بالدعاء، وألسنة مسنونة تتبارى لتأ وعجنا وتضليلاً وكذبا وسبا  
وشتما على شاشات الفضائيات، تلكم الشاشات التى تَسمرت  
أمامها ملايين العيون والتصقت بها ملايين الأذان فى العالم كله..

فى انتظار إذاعة الإعلان الذى رُبما يُحدد مصير مصر والمنطقة بأسرها لفترة من الزمان، حتى صابر البواب تلكأ طويلا لينتزع نفسه من أمام التلفزيون ليسانى فى حمل أكياس أحملها، لم يَفْتَهُ أن يغمغم:

- هو حضرتك مش متابع النتيجة ولا إيه يا بيه؟!!

تفتكرى يا نهلة إيه تفسيرك لما يحدث فى هذا البلد المُتفرد دائما؟!!

- بخصوص إيه؟!!

ثانية واحدة..

يا عُمر.. يا مارية.. نادوا علينا لما يقرب يقول إسم الفائز..  
بخصوص شعب يُفترض أنه انتزع حُريته بثورة سلمية لم تُرق فيها دماء إلا دماء خيرة أبنائه، ثورة مجيدة ورائدة خلعت أعتى الطغاة المستبدين وأبهرت الدنيا والناس أجمعين، ليأتى هذا الشعب نفسه وينتخب برلمانا باحترام وتحضُر فيحل بليل ويكل بساطة ومع سبق الإصرار والترصد ويحكم عليه بالإعدام بلا استئناف ولا نقض ولا إبرام، من نفس صنّاع الفتن والقلاقل والإرهاب والمذابح التى لم تاخذ الثورة منها راحة منذ قيامها، الذين هم أنفسهم من كانوا يتآمرون لإجهاض محاولات هذا الشعب أن يصوغ دستورا عبر هيئة تأسيسية منتخبة انتخابا حُرًا مباشرًا..

ليكون أول دستور يكتبه الشعب معبرا عن مرجعيته وثوابته وأماله  
وطموحاته، ويقفون له بالمرصاد فى كل طريق ليضعوا له العصى  
فى عجالات انطلاقته نحو بناء منظومة ثورته المؤسسية  
الديموقراطية! والآن نفس هؤلاء المحتشدون فى الميادين الذين هم  
نفس الشعب تقريبا الذى أشعل الثورة فى نفس الميادين وزلزلوا  
حُكم الديكتاتور منها، وهم أنفسهم من وقفوا خلف مرشح الثورة،  
الاضطرابى، واصطفوا أمام لجان الانتخابات حتى منتصف الليل  
ولم يبرحوا حتى فرزوا الصناديق أمام الفضائيات بأيديهم وبيضوا  
نتائج اللجان الفرعية لجنة لجنة طبقا للقانون الجديد، وأعلنوها أمام  
العالم بالوثائق، ورغم كل ذلك ها هم يمكثون الآن بالميادين  
وأيديهم على قلوبهم ولا حول لهم ولا قوة، ينتظرون بقايا الآلهة  
ليذيعوا عليهم إسم من سيختارونه هُم، وليس شرطا أن يكون هو  
نفسه من أعطاه الشعب الذى ثار أصواته أمام العالم، فأى ثورة  
وأى ثوار كالمُنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى! فلا برلمان انتخبوه  
بإرادتهم الحرة استطاعوا أن يحموه ويقطعوا يد من تآمروا عليه  
ليهدمونه، أما دستور ثورتهم فلا يزالون يتسولونه، وها هو رئيسهم  
الذى هُم على يقين مُطلق أنهم انتخبوه وأنه حاز أغلبية الأصوات  
وفاز فوزا مؤكدا، يَصُعب عليهم أن يحتفلوا به ويجلسون فى  
الشوارع والميادين تشويهم الشمس وهم يدعون الله أن يرقق قلب  
بقايا آلهة الثورة المضادة ليعتمدوه!

- بالله عليك متى تلتمس للناس الأعذار وتُقدر ظُروفهم  
وفداحة مصيبتهم على مدار ستة عقود عِجاف؟! ستة  
عقود طغيان واستبداد وفساد ربما تحتاج إلى ستين عقدا  
ليُستأصل شجر الزقوم الذى زرعه المجرمون فى كل شبر  
من هذا الوطن المظلوم! فصبراً صبراً أيها المثالى الجلال  
وقل لى: هل من جديد فى موقف نزار من إيناس؟

هل لديك أنتِ أى جديد؟

- أشعر أن المياه بينهما ستعود إلى مجاريها وإن كانت  
بعض الشوائب ستبقى فى القاع، فلا شيء يجرح المرأة  
مثل استئقال الرجل لها وضيقه بتوددها وانشغاله عنها  
بسواها، وإشعارها بأنه لم يعد يطيقها، وأنها غير مرغوب  
فيها، وهذا هو بالضبط الشعور الذى أوصله نزار إلى  
إيناس، قصد أم لم يقصد، فهذا ما قالت لى إيناس اليوم  
فى الكلية، وأردفت قائلة:

سنعود وسنضمّد جراح حُبنا حتى تطيب، لكن من ذا الذى  
يُزيل آثار ندوبٍ ستبقى على جُدران القلب؟!  
المهم ما رأيك أنت فى موقف نزار؟

أما عن نزار فهو يتحرق شوقاً للعودة إلى إيناس مُحملاً بحصاد  
التجربة مُستخلصاً دروسها التى جعلته يكتشف كنوز إيناس..

ويتعرف عليها من جديد، العجيب أنه يربط بين فوز مرشح الثورة في انتخابات الرئاسة وبين استعادته لتوازنه!

- بالطبع أنا لست مُندهشة من هذه التجليات الفلسفية ما دام الدكتور نزار واقع تحت تأثير أفكارك العجيبة!

وما العجيب فيما قلته! مشكلة نزار أصلاً اندلعت مع ثورة يناير التي أعطته في أيامها الأولى سُحنات من الأمل والحماس والمثالية والشعور بالحرية والرغبة في التمرد والتغيير ليتحرر من أريدته الثقيلة المملة الخانقة ويُحطم قيوده ويقفز في بحر تجارب جديدة ومثيرة ولذيذة لعل السباحة فيه تُشبع فضوله وتُرضى غُروره، ولكن الأمواج لم تلبث أن تقاذفته والقروش هاجمته وقدرته على السباحة ولياقته البدنية خانته، ولم يبق له من أمل في النجاة من ظلمات البحر إلا صياد فقير في قارب صغير يلوح له كشعاع الفجر فينتشله بعد أن أثنخته الجراح وهذه الإحباط وبلله الخوف!

- يا ربي.. تُريد أن تقول أن فوز الدكتور مرسي في حد ذاته وبصرف النظر عن شخصه أو جماعته أو حزبه أو إمكانياته أو خبراته أو فكره أو الاتفاق أو الاختلاف معه، سيمثل شعاع أمل لكل اليائسين المُحبطين من أن تُحقق الثورة شيئاً من أهدافها أو تنتصر في أي من معاركها، وسيُجدد إيمانهم بالثورة ويقوى عزائمهم، ويُشجعهم على تحدى هؤلاء الذين تصفهم ببقايا آلهة الثورة المضادة..

ويُجرأهم على منازلهم من جديد؟! والله أتمنى أن تتحقق أفكارك المثالية هذه ولو مرة.. قم بنا نتعدى بدلا من تجمدنا ساعتين فى انتظار إعلان اسم الفائز بالرئاسة..

والآن دعينى أخبرك بمفاجأة مُثيرة، فقد سألت "أنثى الدولفين" عن شخصيتها الحقيقية.. فمن تتوقعين أن تكون؟

- من؟!!

- الدكتورة إيناس!

- بابى.. مامى.. تعالوا بسرعة.. الرجل هيقول اسم الفائز.. ويكون الفائز بمنصب رئيس جمهورية مصر العربية فى الانتخابات التى جرت يومى سناشر وسبعناشر من يونيو سنة ألفين واثناشر، هو السيد الدكتور محمد محمد مرسى عيسى العياط.

نَهلة.. يبدو أننى سأعيد كتابة الرواية من جديد!

(تمت فى القاهرة، الثلاثاء، 24 يوليو 2012)

محمد صلاح

[muhammedsalah@gmail.com](mailto:muhammedsalah@gmail.com)

<https://twitter.com/muhamsalah>

<https://www.facebook.com/muhammad.salah3>